

الدكتور إبراهيم السامرائي

مَعَ الْمُعَرِّيِّ لِلْعَوِيِّ

مؤسسة الرسالة

الدكتور إبراهيم السامرائي

مَعَ الْمُعَرِّيِّ لِلْخَوِيِّ

مؤسسة الرسالة

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م

مؤسسة الرسالة - بيروت - شارع سوريا - بناية صدي وصالحه
هاتف: ٣١٩٠٣٩ - ٨١٥١١٢ ٢٤١٦٩٢ - ٢٩٥٥٠١
ص.ب (٧٤٦٠) بريقياً: بيوشران .



مع المعري في اللغوي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمده وأستعينه

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المقدمة

عُرِفَ أبو العلاء شاعراً وشاعت شهرته هذه حتى اقتصر عليها عامة المتأدبين إلا فئة قليلة شغفت بالدرس التاريخي ومعرفة الرجال. وغبرنا دهرأ لا نعرف من أبي العلاء إلا شعره، وقد أوحى إلينا ونحن صبية شدة أنه شاعر متفلسف، جاحد متشائم، أعمى بصير، ذكي ألمعي. ومازلنا نحفظ منذ الصبا داليتَه المشهورة التي قالها يرثي أبا حمزة التنوخي، ولكنها اشتهرت بلمحات الفكر المتفلسف والتماعات الأدب الأصيل التي مطلعها:

غير مجدٍ في ملّتي واعتقادي نوحُ باكٍ ولا ترنمٌ شادي
وكنا في مرحلة «الدراسة الإعدادية» نستظهرها فلا ندرك من الفكر فيها إلا القليل. ولا يفوتني أن أشير إلى لاميته التي كان لها صداها في أروقة المدارس الإعدادية التي مطلعها:

ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل عفاف وإقدام وحزمٌ ونائل
قلت: لم يكن لنا من محصول أبي العلاء غير هاتين القصيدتين، ولم يكن أهل الأدب على علم جيد بفكر أبي العلاء وعلمه ما خلا الشعر. ولكن أهل العناية كانوا يدركون من فضائل هذا الرجل أشياء وأشياء منها: أنه كان من أهل العلم بالعربية.

أقول: «بالعربية» لتكون أشمل على انصرافها إلى هذه اللغة في ألوان شتى من النحو والصرف واللغة والمعاني والأدب والنقد.

قلت: وقد تنبه نفر من أهل العلم إلى علم أبي العلاء في «اللغة» فكتبوا فيه فصولاً بل كتباً^(١). ومن هؤلاء: طه حسين وإبراهيم مصطفى وسليم الجندي وغيرهم. ثم خلف من بعد هؤلاء خلف سلكوا السبيل وأفادوا من تنبيه أولئك، فكان من ذلك مباحث وكتب في مكانة أبي العلاء بين علماء اللغة. وقد حلا لنفر من الدارسين الشباب أن يضيفوا «النقد» إلى «اللغة» فكان من ذلك «النقد اللغوي»^(٢). وليس من ضير في هذه الإضافة الجديدة، فالكلام في «النقد» شيء من هوى أهل عصرنا، و«المعاصرة» تستدعي في ذوق هؤلاء أن يحتفل بـ«النقد» من المصطلحات الجديدة التي تنفي عن «اللغة» صرامتها وقدمها بل «رجعيتها» على نحو ما يعرف من «الرجعية» المعاصرون.

ما علينا من ذلك فلندخل في حيز الفكر العلائقي فلانبتش من هذا «النقد» الجديد^(٣).

ونقول: كأن أصحابنا من الباحثين في عصرنا قد خيل أنهم اكتشفوا

(١) أنظر: «المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري»؛ و«الجامع في أخبار أبي العلاء»؛ و«تجديد ذكرى أبي العلاء».

(٢) ومن هذا «النقد اللغوي»، لنعمة رحيم العزاوي؛ و«اتجاهات النقد الأدبي في القرن الخامس»، لمنصور عبد الرحمن؛ و«أبو العلاء المعري ناقدًا»، لوليد محمود خالص؛ و«النقد واللغة في رسالة الغفران»، لأجد الطرابلسي؛ و«من قضايا اللغة والنحو»، لأحمد مختار عمر.

(٣) ذهبت عائشة عبد الرحمن إلى أن «رسالة الغفران» نص مسرحي متكامل من حيث الحوار والشخصيات و«الإخراج». (كذا) أنظر «جديد في رسالة الغفران»، ص ١٠ - ١١.

جديداً حين عرضوا للمعري لغوياً أو «ناقداً» لغوياً، وما أظنهم جهلوا أن الأوائل قد أدركوا هذا. لقد جاء في رسالة ابن القارح إلى أبي العلاء وهو يكبره ويمدحه:

«الشيخ أعلم بالنحو من سيبويه وباللغة والعروض من الخليل»^(١). وإلى مثل هذا ذهب ابن السمعاني فقال فيه: «... البحر الذي لا ساحل له في اللغة»^(٢).

وقال ياقوت: «كان... عالماً باللغة حاذقاً بالنحو»^(٣). وإلى نحو هذا ذهب الخطيب البغدادي فقال: «وكان... عالماً باللغة حافظ لها»^(٤). وترجم له ابن خلكان فوصفه بـ «اللغوي الشاعر». ولقد فات هؤلاء المحدثين أن أبا العلاء المعري كان بين النحاة واللغويين الذين نجدهم في كتب «طبقات النحاة» ومنها كتاب الأنباري «نزهة الألباء» و«إنباه الرواة» للقفطي. وقد تجاوز المعري إشارات اللغوية والنحوية في كتبه كرسالة الغفران ورسالة الملائكة وغيرهما فعمد إلى ما يعمد إليه المتخصصون من أهل الصنعة فقد صنف «شرحاً» لكتاب سيبويه ولم يتمه، وكتاباً في «تفسير أمثلة سيبويه وغريبها»، كما اهتم بكتاب «الجميل» لأبي القاسم الزجاجي فوضع فيه «عون الجمل»^(٥)، ولعله شرح وإضافة إلى هذا الكتاب. وقد أشار القفطي في ترجمته للمعري إلى كتاب له وسم بـ «قاضي الحق»^(٦) وكأنه شرح وتعليق على كتاب «الكافي» لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس.

-
- (١) رسالة ابن القارح. (تحقيق عائشة عبد الرحمن)، ص ٢٦.
 - (٢) الأنساب. (الطبعة المصورة) مع مقدمة مارغليوث، ص ٥٣٦.
 - (٣) معجم الأدباء ١٠٨/٣.
 - (٤) تاريخ بغداد ٢٤٠/٤.
 - (٥) الإنصاف والتحري (في تعريف القدماء بابي العلاء)، ص ٥٣٩ - ٥٤٠.
 - (٦) إنباه الرواة ٦٤/١.

غير أن هذه «المصنفات» النحوية قد فقدت ولم يصل إلينا منها شيء، ولم نجد في كتب النحاة المتأخرين إشارات إليها تعليقاً على قول للمعري أورداً عليه أو ما يدخل في هذا وذاك.

وإذا كان لنا أن ندرج المعري مع اللغويين والنحاة فليس لنا إلا أن نعتمد على ما ورد في كتبه المطبوعة. وقد تعجب وأنت ترى المعري وهو يدير المادة اللغوية في كتبه التي ما كان لها أن تشتمل على هذه المادة فهو يكتب إلى أبي القاسم المغربي في رسالة من «رسائله»^(١) يتوجه بالدعاء له دعاء لا يخلو من غرابة بسبب ما حشد فيه من المادة اللغوية «الخاصة». أقول «الخاصة» لأنها شيء من الدرس اللغوي في أصوات العربية. قال في «دعائه» في هذه «الرسالة»:

«... فحرس الله سيدنا حتى تدغم الطاء في الهاء فتلك حراسة بغير انتهاء، وذلك أن هذين ضدّان، وعلى التضادّ متباعداً رخو وشديد وهاو، وذو تصعيد.

أقول: كأن المعري قد اتخذ من هذه الكتب التي نفترض فيها أن تكون كتباً في الأدب لأن موضوع «الرسائل»، وهي أقرب إلى الأدب، مظاناً يفرغ فيها من علمه اللغوي وآرائه الخاصة واجتهاداته في ذلك ما شاء له أن يفعل، ولذلك جاءت هذه الإلماعات اللغوية في «رسالة» هي من الرسائل الإخوانية.

ومثل هذا يقال في كثير من صفحات «رسالة الغفران» التي يخيل إلينا أن صاحبها تجاوز الإطار الفني في هذه الزيارة الخيالية في النعيم والجحيم إلى مواد لغوية وأدبية حرص عليها كل الحرص. وكأن ذلك كان أهم أغراضه في تحرير هذا الأثر الفني الأدبي.

(١) رسائل أبي العلاء، ص ٦٤.

وقد تجد شيئاً من هذا درج عليه في كتابه «الصاهل والشاحج» فقد اتخذ من أصوات الحيوان والوحوش مادة نفذ منها إلى درس لغوي وأدبي .

وقد غلب عليه هذا اللون اللغوي في كتابه «رسالة الملائكة» فجاء في أول هذا الكتاب بمادة لغوية تتصل بالأبنية والأوزان وما ندعوه بالتركيب في بنية الكلمة الواحدة . ولا تعدم أن تجد في «الفصول والغايات» شيئاً من هذا الدرس اللغوي .

لقد قيل : في تفسير هذا الحضور اللغوي في كتب أبي العلاء أنه شغل بالتعليم ومن شأن «المعلم» أن يهيء لطلبته هذه القطوف اللغوية . أقول : هذا صحيح ولكنه غير كاف في تفسير هذه المسألة ، والذي أراه أن المعري قد أحب هذا الدأب فانصرف إليه . ولا أدري كيف غلبت صفة «الشاعر» عليه فصار لم يذكر إلا شاعراً مفلسفاً .

ولنأت على نماذج من كتب أبي العلاء ونقف فيها على «اللغة» التي شغلت الحيز الأكبر منها ولنبدأ بـ «رسالة الغفران» .

رِسَالَةُ الْغَفْرَانِ

رسالة الغفران

إذا استقرينا المادة اللغوية من دلالة واشتقاق ونحو وصرف وعروض وجدنا أنها المادة التي تغطي على سائر مواد هذا الكتاب، فليس النقد الأدبي أو تاريخ الأدب الذي يتصل بالتراجم للشعراء وغيرهم إلا مادة يسيرة إذا نظر إلى القدر الكبير من الفوائد «اللغوية». ثم إنني لأميل إلى أن غرض أبي العلاء من الكتاب هو عرضه لهذه الفوائد، ولكنه اتخذ لها إطاراً أدبياً يقوم على زيارته للنعيم وللجحيم وما يتصل بهذا من لوازم هي في جملتها من مشاهد العالم الآخر بنعيمه وجحيمه.

وكان أبا العلاء في جميع تصانيفه أراد أن يقابل جمهور العلماء من نحويين ولغويين وأدباء فيأتي بالرأي النحوي، وقد يتفرد به فيردّ على غيره، وربما كان هذا «الغير» سيبويه أو الفراء أو أطراب هؤلاء الأوائل. وقد يأتي بالفائدة اللغوية فيضع إلى جانبها قول الخليل وقد يؤيده أو يخالفه.

وهو ينشئ بين هذا وذاك أدباً تلمح فيه جمهرة من الغريب والنوادر يشير في ذلك إلى أنه اختزن في ذاكرته متن اللغة نوادر وأوابد وغريباً مما لا تلقاه في أدب الكتاب ممن عاصروه أو تقدموه أو خلفوه.

وقد يحرر الرسالة أو الخبر الأدبي فيلمعه بمصطلحات العروضيين

بصرفها إلى معانٍ غير معانيها الخاصة. وهو بهذا يبهرك بعلمه في دقائق العروض.

والذي أراه أنه في درجه لهذه المصطلحات العروضية مصروفة إلى غير معانيها أراد أن يقول لأهل اللغة أنه أدرك من العروض دقائق لعل الخليل لم يأت عليها.

وهو منشيء يعرف كيف يأتي بالشاهد مثلاً أو بيتاً أو آية أو نحو هذا فيدرج هذا الأدب في أدبه على نحو تصبح فيه هذه النماذج كأنها شيء منه. ولولا ثقل وكزازة تتأتى من «أسجاعه» لكان لنثره شأن أي شأن.

قال في فاتحة «الغفران» في رسالة ابن القارح:

... وهيهات! ضاق فتر عن مسير، «ليس التكهّل في العينين كالكَهْل»، خلقوا أسخياء لا مُتساخين، وليس السخيّ من يَتَساخى، لاسيما وأخلاق النفس تلزمها لزوم الألوان للأبدان، لا يقدر الأبيض على السواد، ولا الأسود على البياض، ولا الشجاع على الجبن، ولا الجبان على الشجاعة قال أبو بكر العرزمي^(١):

يفرّ جبانُ القوم عن أم رأسه ويحمي شجاع القوم من لا يُناسبه

ثم يقول:

وردتُ «حَلَبَ» ظاهرها، حماها الله وخرسها، بعد أن مُنيت برَبْضِها بالدُرْخمين. وأمّ حَبَوَكَرى والفُتْكرين، بل رُميت بآبدة الآباد والداهية النَّاد،

(١) أبو بكر العرزمي: هو محمد بن عبيد الله، نشأ بالكوفة وأصله من حضرموت، أدرك أول الدولة العباسية. أنظر معجم الشعراء للمرزباني، ص ٤١٧.

(٢) رسالة الغفران، ص ٢٣.

فلما دخلتها وبعد لم تستقر بي الدار، وقد نكرتها لفقدان معرفة وجار،
أنشدتها باكياً:

إذا زرت أرضاً بعد طول اجتنابها فقدتُ حبيباً والبلاد كما هيا^(١)
والدُرّخمين وأم حَبَوَكَرى والفتكرين من أسماء الداهية.

ولا تعدم أن نجد الخبر الأدبي القديم في نثره يستدل به على ما يعالج
من أمر، فقد ذكر بعد البيت المتقدم خبراً يتصل بأبي القَطِران، قال:

كان أبو القَطِران: المرّار بن سعيد الفقعسيّ يهوى ابنة عمه بنجد
واسمها «وحشية»، فاهتداها رجل شاميّ إلى بلده فغمّه بعدها، وساءه فراقها،
فقال من قصيدة:

إذا تَرَكْتُ «وحشيّة» النجد لم يكن لعينيك مما تبكيان طيبُ
رأى نظرةً منها فلم يملك البُكا معاوِزُ يربو تحتهنّ كثيبُ
وكانت رياح الشام تُكرّرة مرةً فقد جَعَلَتْ تلك الرياح تطيبُ^(٢)

وقد يأتيك بالفلذكة اللغوية ومن ذلك قوله في هذه «الرسالة»:

... فكتبْتُ هذه الرسالة أشكو أموري وأبثّ شقوري، وأطلّعه طُلُع
عُجْري ويُجْري، وما لقيت في سفري من «أُقيّوام» يدْعُون العلم
والأدب...^(٣).

أقول: من غير شك أن أبا العلاء جاء بكلمة «الأمور» ليعطف عليها
قاصداً وعامداً العبارة التي اشتملت على «شقور». و«الشقور» من النوادر

(١) المصدر السابق، ص ٢٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٧.

الغريبة، وهي جمع شقر (بالفتح أو الضم) ويعني الحاجة والهم، وما لصق بالقلب من المهم من الأمور. ثم جاء حديث «العجر» و «البجر».

وفي استعماله لـ «أقيوام» على التصغير دون اللجوء إلى إعلال الواو، وهو واجب، إشعار للقارئ أن «أقيوام» على التصغير يراد بها معنى خاص هو الزمرة القليلة أو الجماعة القليلة، وليس فيها من فكرة الجمع لـ «قوم» الذي يعني، وهو مفرد، الكثير الكثير.

وهذا شيء من «لطائف» أبي العلاء اللغوية.

وبعد فهذه نبذة موجزة افتتحت بها الكلام على «رسالة الغفران» وهي شيء من رسالة ابن القارح.

ونأتي إلى «الغفران» فنقرأ في مطلعها بعد البسملة والدعاء قول أبي العلاء:

قد علم الجبر الذي نُسب إليه «جبرئيل».

وكأن أبا العلاء فهم أن «الجبر» هو الله، أو اسم من أسمائه بدلالة قوله: «الذي نُسب إليه جبرئيل». وهذا الفهم هو قول أبي علي الفارسي الذي خالف اللغويين في زعمه هذا، فقد ذهب غيره إلى أن «الجبر» هو العبد.

أقول: وهذا الفهم للجبر، وأنه يعني «العبد» سديد، وذلك يتجه في قولهم «جبرئيل»، أي: عبد الله أو غلام الله.

و «الجبر» بهذه الدلالة كلمة سامية اشتهرت في الآرامية فجاء في أعلام الآراميين «جبرا» بالجميم الثقيلة، وليس بعيداً عنه ما سُمي في العربية وهو «جبر» من الأعلام العربية القديمة.

وإن «إيل» هي «الإله»، وهي «الإل» بالتضعيف في العربية فهي «الله»

ثم اتسع فيها فصارت بمعنى الحلف والقسم لأن «الإله» ما يُقسَم به . ثم كان منه في العربية «الآلّة» بمعنى القسم والحلف، وفي سعة هذه المادة ما يفيد القسم أو ما يقرب من معانيه .

ولنسمع شيئاً من «فاتحة» أبي العلاء في غرائبها ونوادرها:

قد علم الجَبْر الذي نُسب إليه «جبرئيل» وهو في كل الخيرات سبيل،
أن في مسكني حَمَاطة ما كانت قطّ أفانية، ولا الناكزة بها غانية، ثمر من مودّة
مولاي الشيخ الجليل... (١).

أقول: وأنت محتاج أن تتبين «الحمّاطة» وهي واحدة الحمّاط وهو شجر
من صفته كيت وكيت. وأنت محتاج أن تعرف ما «الأفانية» من ضروب
الشجر.

ثم تبحث عن «الناكزة» وهي الحيّة، والنكز فعلها كالوكز، وجملة ذلك
غريب نادر كأنّ أبا العلاء أراد أن يُعجز به، وهو أعمى لا يبصر، جماعة
المبصرين في احتواء هذه الطاقة اللغوية الكبيرة.

والدليل على هذا إدراك أبي العلاء أن هذه المواد محتاجة إلى الشرح
والتفسير، فهو يذكرها مُنشئاً، ثم يعود إليها شارحاً مفسراً، وكأنّه أحسّ أن
القارئ، وفيهم طلابه الذين يأخذون عنه لا يدركون هذه «النوادر».

وهو حين يشرح يترسم خطي المتقدمين من علماء اللغة كالمبرّد في
الكامل وغيره فهو يقول: والحمّاطة: ضرب من الشجر، يقال لها إذا كانت
رطبة: أفانية، فإذا ييسست فهي حمّاطة، قال الشاعر:

إذا أمّ الوليّد لم تُطعني حَنَوْتُ لها يدي بعَصَا حَمَاطٍ

(١) رسالة الغفران، ص ١٢٩.

وقلتُ لها: عليكِ بني أقيشٍ فإنَّك غير مُعجبةِ الشُّطاطِ
وتوصف الحماطة بإلْف الحَيَّات لها، قال:

أُتيح لها وكانَ أخوا عِمالٍ شجاع في الحماطة مستَكْنٌ
وإنَّ «الْحَمَاطَةَ» التي في مقرِّي لتجد من الشوق حَمَاطة، ليست
بالمصادفة إمَاطة.

والْحَمَاطَةُ: حرقَة القلب، قال الشاعر:

«وَهَمٌّ تَمَلُّ الأَحْشاءُ مِنْهُ»^(١)

فأما الحماطة المبدوء بها فهي حَبَّة القلب، قال الشاعر:

رَمَتْ حَمَاطة قلبٍ غير منصرفٍ عنها بأسهم لحظ لم تكن غَرَباً^(٢)
وينتهي من الشرح فيعود إلى أوابده وغرائبه فيقول:

وإنَّ في طمري لحِضْباً وُكِّلَ بأذاتي، لونطق لذكر شذاتي،
ما هوبساكن في الشُّقَاب، ولا بمشرف على النِقَاب...^(٣).

ولننظر إلى هذه «الغرائب» كالحضب والشقاق وغيرهما، ثم ننظر إلى
أنه لم يكتف بالسجع، بل عمد إلى ضرب من «لزوم ما لا يلزم» الذي كان
له منه ديوان برأسه.

وهذا كله بيان للعلم الذي انصرف إليه فكأنه أراد أن يزهي به على
معاصريه، وهو من هو في صفته وخَلَقه.

(١) المصدر نفسه، ص ١٢٩ — ١٣٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٣١.

(٣) المصدر السابق.

ثم شرح «الحِضْب» فقال: هو ضرب من الحيات، ثم قال:

وإن في منزلي لأسود، هو أعز عليّ من «عترة» على «زبيبة»، وأكرم عندي من السُّلَيْك عند السُّلْكة، وأحق بإبثاري من «خُفاف» السلمي بخبايا «نَدْبَة»...

وهكذا يأتي على «الأسودين» كالأسود بن المنذر وإعظام لخم، والأسود بن معد يكرم وإعظام كندة وغير هؤلاء...^(١)، ولا تعدم أن تجد أبا الأسود الدؤلي. وهو حين يورد هؤلاء يأتي بشيء من فوائد تتصل بهم. ثم يعرج على «الأسودان» و«الأبيضان» وهما مثنيان فيورد ما ينصرفان إليه من الدلالات.

وجملة هذا لغة «تاريخية» ودلالات وأخبار.

ولنواصل مسيرتنا في «الغفران» ونصحب أبا العلاء وهو يشير إلى وصول «الرسالة»^(٢) وهو يعني رسالة «ابن القارح». وأنت في هذه الإشارة إزاء فيض من العطاء فيه اللغة وفيه الأدب والنقد وفيه «الآية» وفيه من الجاهلية والإسلام القدر الكبير، ثم إنك أمام هذا الأدب «العلائقي» في اختيار الكلمة وبناء الجملة في أسجاع وفواصل عجيبة لا تعدم أن تجد فيها أنه أسرف على نفسه فلزم «ما لا يلزم» كصنيعه في ديوانه المعروف بـ «اللزوميات».

قال أبو العلاء:

وقد وصلت «الرسالة» التي بحرّها بالحكم مسجور، ومن قرأها مأجور، إذ كانت تأمر بتقبل الشرع، وتعيّب من ترك أصلًا إلى فرع.

(١) المصدر السابق، ص ١٣٣.

(٢) رسالة الغفران، ص ١٣٩.

وهو يشيد بالرسالة وخصائصها، وكيف فتح الله، سبحانه، لصاحبها فجاء فيها بما جاء. قال^(١): ولعله، سبحانه، قد نَصَبَ لسطورها المنجية من اللهب، معاريج من الفضة أو الذهب، تعرُّج بها الملائكة من الأرض الراكدة إلى السماء، وتكشف سجوف الظلماء، بدليل الآية: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾^(٢).

وهذه الكلمة الطيبة كأنها المعنية بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ، أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾^(٣).

وفي تلك السطور كلم كثير، كله عند الباري — تقدَّس — أثير. فقد غُرِسَ لمولاي الشيخ الجليل — إن شاء الله — بذلك الشاء، شجر في الجنة لذيذ اجتناء، كل شجرة منه تأخذ ما بين المشرق إلى المغرب بظلٍ غاط، ليست في الأعين كذات أنواط، وذات أنواط، كما يعلم — شجرة كانوا يعظّمونها في الجاهلية. وقد روي أن بعض الناس قال: «يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط».

وقال بعض الشعراء:

لنا المهيمن يكفيننا أعاديـنا كما رفضنا إليه ذات أنواط^(٤)
انتهى كلام «المعري».

(١) المصدر السابق، ص ١٤٠.

(٢) سورة فاطر: الآية ١٠.

(٣) سورة إبراهيم: الآية ٢٤، ٢٥.

(٤) رسالة الغفران، ص ١٤١.

أقول: سقت هذا من كلام أبي العلاء لأبرز فيه ما كنت قد بسطته من أنه يجمع في تأليفه هذه الأشتات، وهو يحتال بأي وسيلة ليضع أمام القارئ جملة من الفوائد. والذي أراه أن حرصه على إثبات هذه الأشتات متأً من أنه ممتحن بتسجيل ما حفظه واستوعبه، وما اهتدى إليه من وجوه التأويل والتعليل لكثير من المسائل في «الرأي» والأدب واللغة والنقد. ولكنه في الوقت نفسه أراد أن يتسم عمله بسمة خاصة في مادته وشكله.

أقول: في «مادته» وذلك لأنك واجد في هذه الأشتات مجموعاً لفيماً فأنت أمام أشياء تبدو لك متفرقة متباعدة في جوهرها ومكانها وزمانها لولا أن أبا العلاء قد حملك على أن تنظر إلى هذه الأشتات «لفيماً مجتمعاً».

وأما ما اتسم به هذا «العطاء» من حيث «الشكل» هو أنه اتخذ له هذا اللون القائم على زورته للنعيم ثم الجحيم، وما يكون في هذا وذاك من لوازم هذا «الحَيَاز» الذي تخيله المؤلف فعرض لساكني النعيم وما هم فيه من خير وترف ونعيم دائم، كما عرض لساكني الجحيم وما هم فيه من العذاب، ولا نعدم أن نجد من أخبار هؤلاء وهؤلاء في هذه الحياة الأخرى، وما كان لهم في الحياة «الدنيا».

ولنستمع إليه وهو يمهّد إلى الدخول إلى النعيم وإلى الجحيم في «رسالة» ابن القارح فيقول:

والولدان المخلّدون في ظلال ذلك الشجر قيام وقعود، وبالمغفرة نيلت السعود، يقولون والله القادر على كل عزيز: نحن وهذا الشجر صلة من الله لـ«علي بن منصور» نُخبّاً له إلى نفخ الصور. وتجري في أصول ذلك الشجر، أنهار تُختلج من ماء الحيوان، والكوثر بمذّها في كل أوان، من شرب منها النُّغبة فلا مَوْت، قد أَمِنَ هنالك الفوت، رَسَعْدُ من اللَّبَن

متخرّقات، لا تُغيّر بأن تطول الأوقات، وجعافر من الرحيق المختوم، عزّ
المقتدر على كلّ محتوم، تلك هي الراح الدائمة، لا الذميمة ولا الدائمة، بل
هي كما قال «علقة مفترياً، ولم يكن مفترياً»:

تشفي الصّداع ولا يؤذيه صالِبها ولا يخالط منها الرأس تدويم
ويعمد إليها المغترف بكؤوس من العسجد، وأباريق خلقت من
الزبرجد، وينظر منها الناظر إلى بدّي، ما حلّم به أبو الهندي - رحمه الله -
فلقد آثر شراب الفانية، ورغب في الدنيّة الدانية، ولا يروي أنه يروي ديوانه،
وهو القائل:

سُغني أبا الهندي عن وطبّ سالم أباريق لم يعلّق بها وضرّ الزُّبد
مَفْدمة قزاً كأنّ رقابها رِقابُ بناتِ الماء أفزعها الرّعْد

هكذا ينشد على الإقواء، وبعضهم ينشد:

رِقابُ نباتِ رِبَعَت من الرعدِ

والرواية الأولى إنشاد النحويين... (١).

أقول: في هذه «الفصلة» من كلام أبي العلاء شيء مما اشتمل عليه
عالم «النعيم» كالولدان المخلدين والشجر والأنهار في أسجاع أراد لها
المعري أن تكون غير بعيدة عن «نواده» و«أوابده». وإذا كان قد أوماً إلى
شيء من الآي الكريم، فإنه لم يعدم أن يأتي بـ «السُّعد» جمع «سعيد» للنهر
الصغير، مشيراً إلى «الأنهار» التي «تجري من تحتها، أي الجنّات» كما في
كثير من آيات التنزيل العزيز. وإذا حفلت الجنّات بـ «أنهار اللّبن» كما أوماً

(١) المصدر السابق، ص ١٤١ - ١٤٣.

وأشار، فإن فيها «أنهاراً من خمر» التي عبّر عنها بـ «جعافر من الرحيق المختوم»، ثم وصف هذا الرحيق بـ «الراح الدائمة» ليأتي بعدها بقوله: «لا الذميمة ولا الدائمة». وفي الجمع بين مادتي «ذمم» و«ذيم» فذلك «لغوية». وقد اتخذ من هذه «الراح الدائمة» سبيلاً يوصله إلى قول في الخمر لعلقمة بن عبدة، وفي هذا وقفة أدبية نقدية تاريخية.

ثم يأتي من وصف هذه الخمرة التي «تغترب بكؤوس من المسجد، وأباريق من الزبرجد» ليخلص من ذلك إلى خمرة شاعر إسلامي هو أبو الهندي، وهي شراب الدنيا «الفانية»، ليأتي بيتين من شعره في الخمرة «أقوى» فيهما، ثم يأتي برواية أخرى سلمت من الإقواء ليقول إن ما كان من «الإقواء» هو «رواية النحويين»، وكأنه أراد أن يقول: إن النحويين يميلون إلى الشواهد «المشكلة».

ثم يعرف المعري بـ «أبي الهندي» بإيجاز ويشير إلى ما كان منه من «الإقواء» ويقول: و«إن كان بنى الأبيات على السكون فقد صح سعيد بن مسعدة في أن «الطويل» من الشعر له أربعة أضرب».

وفي هذه الإشارة فائدة عروضية، وهي شيء من كثير من مواد العروض ذكره المعري ليشير إلى علمه في «العروض» وإلى إجادته هذا الفن ومعرفة لطائف أسرارهِ.

ثم يتحول إلى «الأباريق» ومعانيها المختلفة كقوله: «جارية إبريق» للتي تبارق من حسنها ويستشهد على هذا بأبيات لجاهليين وغيرهم.

وأنت تخرج من هذه القطعة الصغيرة من كلامه بكثير من «الفوائد»، وكأنه أراد أن يقول إن أهل العلم ممن سبقوه لم يأتوا بما أتى، وإن منهجه هذا ليجد فيه الدارسون في كل عصر نمطاً تعليمياً درج المعري عليه في كثير

من مصنفاته التي قصد بها طلابه الأقربين، بادىء ذي بدء، كما قصد غيرهم من طلاب المعرفة.

ولننظر إليه كيف يُشقق هذه الموضوعات ويجهتد في إيجاد السبل للكلام على الشعراء وعلى شعرهم ومعانيهم، فإذا كان الكلام على الخمر التي أشرنا إليها فلا بد له أن يأتي على ذكر عدي بن زيد وما قال في الخمر في «قافيته» التي خَلَّت منها نسخ الديوان كما أشار المعري، ولم تكن في «النسخة التي في دار العلم».

وهذه «الأباريق» جاءت في شعر الأقيشر الأسدي، قال المعري:

«فأما الأقيشر الأسدي فإنه مُنِيَ بقاشر، وشَقِيَّ إلى يوم حاشر، قال ولعله سيندم، إذا تَفَرَّى الأدم:

أفنى تلادي وما جمعت من نَشَبٍ قَرُغُ القواقيز أفواه الأباريق^(١)

وهكذا ينتهي من شاهد إلى آخر لإثبات «الفوائد» التي أشرنا إليها.

ويمضي في وصف «خمرة الجنان» فيذكر من أدب الخمر، وما اشتملت عليه من مجازات وكنيات الشيء الكثير، وما عرف من هذه الخمر الدنيوية منسوباً إلى بلده. وقد يصرفه الحديث عن نَعَم «النعيم» إلى الكلام على «العسل المصفى» كما في الآية^(٢): ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ بها الْمُتَّقُونَ، فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ، وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ، وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ، وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى، وَلَهُمْ فِيهَا كُلُّ الثَّمَرَاتِ.﴾

وهو هنا يعود إلى النمر بن تولب «من الشعراء المخضرمين» فيقول:

(١) المصدر السابق، ص ١٤٧.

(٢) سورة محمد: الآية ١٥.

هل يُقدَّر له أن يذوق ذلك «الأزْي»، فيعلم أن شُهد الفانية إذا قيس إليه وُجدَ يُشاكله الشُّري، وهو لما وُصف «أُم حِصْن»، وما رُزقته في الدَّعة والأمن، ذَكَر حُوَارِي بِسْمَن، وَعَسَل مصفَى، فَرَجَمَه الخالق مُتَوَفَّى، فقد كان أسلمَ وَرَوَى حديثاً منفرداً، وحسبنا به للكلمة مُسرِّداً، قال المسكينُ النِّير:

أَلَمْ بَصُحْبَتِي وَهُمْ هُجُوعٌ خيال طارق من أُم حِصْنٍ
لها ما تشتهي عَسلاً مُصَفًّى إذا شاءت وَحُوَارَى بِسْمَنٍ^(١)

ولننظر إلى أبي العلاء في «العسل المصفى»، كيف اتخذ منه وسيلة ليرتكه إلى الكلام على النمر بن تولب الذي أقرَّ لصاحبه بما تشتهي من «العسل المصفى والحُوَارِي بِسْمَن». لقد ذهب المعريُّ إلى «الأزْي» من أسماء العسل فيأتي بعده بنقيضه ولكنه لم يقل «الحنظل» بل جاء بـ «الشُّري» ليسلم له هذا الوجه من السجع الذي جعله طابعاً في كتابه هذا، لأن الكتاب معقود على «النعيم والجحيم». وقد تجاوز المعري هذا الكتاب، فالتزم السجع في كثير من «كتبه»، وكأنه رأى فيه متسعاً أن يأتي فيه من «النوادر» و«الأوابد» التي حرص على أن يأتي بها فيكون ذلك شيئاً من منهجه الذي قصد إليه.

ثم عرج على «أُم حِصْن» وحكاية خلف الأحمر مع أصحابه في هذين البيتين، ومعناها أنه قال لهم: لو كان موضع «أُم حِصْن» «أُم حَفْص» ما كان يقول في البيت الثاني؟ فسكتوا، فقال: حُوَارَى بَلَمَص، يعني الفالوذ^(٢).

وجعل المعري حكاية خلف الأحمر هذه منطلقاً له ليَجْرُبَ على منوالها

(١) المصدر السابق، ص ١٥٤.

(٢) المصدر السابق، ص ١٥٥.

جملة ألفاظ يُنهى به البيت الأول فيبني عليه ما يجب أن يقال في البيت الثاني . ويظهر المعري هنا مقدار ما عنده من الثروة اللغوية، فيقول:

ويُفرَّغ على هذه الحكاية فيقال: لو كان مكان «أم حصن» «أم جزء» وآخره همزة، ما كان يقول في القافية الثانية؟ فإنه يحتمل أن يقول: و«حُوَارَى بكشء»، من قولهم: كَشَأْتُ اللحم: إذا شويته حتى يَبْسَ...^(١).

ثم يأتي بكلمات أخرى فيبني عليها كلمات أخرى في قافية البيت الثاني ومن ذلك:

حُوَارَى بوزء، أو حُوَارَى بنسء، وحُوَارَى بلزء...

وفي كل من هذه الكلمات معان ودلالات عرض لها واستشهد عليها. ثم قال: فإن خرج إلى الباء فقال: «من أم حَرْبٍ» جاز أن يقول: وحُوَارَى بصَرْبٍ، وهو اللبن الحامض، ويجوز «يَرْبٍ»، أي: عضو من شواء.

ثم يمضي في هذا السبيل فيستبدل بـ «أم حصن» كلمات أخرى فيضع ما يناسبها في آخر البيت الثاني مناسباً لها، ويستغرق هذا العناء صفحات طويلة برأسها^(١).

أقول: ما أظن أن «الدُّرس» التعليمي فرض على المعري هذا المنهج، ومن غير شك أن هذا بعيد عن «مناخ» هذه «المسرحية» التي أسماها «رسالة الغفران»، ولا يقتضي «الغفران» أقل شيء من هذا الدأب المُضني. ولكنني أميل إلى أن «المعري» على انحباسه وزهده وبُعده عن الناس وما يضطربون

(١) المصدر السابق، ص ١٥٥.

(٢) المصدر السابق، ص ١٥٥ - ١٦٤.

فيه كان ميالاً إلى أن يتحدّى هذا العالم وأهله وليس له إلا أن يقول لأهل العلم: ها أناذا، فأين أنتم مما هو عندي!!

ونعود إليه في رحاب النعيم، وفي أنهارها التي «يصيد فيها الوارد سَمَك حلاوة»، لم يُر مثله في تلاوة، لو بَصُرَ به أحمد بن الحسين لاحتقر الهدية التي أهديت إليه:

أَقْلُ مَا فِي أَقْلُهَا سَمَكٌ يَلْعَبُ فِي بَرَكَةٍ مِنَ الْعَسَلِ^(١)

أقول: والمعري يشير إلى المتنبي وكان قد تسلم هدية من عبيد الله بن خراسان وفيها سمك من سكر ولوز في عسل، فما كان من المتنبي إلا أن بعث إليه يشكره في قصيدة منها البيت «الشاهد».

ثم يمضي المعري فيحدثنا عن النحاة في جنات النعيم وهم إخوان متوادون متصافون مستشهداً بقوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾، لا يمسُّهم فيها نَصَبٌ وما هم منها بِمُخْرَجِينَ^(٢).

وهو يحدثنا عما آل إليه أمر أبي العباس أحمد يحيى، ثعلب مع أبي العباس محمد بن يزيد المبرّد من التصافي والتحابّ بعد أن كانا في الدنيا الفانية متباغضين متجافيين، وأنهما صارا في «النعيم» كأنهما «ندمانا جَذِيمة مالك وعقيل...»^(٣).

وهكذا يستعيد المعري أخبار الأدب القديم جاهليّه وإسلاميّة، فهو يشير إلى «ندماني جَذِيمة» وصحبتهما لجذيمة أربعين سنة ثم قتلها وندم على فعلته.

(١) المصدر السابق، ص ١٦٧ - ١٦٨.

(٢) سورة الحجر: الآية ٤٧، ٤٨.

(٣) المصدر السابق، ص ١٦٩ - ١٧٠.

ويشير إلى ما كان من خصومة بين سيوبه والكسائي في الدار الفانية، وكيف تحولاً في النعيم إلى صديقين وقيين، ومثل هذا ما كان من أمر أبي عبيدة والأصمعي .

ثم يذكر شيئاً من أخبار الأعشى وما حدث به أبو عبيدة من أخبار «أيام» العرب، وما أنشد الأصمعي من الشعر القديم في أخبار الجاهليين، وهذا كله يستغرق صفحات كثيرة. وهو هنا يعقد اللقاء بين الشعراء الأقدمين فيسمعهم يخاطب بعضهم بعضاً، وكأنه يقول على لسان بعضهم ما يريد أن يقوله في رفيق له. فمن ذلك قوله:

فيقول عبيد (ابن الأبرص): ألك عِلْمٌ بـ «عديّ بن زيد العبادي»، والمعريّ هنا يجعل عبيداً يخاطب «الشيخ» الذي يسير في رياض الجنة يتفقد ما فيها مما أعدّه الله لأهل النعيم «فيرى قصرين منيفين، فيقول في نفسه: لأبلغنّ هذين القصرين فأسأل لمن هما؟ فإذا قُرب إليهما رأى على أحدهما مكتوباً: «هذا القصر لزهير بن أبي سُلَمي، وعلى الآخر: «هذا القصر لعبيد بن الأبرص...» (١).

ويعرض المعريّ في هذا إلى أن كلاّ منهما كان له من شعره شيئاً يذكر فيه الله وقدرته وحكمته ويأتي بهذه الأبيات لكل منهما.

ولنعد إلى حديث «عبيد بن الأبرص» عن عديّ بن زيد مخاطباً «الشيخ» يقول:

«هذا منزله قريباً منك. فيقف عليه فيقول: كيف كانت سلامتك على الصراط، ومخلصك من بعد الإفراط؟ فيقول: إني كنت على دين المسيح...» (٢).

(١) المصدر السابق، ص ١٨١ - ١٨٢ .

(٢) المصدر السابق، ص ١٨٦ .

ثم يسأله أن ينشده قصيدته الصادية «البديعة» فينشدها، وهي في واحد وعشرين بيتاً^(٤).

ثم يتصدى لعديّ ناقداً معروضاً به أنه «وصل همزة القطع» وهو رديء. والمعريّ هنا يدخل في مشكلات لغوية ونحوية يكون فيها لغوياً مليئاً ونحويّاً صاحب رأي فيقول:

على أنهم أنشدوا:
إن لم أقاتل فآلبسوني بُرْقُعاً وَفَتَخَات فِي الْيَدَيْنِ أَرْبَعَا
وهو يخاطب «على لسان الشيخ» عبداً في قوله في «الصادية»:

يَا لَيْتَ شَعْرِي (وَأَنْ) ذُو عَجَّةٍ

والمراد «وأنا» فيقول له:

ويزيد ما فعلت من إسقاط الهمزة بُعداً، أنك حَذَفْتَ الألف التي بعد النون، فإذا حذفت الهمزة من أول الكلمة، بقيت على حرف واحد، وذلك بها إخلال.

وإما أن تكون حَقَّقْتَ الهمزة فجَعَلْتَهَا بَيْنَ بَيْنٍ، ثم اجتزأت على تصييرها ألفاً خالصة، وحسبك بهذا نقضاً للعادة، ومثل ذلك قول القائل:
يقولون: مهلاً ليس للشيخ عَيْلٌ فهل أنا قد أَعْيَلْتُ «وَأَنْ» رَقُوبٌ
ولو قلت:

يَا لَيْتَ شَعْرِي أَنَا ذُو عَجَّةٍ

فحذفت الواو، لكان عندي أحسن وأشبه، فيقول عديّ بن زيد: إنما قلتُ كما سمعت أهل زماني يقولون، وحَدَّثْتُ لكم في الإسلام أشياء ليس لنا

بها علم. فيقول الشيخ: لا أراك تفهم ما أريد من الأغراض. ولقد هممتُ أن أسألك عن بيتك الذي استشهد به سيبويه، وهو قولك:

أرواحٌ مودَّعٌ أم بُكورُ أنتَ فانظر لأيِّ حالٍ تصيرُ
فإنه يزعم أن «أنت» يجوز أن يرتفع بفعل مضمر يفسره قولك:
«فانظر»، وأنا استبعد هذا المذهب ولا أظنك أردته. فيقول عدي بن زيد:
دعني من هذه الأباطيل... (١).

أقول: فأنت ترى أن المعري ملّم أعظم الإلمام بلطائف النحو ومذاهب النحاة، وأنه وقف من قول سيبويه موقف الرفض في مسألة نحوية اشتهرت لدى جمهور النحاة البصريين، على أنه لم يصرح بالرأي الذي يقوله في «أنت».

وأنت تقرأ في «الكتاب» من مواقف المعري في نقده الرفض لما أتى به الشعراء من وجوه القول، وهذا الجانب «النقدي» واضح كل الوضوح في «الكتاب».

وللمعري اهتمام بـ «العروض» ومشكلاته، ولا بد أن نقف على هذا الجانب من «النقد اللغوي» فنقرأ قوله: ويسأل (أي الشيخ) عن امرئ القيس بن حُجر فيقال: ها هوذا يسمعك فيقول: يا أبا هند، إن رواية البغداديين ينشدون في «قَفَا نَبْكَ» هذه الأبيات بزيادة الواو في أولها، أعني قولك:

«وَكأنْ ذُرَى رَأْسِ الْمُجَيِّمِ غُدُوَّةٌ» (٢)

(١) المصدر السابق، ص ١٩١.

(٢) هو صدر بيت من مطولته وعجزه: (من السيل والغُثاء فلكة مغزل).

وكذلك:

وكأنَّ مَكَائِي الجِوَاءِ^(١)

وكان السُّبَاعَ فِيهِ غَرْقَى^(٢)

فيقول: أَبَعَدَ اللهُ أَوْلَئِكَ! لقد أساءوا الرواية، وإذا فَعَلُوا ذلك فَأَيُّ فَرْقٍ يقع بين النظم والنثر؟ وإنما ذلك شيء فَعَلَهُ مَنْ لا غريزة له في وزن القريض، فظنَّ المتأخرون أصلاً في المنظوم، وهيئات هيئات!^(٣).

أقول: كأنَّ أبا العلاء أراد أن يقول: إن زيادة الواو تخرج بهذه الأشطار عن «الوزن»، وأنها ليست من صنع الشاعر، بل هي زيادة من الرواة في العهود الإسلامية، وهي خطأ. غير أن هذا الخطأ قد ثبت، وما زلنا نروي هذه الأَشْطَارَ بالواو. وقد يكون من هذا ما جاء من نقص هذه «الواو» أو ما يقع في «قدرها» كحذف همزة مفتوحة في مثل قول أبي تمام:

هُنَّ عَوَادِي يَوْسُفَ وَصَوَاحِبُهُ^(٤)

ثم نعود إلى «الغفران» فنجد الشيخ يحاور امرأ القيس في «الجحيم» فيقول:

أخبرني عن قولك:

كِبْكِرَ الْمُقَانَاةَ الْبَيَاضَ بِصُفْرَةٍ

ما أردتَ بـ «البِكر»؟ فقد اختلف المتأولون في ذلك فقالوا: البيضة،

(١) صدر بيت عجزه: (صَبَحْنَ سَلَفًا مِنْ رَحِيقِ مُقْلَقَل).

(٢) صدر بيت عجزه: (بَارِجَائِهِ، الْقَصُوى أَنَابِيشَ عَنَصُل).

(٣) المصدر السابق، ص ٣١٤.

(٤) ديوان أبي تمام.

وقالوا: الدُّرَّة، وقالوا: الروضة، وقالوا: الزُّهْرَة، وقالوا: البرْدِيَّة، وكيف
تنشد: البياضِ أم البياضِ، أم البياضُ؟ فيقول: كل ذلك حسن، واختار
«البياضِ» (بالكسر)، فيقول - فرغ الله ذهنه للأدب - : لو شرحتُ لك
ما قال النحويون في ذلك لعجبتُ.

وبعض المعلمين ينشد قولك:

من السيل والغُثاء فلكة مِغزَلِ

فيشدّد الثاء. فيقول: إن هذا لجُهول، وهو نقيض الذين زادوا الواو في
أوائل الأبيات: أولئك أرادوا النَّسَى، فأفسدوا الوزن، وهذا البائس أراد أن
يصحح الزَّنة فأفسدَ اللفظ، وكذلك قولي:

فجئت وقد نَضْتُ لَنَوْمٍ ثيابها

منهم من يشدّد الضاد، ومنهم من ينشد بالتخفيف، والوجهان من
قولك: نَضَوْتُ الثوب، إلا أنك إذا شدّدت الضاد، أشبه الفعل من
«النضيض»... والتخفيف أحب إليّ، وإنما حمَلهم على التشديد كراهة
الزحاف، وليس عندنا بمكروه^(١).

أقول: وفي هذا نجد المعرّي يقف على كل صغيرة وكبيرة في اللغة
والنحو والرواية، وما يتصل بالمعنى وتوجيهه مما يدخل في الأدب والنقد.

ويمضي المعرّي يأخذ على امرئ القيس ما قصّر فيه من الوزن فيقول
على لسان «الشيخ»:

أخبرني عن كلمتك الصادية والضادية والنونية، التي أولها:

لمن طَلَّلُ، بصرته فشجاني كحَطَّ زَبورٍ في عَسيبِ يَمَانِ

(١) رسالة الغفران، ص ٣١٥.

لقد جئتَ فيها بأشياء يُنكرها السمع، كقولك:
فإن أُمسِرْ مكروباً فيا رَبِّ غارةٍ شهدتُ على أقبِ رِخو اللَّبانِ
وكذلك قولك في الكلمة الصادية:

على نَقِيقِ هَيْقٍ له وَلِعْرِيسِه بِمُنْقَطَعِ الوُعْساءِ بَيْضِ رَصِيصُ
وقولك:

فأَسْقَى به أُختي ضَعِيفَةً إِذْ نَأَتْ وَإِذْ بَعْدَ الْمُزْدَارِ غَيْرَ الْقَرِيضِ
في أشباه لذلك، هل كانت غرائزكم لا تحسّ بهذه الزيادة؟ أم كنتم
مطبوعين على إتيان مَغامُضِ الكلام وأنتم عالمون بما يقع فيه؟ كما أنه
لا ريب أن «زهيراً» كان يَعْرِفُ مكان الزحاف في قوله:

يَطْلُبُ شَأْوَ أَمْرٍ أَيْنَ قَدْ ما حَسَبَا نالا الملوكة، وبِذَا هذه السُّوقَا
فإن الغرائز تحسّ بهذه المواضع... (١).

أقول: لقد وَقَفَ المعرِّي على هذه «المشكلات» في تجاوز الوزن،
واستغربها وتساءل: هل كان الجاهليون يرتكبون هذا ولا يشعرون، أم أنهم
قصدوا إليها للمجيء بـ «المغامض»؟

هذه مسألة تسترعي النظر ومازلنا نحن نقف عليها ولا نملك إلا أن
نعُدّها شيئاً من خصائص الشعر الجاهليّ. وكأنّ المعرِّي يتخيل أن يكون لدى
الجاهليين تصور في النظر إلى هذه المشكلات، فهو يقول فيما تخيّلته جواباً
لامرئ القيس في هذا الشأن:

يقول امرؤ القيس: أدركنا الأولين من العرب لا يحفلون بمجيء ذلك،

(١) المصدر السابق، ص ٣١٧.

ولا أدري ما شَجَنَ عنه، فأما أنا وطبقتي فكُنَّا نمرّ في البيت حتى تأتي على آخره، فإذا فَنِيَ وقارب، تبيّن أمره للسامع^(١). ثم يضع المعري سؤالاً على لسان «الشيخ» يتوجّه به إلى امرئ القيس فيقول:

أخبرني عن قولك:

ألا رَبَّ يومٍ لكَ مِنْهُنَّ صالحٍ ولا سَيِّما يومٌ بدارة جُلُجلٍ
أتشده:

«لَكَ مِنْهُنَّ صالحٍ»

فتزاحف الكاف (٢) أم تنشده على الرواية الأخرى (٣)؟

ثم مضى «المعري» في وجوه إعراب «يوم» وهو كلام معروف ذكره النحاة وأفاضوا فيه، ثم الكلام على «شيء» وتشديد الياء وتخفيفها. وكأن المعري يحدث شيئاً من الجواب فيقول على لسان امرئ القيس:

فيقول امرؤ القيس: أمّا أنا فما قلت في الجاهلية إلا بزحاف:

لَكَ مِنْهُنَّ صالحٍ

وأما المعلمون في الإسلام فغيّروه على حَسَب ما يريدون، ولا بأس بالوجه الذي اختاروه^(٤).

(١) المصدر السابق.

(٢) المراد بـ «تزاحف الكاف» أي: تجعل في كاف «لك» زحافاً. وقد خفي الأمر على محققة الغفران فجعلته «تزاحف الكف» وهي طريقة في رسم النسخ قديماً فهم يحذفون الألف كما في «الحرث» ويريدون «الحارث». ولم تهتد المحققة إلى المراد بـ «الكف»!!

(٣) والرواية الأخرى هي: «ألا رب يومٍ صالحٍ لَكَ مِنْهُمَا».

(٤) المصدر السابق، ص ٣١٨.

أقول: لقد أدرك المعري أن «الزحاف» لا تستريح إليه الأذن فذهب المنشدون إلى إصلاح البيت، وخص ذلك بـ «المعلمين».

ولعل في تخصيص «المعلمين» بهذا إلى أنهم لا يتحرّجون في الرواية فيغيرون كما يتفق لهم. وربما غمزهم ونال من علمهم، وذلك في التعليق على قول امرئ القيس:

من السَّيْل والغُثاء فَلَكَّة مِغْزَلٍ

قال: فأنشد «بعضُ المعلمين» فشدد الثاء، فأفسد «هذا البائس» اللفظ^(١).

والمعري في هذه «الرسالة» ناقد مؤرخ فهو يسعى إلى درس الأدب القديم وإثبات صدقه وأصالته، أصحح أم منحول، ومن أجل ذلك وقف على «التسميط» المنسوب إلى امرئ القيس فسأل الشاعر على لسان صاحبه «الشيخ» فقال:

أخبرني عن التسميط المنسوب إليك، أصحح هو عنك، وهو:

يا صَحْبَنَا عَرِّجُوا تَقِفْ بِكُمْ أُسْجُ
مَهْرِيَّةً دُلْجُ فِي سِيرهَا مُعْجُ
طَالَتْ بِهَا الرَّحْلُ

.....

.....

فيقول: لا والله ما سمعتُ هذا قط، وإنه لقري لم أسلكه، وإن الكذب لكثير. وأحسب هذا لبعض شعراء الإسلام، أبعد كلمتي التي أولها:

(١) المصدر السابق، ص ٣١٥.

ألا أنعم صباحاً أيها الطلل البالي وهل ينعمن من كان في العُصْر الخالي
وقولي:

خليلي مُراً بي على أمّ جُنْدُبٍ لأقضي حاجات الفؤاد المُعَذَّبِ
يقال لي مثل ذلك؟ والرجز أضعف الشعر، وهذا الوزن من أضعف
الرجز^(١).

وهكذا نقف في «رسالة الغفران» على كثير من أخبار الرواة واللغويين
والشعراء والنحاة وغيرهم، كما نقف على كثير من النماذج الشعرية التي كان
فيها وجوه من التأويل وما كان للنقاد فيها.

وإنك لتجد فيه من «الغرائب» الشيء الكثير، وحسبك أنك تقرأ فيه من
«شعر الجن» وما نُسِبَ إليهم طائفة تدخل في هذا الحشد من «الفوائد».
وإني لا اجتزئ بهذا القدر مما ورد في هذا «الكتاب» لأنصرف منه إلى
«الفصول والغايات».



(١) المصدر السابق، ص ٣١٨ - ٣٢٠.

الفصول والغايات

الفصول والغايات^(١)

هو كتاب آخر، أو قل الجزء الأول من كتاب كبير، وهذا الجزء الذي يشتمل على شيء من حرف الهمزة وينتهي بحرف الخاء، فأما سائر الأجزاء فقد ضاعت ولم يبق شيء منها.

وهذا الكتاب كسائر كتبه من حيث مواده فقد اشتمل على جملة كبيرة من العلوم في اللغة والأدب والعروض والنحو والصرف والتاريخ والحديث والفقه والفلك وعلم النجوم وغيرها. وكأنه كان يُملي الفقرة من هذه الأشتات على طلابه، ثم يختمها بـ «الغاية»، وكأنها آخر القول في تلك المسألة فيجعلها كالقافية في البيت. وليست الفقرة كالبيت فقد تأتي موجزة كما تأتي طويلة.

ثم يتبع الفقرة بعد انتهائه بـ «الغاية» بشرح «الغريب» من اللغة فيها. وهذا يعني أنه كان يتوجه في هذا الكتاب إلى طلابه الذين يأخذون عنه. وهذه هي طريقته في كثير من كتبه ما عدا «الرسائل»^(٢) فأنت تجده في

(١) الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ. (منشورات المكتب التجاري للطباعة...)، بيروت.

(٢) لقد جعل المعري لكتابه «الرسائل» كتاباً آخر معيناً يشتمل على مادة شرح هذه الرسائل أسماه: «خادم الرسائل».

«الغفران» قد اتبع هذا المنهج . ولقد ظن أحد أفاضل الباحثين في عصرنا أن «الشرح والتفسير» في الغفران هو من إساءة النسخ ولم يلتفت إليه المحققون، فكأنه حسب أن «الشرح» له مكان آخر أو كتاب آخر، وليس من المقبول أن «يستطرد» المعري فيخلط بين مادة كتابه وأفكاره وبين أشياء من الشرح تفقد الكتاب بهاء وأصالته .

أقول: إن ما ظنه هذا الباحث الكريم غير صحيح، وذلك لأن منهج المعري في «الفصول والغايات» وغيره من الكتب كمنهجه في «الغفران» فهو يتبع الشيء بشرحه، ولا يعد هذا استطراداً لأنه داخل في منهجه «التعليمي» .

ولنعد إلى «الفصول والغايات» لنقول: إن المعري بعد أن ينتهي من «الفقرة» ويختمها بـ «الغاية» يعود إلى إملاء فقرة غيرها فيثبت كلمة «رجع» ويعني بها الرجوع أو العودة إلى الإملاء فيذكر «فقرة» أخرى تنتهي بـ «غاية» فتفسير وشرح . هذا هو منهجه الذي درج عليه في هذا الكتاب كما نستفيدة من هذا الجزء المتبقي منه .

وقد قيل في هذا «الكتاب» ظلماً إنه قصد به مجازاة القرآن أو معارضته . وهذا من غير شك قول أعدائه، وهم كثر . والذي يرجع إلى هذه المواد يجدها في «تمجيد الله والمواعظ» . وأنت تقف فيه على كثير من المواضع يمجد فيها الخالق العظيم مقراً بعظمته وقدرته، معترفاً له بالعبودية والعجز . ولنستقري جملةً صالحة من هذا الجزء، غير أننا نجد أن المعري قد حشد فيه من «النوادر» و«الغريب» في اللغة قدراً كبيراً إلى جنب الفوائد الأخرى في العلوم التي أشرنا إليها . وكأن «المعري» في كتبه أراد أن يستفرغ ما في المعجم القديم من النوادر والأوابد، لأنه يتحرّاه ويقصدها ويعرف بها طلابه .

قلت: إن هذا الجزء من الكتاب يشتمل على شيء من الهمزة ثم ينتهي بالخاء، وهذا يعني أن أوله أي: فاتحة الكتاب وجزءاً من حرف الهمزة هو شيء مما ضاع من الكتاب ولذلك نقرأ في هذا الجزء المطبوع قوله مبتوراً وهو:

سبيل السُّفَر، والهاجمة على نقيع الجَفَر، يشهد خَلَقَها للواحد ملك الدهر، خالق السُّنَّة والشَّهْر، غبْتُ غيبةً بَقْدَر، ثم رَجَعْتُ عن هَجْر، فما كدت أجد من شَفَر، بُدِّلَ مَسْكَنٌ بِقَبْرِ، كأنهم سُقُوا ماء الأَباء. غاية.

أقول: وحين ذكر «الأباء» أتبعها بـ «غاية»، أي: أن الهمزة الأخيرة من «الأباء» هي «الغاية». ثم يتبع كلمة «غاية» بكلمة «تفسير» فيقول:

تفسير: «عن هَجْر»، أي بعد مدَّة، وذكر بعضهم أنه يقال ما ألقاه ألا عن هَجْر، أي: بعد سنة. من شَفَر، أي: من أحد. الأباء: القَصَب، ويقال: إن ماءه قاتل، قال الهذلي:

وَأُسْعِطْكَ فِي الْأَنْفِ مَاءُ الْأَبَاءِ مِمَّا يُشْمَلُ بِالْمُخَوَّضِ
يُشْمَلُ: أي يترك حتى يطول مَكْثُهُ.

وبعد أن انتهى هذا «التفسير» أتبعه بكلمة «رجع»، أي: عود إلى إملاء فقرة أخرى وهي:

رجع: أحلف بسيف هَبَّار، وفرس ضَبَّار، يدأب في طاعة الجَبَّار وبركة غيث مدرار، ترك البسيطة حسنة الحَبَّار، لقد خابَ مُضِيع الليل والنهار، في استماع القينة وشُرْبُ العُقَّار، أصلح قلبك بالأذكار، صلاح النخلة بالإبار، لو كُشِفَ ماتحت الأحجار، فنظرت إلى الصديق المختار، أكبرت ما نَزَلَ به كلُّ الإكبار، نحن من الزمن في خَبَّار، كم في نفسك من اعتبار، ألا تسمع

قديمة الأخبار، أين ولد يَعْرُب ونزار، ما بقيَ لهم من إصار، لا وخالق النار،
ما يُردّ الموت بالإباء. غاية.

تفسير الهَبَّار: القاطع، والفرس الضَبَّار: الذي إذا وثب وَقَعَت يَداه
مجتمعتين. الحَبَّار: الأثر والهيئة. والخَبَّار: أرض سهلة فيها جِحْرَة فأر
ويرابيع، توصف بصعوبة المشي فيها. ومن كلامهم القديم: من سلك
الخَبَّار، لم يَأْمَن العِثَار. والإِصار: الطنب، ويقال الودتد.

وهكذا تنتهي الفقرة الثانية في «الإباء» مصدر «أبى» وهو «غاية»
باصطلاح المعري. ثم أتبع ذلك بـ «تفسير» الغريب.

أقول: وقد جاء في هذا التفسير «الخَبَّار» بالخاء المفتوحة، وهو الأثر
والهيئة. ثم جاء «الخَبَّار» بالخاء المفتوحة وهو أرض سهلة فيها جِحْرَة فأر
ويرابيع... غير أنني لم أجد في «الفقرة» كلمة «الخَبَّار» هذه، وأغلب الظن
أنها سقطت مع جملتها، ولم يلتفت أو ينتبه إلى هذا «السقط» المحقق السيد
حسن القاياتي.

ثم تأتي الفقرة الثالثة منبهاً عليها بكلمة «رجع» وهي جملة فوائد وجمل
مسجوعة تنتهي إلى آخرها بقوله: «مُزَايل للحَوْبَاء»، والحَوْبَاء هذه آخر كلمة
تنتهي بـ «الهمزة» التي جعلها «غاية».

فإذا انتهت جميع الفقر التي آخرها الهمزة المكسورة تحول إلى الفِقْرَ
التي أنهاها بالباء وجعل «الباء» «غاية» وهكذا إلى حرف الخاء وينتهي به هذا
الجزء من «الفصول والغايات».

وكنت أريد أن أصنع معجماً للغة المعري في تصانيفه، ولكنني وجدت
أن هذا المعجم لا يحقق المنهج الذي رَميت إليه في صنعتي لمعجم المتنبي
ومعجم الجاحظ ومعجم ابن المقفع، وذلك لأنني في تلك المعجمات تَحَرَّيتُ

الكلم الخاص وأريد بخصوصيته أنه استعمال خاص جنح فيه صاحبه إلى معنى جديد، أو أنه استعمله خطأ، أو أن الكلمة عامية مردولة، أو أنها تحولت إلى عامية في العربية المعاصرة، أو أن اللغويين أو النحاة قالوا فيها شيئاً خاصاً ذا فائدة تاريخية، أو أنها دخيلة معربة أو أن لها نظائر في لغات «سامية».

وقد وجدت أن هذا كله لا يتحقق لي في معجم للمعري، وذلك لأنه قصد نمطاً معيناً من الكلم ليس من عربيته في ذلك العصر وليس مما نعرفه لدى معاصريه، ولكنه من «النوادر» و«الأوابد» والغريب.

وقد يتساءل المرء: لم كان ذلك؟ والجواب: أنه قصد إليه لأنه أراد أن يعلم طلابه هذا الفن اللغوي وأن يبصّرهم بلطائف العربية. وقد يكون أنه قصد شيئاً آخر وهو التحدي الذي لم يعلنه ولا أوماً إليه لأعلام عصره من اللغويين والنحاة.

وعلى هذا أرى أن يكون للمعري مكان جليل بين اللغويين والنحاة لأنه من علماء هذه الفنون اللغوية، والذي رأيناه من تصانيفه يشهد بهذا فضلاً عما ذكر من أنه شرح كتاب سيبويه غير مرة وعلق عليه مؤيداً ومعارضاً ومضيفاً.

ولنعد الآن إلى الكتاب لنقف على نماذج من الفقر التي انصرفت إلى العلوم التي أشرنا إليها:

قال أبو العلاء:

رجع^(١): ما آمل وقد فقدت أبوي، وأخذت الشبية من يدي، ومشيت إلى الأجل على قدمي، حتى كدت أطؤه بأخمصي، ووقع كل الأيام علي، ونظرت عين المنية إلي، آن اشتعال الوضح بمفرقي، وأنا لا أفارق الغي،

(١) الفصول والغايات، ص ٢.

وأصبح أخا السلامة الحيّ، وأعلم أن المُلحد آخر منزليّ، وأن جسدي مُزايِل
للحُوباء. غاية.

فقرة أخرى:

سِرْبُ المَومة والإجل، ويَدُ الماشية والرُّجل، وسِوار الكاعب والحجل
يشهدن بآله أعظمته نارَ رآها الشَّمَاخ بالغُميم، كأنها الشُّعْرَى العُبور، وأخرى
بالعقيق شُبّهت بحصار والفُرد، وثالثة آنسها العباديّ، وذكر أنّ طعَامها لغار
والهنديّ، وما نار أبي الحُباب غافلة عن ذكر الله مَلَك الظلام، والناران من
الحزن والظما بالله تُحبران، جَرَد مجرد عَضْباً، فأسال به دماً غَضْباً، وقدح من
بيضاء كلائحة المضلّ ناراً لا يسبقها إلى العبادة المِريخ، والصارم يشهد بقدرة
الأول، كأنه مقدّمة ما في الأطباء. غاية.

تفسير: السُّرب القطيع من الظباء، وقد يستعمل في النساء والقطا وغير
ذلك. والإجل: القطيع من البقر خاصة، والنار التي رآها الشَّمَاخ بالغُميم هي
التي قال فيها:

رأيتُ وقد أتى نجرانُ دوني وأهلي دون منزلهم ثبيرُ
ليلي بالغُميم ضوءُ نارٍ تلوح كأنها الشُّعْرَى العُبورُ

والنار التي بالعقيق هي النار التي قال فيها الشاعر، ويقال انه المجنون:
أرى نارَ ليلى بالعقيق كأنها حصارٍ إذا ما أعرضتُ وفُرودها

والعباديّ: هو عديّ بن زيد بن أيوب... وهو الذي يقول:

يا لُبْنَى أوقدي النارا إنّ من تهوّن قد حارا
رُبّ نارٍ بتُّ أرمقُها تقضمُ الهندي والغارا

وَمَلَتْ الظلام، أي: اختلاط الظلام، ومنه قول ربيعة بن مقروم الضبي:
ومطيةً ملّت الظلام بَعَثُهُ يشكو الكلالَ إليّ دامي الأطلل^(١)
ويمضي المعري في منهجه هذا يكمل «التفسير» مع ذكر الشواهد
المفيدة.

أقول: إن الدارس ليجد في هاتين الفقرتين لغة عامرة بـ «الغريب» كما
يجد مواد لغوية معروفة في الأدب القديم مشهورة بنسبتها إلى شعراء
مشهورين كالشماخ و«ناره» و«العبادي» وناره. وهذه الشواهد القديمة من
«نوادير» أدب الجاهلية.

وهو يجد من أسماء المواضع في بلاد العرب مما سجل في «أدبهم»
شيئاً مثل: نجران وثبير والغميم والعقيق. ثم لا يعدم أن يعرف «الشعري
العبور» وهو كوكب نير يطلع بعد الجوزاء، كما يقف على نجم آخر قبل
سُهيل خفي في بعد وهو «حُضار»، وكذلك «الفرد» وهي نجوم تخفى حوله،
وجملة ذلك مواد تدخل في علم الفلك لدى العرب في جاهليتهم مما حفظه
لنا الأدب القديم وأشار إليه المعري في هذه «الفقرة» من «فصوله».

ولنعد إلى «الفصول» ونقرأ فقرة أخرى في تسبيح الله وتمجيده والإقراء
بعظمته، قال:

رجع^(٢): لله الغلب، وإليه المنقلب، لا يُعجز الطلب، بيده السالب
والسلب...

ويقول في فقرة أخرى^(٣):

(١) المصدر السابق، ص ٢ - ٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٤.

(٣) المصدر السابق، ص ٥.

كَمْ حَيٍّ بَلَغَ الدَّرَكُ، وَجَدَ رَبَّهُ أَوْشَرَكَ، وَجَمَعَ لِنَفْسِهِ فَمَا أَتَرَكَ،
وَارْتَحَلَ إِلَى الرَّمْسِ فَأَرَّكَ. مِنَ الشَّحِّ أَمَرَكَ، وَعَلَى الدُّنْيَا أَمَرَكَ، أَخَالَفَكَ الَّذِي
صَوَّرَكَ! كَلَّا وَعَظَمْتَهُ لَقَدْ أُنْذِرَكَ، هَتَكَتَ سِتْرَ التَّوْبَةِ فَسَتَرَكَ، وَجَاهَرْتَ
بِالْمَعْصِيَةِ فَأَخْرَكَ، وَاسْتَنْصَرْتَ بِهِ فَنَصَرَكَ، وَهُوَ أَحْفَى بِكَ مِنَ الْقُرْبَاءِ. غَايَةٌ.

ولنقف الآن على فقرة أخرى حفلت بـ «الغريب» كما حفلت بشخص
وأعلام كان لها في الجاهلية مقام وتاريخ وشهرة، وهو يبدأ هذه الفقرة بالكلام
على قدرة الله وعظمته فيقول^(١):

إِذَا أُذِنَ رَبَّنَا أَحْضَرَ الدَّرِينَ، وَتَبَجَّسَتْ بِالمَاءِ الْإِرِينَ، وَوَفَى لِقَرِينِهِ
الْقَرِينَ، وَرَاحَتْ السَّاجِسِيَّةُ وَمَأْوَاهَا الْعَرِينَ، وَلَحِقَتْ بِالْقَلَائِدِ الْبُرِينَ، نَضِيرُ
بُرَّةٍ الْعَادَةِ عِقْدًا، وَبُرَّةُ النَّاقَةِ فِي عُنُقِهَا قِدَا، وَذَاكَ مِنَ الْقُدْرَةِ لَيْسَ بِيَدِيعِ،
مَا فَعَلَ - ابْنَا قَيْلَةَ^(٢) - وَبَنُو بُقَيْلَةَ، وَالرَّائِحَةُ وَالْعَازِبَةُ، وَكَسْرَى وَالْمَرَازِبَةُ، جَرَّ
الزَّمَنَ عَلَيْهِمْ ذِيلاً، وَأَجَرَتْ الْخُطُوبُ فِي دِيَارِهِمْ سَيْلاً، وَعَادَ النَّهَارُ فِي
دِيَارِهِمْ لَيْلاً، وَرَكِبُوا لِلْمَنَايَا خَيْلاً، وَشَرَبُوا جَشَراً وَقَيْلاً، وَكَانُوا لَا يَرْهَبُونَ مِنْ
الدُّوَلِ مَيْلاً... .

أقول: وبعد أن أشار إلى قدرة الله وعظمته عطف على الأمم التي كان
لها سطوة في الأرض ثم أتى عليها الزمان فعادت أثراً بعد عين.

وهو يفسر فيقول: الدَّرِينَ: اليبيس. والإِرِينَ: جمع إِرَّة، وهي النار
بعينها، ويقال للموضع الذي تكون فيه النار: إِرَّة، وجمعها على وجهين: إن
شئت أن تجعله مثل الزَّيْدِينَ بواو في الرفع وياء في النصب والخفض، وإن

(١) المصدر السابق، ص ١٨.

(٢) ابْنَا قَيْلَةَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ.

شئت أن تجعل نونه مثل نون «مسكين» فتجري عليه الإعراب، وقد يُفعل ذلك بنون «مسلمين»، وهو في «ارين» وبابه من المنقوص أكثر.

أقول: ولا تعدم أن تجد في «تفسير» المعري فوائد لغوية صرفية ونحوية وذلك لأنه يتوجه بهذه الفوائد النادرة في جمع اسم من الأسماء واشتقاقه، إلى طلابه.

ولنقف على فقرة أخرى جمع فيها من مصطلح علم القوافي الذي هو داخل في «العروض» قدرًا، ثم عادَ ففسّر هذه المصطلحات، قال^(١):

سَبَّحَ لَكَ تَأْسِيسُ يُمَالٍ وَيُفَخِّمُ، وَالرَّدْفُ بِخَمْسِ جِهَاتٍ تَفْهَمُ، وَالرَّوْيُ بِحُرُوفِ الْمَعْجَمِ، وَالْوَصْلُ بِأَرْبَعَةِ مَذَاهِبٍ يَتَرَنَّمُ، وَالخُرُوجُ بِثَلَاثَةِ تَعْلَمُ، إِنْ رَسَّ التَّأْسِيسُ، كَرَسَّ الْأَنْبَسُ، دَائِمُ الْعِبَادَةِ، وَدَائِمُ التَّقْدِيسِ، وَدَأَبٌ فِي التَّعْظِيمِ، الْإِشْبَاعُ فِي كُلِّ نَظْمٍ، وَشَهْدُكَ التَّوْجِيهِ، شَهَادَةُ الْوَجْهِ، وَالْحَذْوُ بِآلَائِكَ مِنْبَثَّةٌ، وَكَذَلِكَ الْمَجْرَى، أَيْنَ تَصَرَّفَ كَلَامٌ وَجَرَى، وَالنَّفَازُ تَحْذَرُ نَوَافِذَ الْقَضَاءِ. غَايَةٌ.

فأنت تجد التأسيس والردف والروي والوصل والخروج والرّس، والإشباع والتوجيه والحذو، والمجرى والنفاذ، وكل هذا من مصطلح العروضيين في «القوافي».

وفي فقرة أخرى يأتي بـ «الرُّخَال» فيكون ذلك مناسبة أن يأتي بما جاء من الجمع على «فُعَال» وهو جمع عزيز في العربية، قال^(٢):

يَا رَاعِي الضَّائِنَةَ ارْتَعِ فِي الْيَنَمَةِ كَيْفَ شِئْتَ، وَاصْطَفِ لِنَفْسِكَ مَا أَحْبَبْتَ مِنَ الرُّخَالِ، إِنَّ لَكَ وَقْتًا يُلْهِيكُ عَنِ الشَّأِ وَالرُّبَابِ. غَايَةٌ.

(١) المصدر السابق، ص ٣١.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٢.

قال: والرُّخَال جمع رَخَل: وهي الأنثى من أولاد الضَّان، وهذا جمع شاذ وهو أحد جموع ستة ذكرها يعقوب وغيره وهي: رُخَال وتُوَام ورُبَاب جمع رُبَى و... .

وهو يحاول في هذه الفقرة أن يأتي بالغريب والنادر وما كان لغة لإحدى القبائل كقوله^(١): فَازَ مِنْ رَضِيَ فَعَلَهُ مَوْلَاهُ، رُبَّ مُسْتَعْصِي الْقَوْسِ عَلَى سَوَاهٍ، يَغْسِلُ رَمَحَهُ فِي يَدَاهُ. وقوله في «يداه» على لغة بلحارث بن كعب، وهو يأتي بالشاهد المعروف في كتب النحو وهو في التزام المثنى بالألف وهو قول هوibr الحارثي:

نَزَوْدُ مَنَا بَيْنَ أُذْنَاهُ ضَرْبَةً دَعَتْهُ إِلَى هَابِي التَّرَابِ عَقِيمٍ
وقد يأتي بالفقرة وهي مشتملة على ضروب السير^(٢) وهي كثيرة.

وهكذا نجد الكثير من الفوائد الصرفية والنحوية وما كان من الغريب كما لا نعدم أن نجد شيئاً من أخبار النحويين واللغويين والشعراء. وهكذا تنتهي من هذه النماذج فنختم بها الكلام على هذا السفر النفيس.



(١) المصدر السابق، ص ٦٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٦٥.

عبث الوليد

عبث الوليد (١)

ولنعرض لكتاب آخر من كتب أبي العلاء هو «عبث الوليد»، وهو في الكلام على شعر أبي عبادَة الوليد بن عبيد البحتري.

لقد وسم أبو العلاء كتابه بـ «عَبَثَ الوليد»، وهذا الاسم لا يخلو من النبز، ولا يخلو من التحامل وذلك أن الاسم يوحي إلى أن شعر البحتري شيء من «عبث». وفي إضافة «العبث» إلى «الوليد» ضرب من التورية، فقد يكون شعر البحتري في نظر أبي العلاء الشاعر الأديب اللغوي الناقد شيئاً من العبث الذي يمارسه «الصبية» الشداة. و«الوليد» هنا هو الصبيّ العابث في معناه المراد الذي قصد إليه أبو العلاء، وهو يورّي عنه بأن «الوليد» هو اسم البحتري الشاعر.

ولنتطلق مع أبي العلاء في الوقوف على «عبث» البحتري «الوليد» بن عبيد أبي عبادَة فنقرأ في أول فاتحة الكتاب قول أبي العلاء:

أثبت ما في ديوان البحتري مما أصلح من الغلط الذي وُجدَ في النسخة المكتوب في آخرها أنها بخط ظفر بن عبد الله العجلي.

ولنقف قليلاً على قول المعري: إن الديوان «أصلح من الغلط» الذي وجد في النسخة...

أقول: وهذه العبارة تشعر أن المعري كان يتحرى الوقوف على الغلط فيصلحه وهو معتمد على نسخة أشار إليها. وقوله هذا لا يشعر أنه ناقد غير متحيز ولا متحامل ذلك أن «الغلط» الذي وجده فأصلحه ربما كان في هذه «النسخة» المشار إليها أي من صنع الناسخ، ولعل هذا «الغلط» المزعوم غير موجود في نسخ أخرى.

وهو يتوجه بهذا الديوان «المُصلح» من هذه النسخة إلى أحدهم فيقول: وإنما أثبت ذلك ليكون مولاي الشيخ الجليل — أدام الله عزه — كأنه حاضر للقراءة، ولم يمكن إثبات جميع الأغلاط لأن أكثرها غير مُخيل. وقد وُصِّلَ بذكر شيء مما أجرى إليه أبو عبادة من الضرورات وما يجتنبه أمثاله وبالله التوفيق.

ولنأت إلى النقاط التي أشار إليها أبو العلاء فحملها على الغلط الذي وجده في «النسخة» ومنه:

١ — كان في نسب البحري «تدول» بالذال، والمعروف «تدول» بالذال، ولم يستعملوا «الذول» في كلامهم، وإنما هو مُسمًى بـ «تدول» الذي هو فعل مضارع من «دالت الدولة»، ومن «دال الشيء يدول» إذا تغير.

أقول: لو أن المعري لم يكن ساعياً إلى التشبث بوجود الغلط والاحتفال بذلك تحاملاً على البحري، لكان في غنى أن يذكر هذه المسألة، وكان عليه أن يحملها على خطأ الناسخ، وأي عيب في البحري إن أخطأ ناسخ ديوانه فجعل «تدول» «تدول» بالذال؟!!

وتصحيف ما كان بالذال وجعله بالذال أو العكس كثير في العربية في

المخطوطات، ورُبَّما حوّل هذا التصحيف ذوات الدال إلى ذوات الدال وبالعكس. ومن غير شك أن من هذا التصحيف ما أضيف إلى اللغة وكان من متنها وعُدَّ من «الإبدال» اللغوي.

وما زالت هذه الظاهرة اللغوية تحدث في العربية المعاصرة في المطبوعات الحديثة. وبعد كل هذا، هل يجوز لنا أن نحمل هذه «المسألة» على «العبث»؟

٢ - وقال: وجاء في «النسخة»: جَلْهَمَة بفتح الجيم وذلك غلط، وإنما هو «جُلْهَمَة» بضم أوله والجُلْهَمَة: جانب الوادي مثل الجَلْهَمَة. وفي الحديث: «ما كدت تأذن لي حتى تأذن لَقَطَا الجُلْهَمَة» (كذا) والميم عندهم زائدة.

أقول: وقوله في «النسخة» يُدَلّ على أن ذلك من صنع الناسخ، فأَيُّ «عبث» من الشاعر، وإذا كانت الكلمة بالفتح وصوابها بالضم فهل يحمل ذلك على «العبث»؟

ولا أدري كيف أَسْمِي هذا «التحامل» نقداً؟

ثم لننظر ثانية في صواب «ضم الجيم» في «الجُلْهَمَة» وما قيل فيه في كتب اللغة.

أقول: جاءت الكلمة في الحديث كما ورد في «الكتاب». وقال ابن الأثير: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخر أبا سفيان في الإذن عليه، وأدخل غيره من الناس قبله، فقال: ما كدت تأذن لي حتى تأذن لحجارة «الجُلْهَمَتَيْن» قبلي. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: كل الصيد في جوف الفراء.

أقول: ورُوِيَ الحديث بفتح الجيم، قال أبو عبيد: إنما هو «لِحِجَارَةِ الْجَلْهَتَيْنِ» والْجَلْهَةُ: فم الوادي، وقيل جانبه زيدت فيه الميم كما زيدت في زُرْقَمَ وَسُتْهُمَ.

وأبو عبيد يرويه بفتح الجيم والهاء، وشمر يرويه بضمهما، قال: ولم أسمع الْجَلْهَةَ إلا في هذا الحديث (النهاية ٢٩٠/١).

وجاء الحديث برواية ابن الأثير في «اللسان» و«التاج» (جلهم)، ولم يرد في كتب الحديث، وقال ابن برّي: «والمشهور في الروايتين بفتح الجيم، قال: ولم يرو أحد بضم الجيم إلا شمر وابن خالويه، قال: والدليل على أنه مفتوح قول أبي عبيد أنه أراد الْجَلْهَتَيْنِ فزاد الميم، قال: ولو كانت الجيم مضمومة لم تكن زائدة»، اللسان والتاج (جلهم).

ولنرجع إلى حديث أبي سفيان كما جاء برواية المعري في «عبث الوليد»:

أقول: جاء الحديث مصحفاً كما في قوله: «حتى تأذن لقطا الجلهمة»، وهذا مخالف لما ورد في «شرح الغريبين» لأبي عبيد الهروي ولما ورد في «النهاية» و«اللسان» و«التاج». ألم تكن «الجلهمة» بالإنفراد لا التثنية من خطأ الناسخ؟

ثم ما معنى «قطا الجلهمة» والصواب: «حجارة الجلهمتين»، ألا يجوز أن تكون «قطا» هذه مصحفة عن «حصا» التي رُسِمَت في النسخة المخطوطة القديمة بالألف القائمة وصحَّفها الناسخ إلى «قطا»؟!

وهذا كل ممّا لم تنتبه إليه المحققة لـ «عبث الوليد» ناديا علي الدولة.

أقول: ولعل في الحديث رواية هي «حصى الجلهمتين»، أو أن المعري استبدل الحجارة «بحصى» وهو بمعنى «الحجارة» توهماً منه!!

وكان على المحققة أن تقف على رواية المعري لتقول في الأقل: إن «القطا» غير صحيحة.

ولنمض في هذا الضرب من النقد الذي حمل على «عبث» الشاعر «الوليد» فنقرأ في حرف الهمزة قول البحري:

٣ - وقال:

فلعلني ألقى الردى فيريحني عما قليل من جوى البرحاء^(١)

قال المعري: الأكثر في كلامهم «لعلني» وبها جاء القرآن.

أقول: والنحويون إجماع على هذا. ثم قال المعري: وربما جاء «لعلني». وهذا أيضاً أجمعوا على ذكره واستشهدوا له بقول حطائط بن يعفر أوحاتم الطائي على الخلاف في النسبة، وهو:

أريني جواداً مات هزلاً لعلني أرى ما ترين أو بخيلاً مخلداً^(٢)

ذكر المعري هذا الشاهد وأشار إليه بقوله: وربما جاء «لعلني» وهذا البيت ينشد على وجهين: «لعلني» ومنهم من ينشد «لأنني» وهو بمعنى «لعلني».

أقول: إذا كان قول البحري «لعلني» صحيحاً وله وجه في استعمال أهل الجاهلية، فأي موجب أن يحمل على «العَبَث»؟

(١) عبث الوليد، ص ٧.

(٢)

٤ - وجاء في هذه القصيدة الهمزية قول الشاعر في الصفحة ٩ :

وأطال في تلك الرسوم بكائي

فقال المعري : كانت الكاف في «تلك» مفتوحة، وقد حُكَّت وكُسِرَت والكسر غلط في هذا الموضع لأنها إنما تكسر إذا كان الخطاب لمؤنث، وقد دلَّ ما بعد هذا البيت وقبله على أنه يخاطب مذكراً، وقد ادَّعى بعضهم أنَّ كاف «ذلك» تعرب في الضرورات وينشد :

وإنما الهالك ثم التالكُ مُدْفَع ضاقت به المسالكُ
كيف يكون النوك إلا ذلك

وهذا لا يقبل ممن حكاها، إذ كان تسكين القافية لا مؤونة فيه ولا اضطراب، ولو صحَّ أن كاف «ذلك» ترفع لجاز أن تخفض كاف «تلك» في بيت أبي عبادة.

أقول : لقد سقت كلام المعري كله لأري الدارسين أن صنيع المعري في تعليقه ضرب من «العبث»، والعبث منسوب إليه لا إلى البحتري الذي نعت به «الوليد» نبزاً. ولنعد إلى تعليق المعري فنجد أنه اعترف أن الكاف في «تلك» كانت مفتوحة، وقد حُكَّت وكُسِرَت.

أقول : ألا يجوز أن الذي حك الفتحة واستبدل بها الكسرة أحد القراء الجهلاء أو الناسخ الجاهل نفسه، وأي عبث في هذا من الشاعر؟

وكان «المعري» في اعتماده على شيء فعله أحد الجهلاء أراد أن يختلق شيئاً لا وجود له لينسب «الغلط» إلى الشاعر، وليكون كسائر النحاة المتأخرين الذين يتحرّون الغلط، بل يصطنعونه لينسبوا الشاهد إلى الغلط أو الشذوذ، فقد أطال الكلام على كاف «تلك» وأنها تكسر إذا كان الخطاب

بالمؤنث. والخطاب في ذلك، كما أَدْعَى واصطنع ولَفَّق، إلى المذكر بدلالة البيت الذي قبله، ومثل هذا صنعه النحاة في كثير من شواهدهم ليكشفوا عن «حذقهم» في صناعة النحو.

٥ - وجاء في الصفحة (١١) قول الشاعر في «الهمزية» أيضاً:

ما زلت تفرع بابَ بابِكَ بالقنا وتزوره في غارةٍ شَعْوَاءٍ
وقد علّقَ المعريّ على هذا البيت تعليقاً لو صدر عن أحد الصبية لقلت
إنه صبي غير راشد فكيف يكون ذلك من صنع أبي العلاء الشاعر العبقرى
والعالم الألمعي والناقد الحصيف!! ذلك ما كنت أستبعده، ولكني حين
وجدت أبا العلاء ينخرط في طائفة النحاة المتأخرين وجدت في نفسي ميلاً
إلى قبوله والتوطن عليه، وذلك لأن هؤلاء قد شغلوا أنفسهم بما وَجَبَ ألا
يكون. قال أبو العلاء:

«كانت الرء مفتوحة في «تزوره» وذلك غلط، لأن «الواو» ها هنا (أي
وتزوره) لا يجوز نصب ما بعدها، إذ كانت ليست في أحد الوجوه التي يجوز
فيها النصب».

أقول: أراد بـ «الواو» قبل الفعل «تزوره» واو المعية وكأنه قال ويشترط
في مجيء هذه الواو التي ينصب الفعل بعدها شروط، وليست متوفرة.

لقد حَمَلَ المعري الشاعر غلطاً لم يرتكبه، والفتحة التي رسمت، وهي
غلط، من صنع الناسخ الجاهل، ألم يكن هذا التنقيح عن الخطأ الموهوم
الذي لا وجود له تحاملاً؟ ثم أين النقد اللغوي البريء من التحامل، ثم أليس
هذا شيئاً من «عبث المعري» لا «الوليد» البحترى؟

٦ - وقال الشاعر في «همزته» في الصفحة (١١) أيضاً:

بصواعق العَزَمَات والآراء

وقد علّق المعري على عجز البيت هذا فقال: الأصل أن يكون بعد
الراء من «الآراء» همزة، فيقال: «الأراء»، ويجوز «الآراء» على القلب، كما
قالوا: الأسار في «الأسار» جمع سُور، أي: بقية، والقلب في الآراء أوجب
لأن في الكلمة ثلاث همزات، وأنشد أبو عبيدة:

وأنا لنضرب جعفرأ بسيفونا ضرب الغريبة تركب الأسارا
أقول: إذا كان البحر ي قد استعمل الصحيح وهو «الآراء» كسائر أبناء
العربية، فهل ذاك من «عبث الوليد».

مما لا شك فيه أن المعري أراد أن يأتي على الكلمات الثلاثية التي
عينها همزة نحو: رثم و «بثر» التي قال فيها أهل الصرف أنها تجمع على
«أفعال»، ولمكان الهمزة يحدث فيها القلب فقولهم: «آرام» مقلوب «أرءام»
و «آبار» مقلوب «أبآر». وعلى هذا يكون «آرام» و «آبار» على «أفعال» بسبب
القلب الذي صير إليه بسبب الثقل في «أرءام» و «أبآر». ويجري على هذا كل
ما جاء من الثلاثي مهموز العين.

أقول: كأن المعري أراد أن يُعلّم طلابه هذه المسألة اللغوية فلم يحسن
بسطها في عبارته، وهي شيء يخص به المعلّم طلابه الشداة، فما الموجب
أن تحسب هذه من «عبث» الشاعر، وهي مسألة صحيحة؟!

وكانه أراد أن يأتي من عرضه بشاهد على جمع «سُور»، وهو «آسار»!
٧ - وجاء في هذه «الهمزية» أيضاً في الصفحة (١٢) قول البحر ي:
أشلى على منوبل أطراف القنا ونجا عتيق عتيقة جرداء
وقد علّق المعري على هذا البيت فقال: يُنكر عليه أنه قال: «أشلى»
في معنى «أغري»، والمعروف أن «الإشلاء» في معنى الدعاء لا معنى

الإغراء. وقد حُكي أن الكميت استعمل «الإشلاء» في معنى «الإيساد»،
ويُروى هذا البيت في شعره:

خَرَجْتُ خُرُوجَ الْقِدْحِ قَدَحِ ابْنِ مَقْبَلٍ عَلَى الرِّغْمِ مِنْ تِلْكَ النَّوَاجِحِ وَالْمُشْلِيِّ
وَإِنَّمَا يُنَكِّرُ ذَلِكَ مِنْ يَرُدُّهُ إِلَى السَّمَاعِ، فَأَمَّا مَنْ يَحْمِلُهُ عَلَى الْقِيَاسِ فَهُوَ
عِنْدَهُ جَائِزٌ، لِأَنَّهُ يَجْعَلُ «الإشلاء» دَعَاءً لِلْمُشْلِيِّ إِلَى أَذَاةِ الْمُشْلَى عَلَيْهِ.

أقول: إذا كان «الإيساد» بمعنى الإغراء، وأوسدتُ الكلب بالصيد
وأَسَدْتُهُ إذا أَغْرَيْتَهُ بِهِ، وَلَا يُقَالُ أَشْلَيْتُهُ إِنَّمَا «الإشلاء» الدَّعَاءُ، يُقَالُ: أَشْلَيْتُ
الشَّاةَ وَالنَّاقَةَ: إِذَا دَعَوْتَهُمَا بِأَسْمَائِهِمَا. كَذَا وَرَدَ فِي «اللسان» وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ
السَّكَيْتِ.

وقول المعري في الاعتماد على هذا المنقول عن ابن السكيت، غير أن
استعمال «الإشلاء» كما جاء في بيت الكميت يؤذن بصواب قول البحري،
وإن «الإشلاء» هو «الإغراء»، وليس في الأمر تناقض لأن في «الإغراء» دعاء،
وأنت لا تغري أحداً بشيء إلا ضمته شيئاً من معنى الطلب، أي «الدعاء».

٨ - وجاء في «همزية» أخرى أيضاً في الصفحة (١٤) قول البحري:
إِنْ لَلْبَيْنِ مِنْهُ مَا تُؤَدِّي وَيَدَا فِي تُمَاضِرٍ بِيضَاءِ
وقد علق المعري فقال: كان في «النسخة» «تَماضِر» بفتح التاء وضم
الضاد، وهذا غلط، والمعروف في أسماء النساء «تَماضِر» بضم التاء وكسر
الضاد، وكذلك ينشدون قول الضبي:

حَلَّتْ تُمَاضِرُ غَرْبَةً فَاحْتَلَّتْ

وقول العبيسي:

فِيالَيْتَ أَنِّي لَمْ تَلْدَنِي تُمَاضِرُ

وإذا قيل: «تَماضِرُ» بفتح التاء، فهو مصدر «تفاعَلَ». وإذا ضُمَّتِ التاء فأصل الاسم فعل مضارع سُمِّيَ به، كما سُمِّيَتِ المرأة «تُكْتَمُ» و«تُكْنَى».

وذكر ابن السراج عن قوم من النحويين أنهم جعلوا «تَماضِرُ» في الأبنية التي أغفلها سيبويه، وهذا وهم، لأنَّ «تَماضِرُ» تُفاعِلُ من قولك: ما ضَرَّتْ تَماضِرُ، فإِما أن يكون مأخوذاً من اللبن الماضِر، وهو الحامض، وقيل: الأبيض، فكأنه من ماضَرْتُ الرَّجُلَ، إذا سقيته وسقاك اللبن، وإِما أن يكون من مُضَر، كأنه من «ماضَرْتُهُ» إذا نَسَبْتَهُ إلى مُضَر.

أقول: وهل ظُلِمَ أبلغ من ظلم المعريِّ للمعري، إنه ينسبه إلى «العبث» في شعره بحجة أنه قرأ في «نسخة» من نسخ الديوان «تَماضِرُ» بفتح فضم، وكأنه أراد أن يتناسى عمل النساخ الجهلاء.

ولقد اتخذ من هذا الخطأ في ضبط الناسخ لـ «تَماضِر» حجة أو مناسبة للكلام على الكلمة واشتقاقها ودلالاتها، وكله معروف، وقد ذكر هذه المسألة ابن جني في «إعراب الحماسة» كما يشير البغدادي في الخزانة ٤٠٣/٣ - ٤٠٤.

٩ - وجاء في هذه القصيدة الهمزية في الصفحة ١٦ قول البحري:
لم تُقَصِّرْ عَلاوَةَ الرُّمَحِ عَنْهُ قِيدَ رُمَحٍ وَلَمْ تَصْنَعْهُ خَطَاءً
وعلق المعري فقال: خَطَاء: بفتح الخاء رديء إلا أنه جائز، وقد حُكي عن بعض القراء المتقدمين أنه قرأ «وكانَ خَطَاءً كبيراً»^(١) بالفتح والمد، والكسر أجود ليكون مصدراً لـ «خاطأتُ» لأنهم قالوا: تخاطأتَه المنية، قال الشاعر:

تَخاطأتِ النَّبْلُ أَحْشَاءَهُ وَأُخِرَ يَوْمِي فلم يعَجَلْ

(١) سورة الإسراء: الآية ٣١، «إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا».

ويجوز أن يكون «خِطَاء» من «خَطِئْتُ» وهو مأخوذ من الخطوة، كما يقال: خطاه الله السوء، أي: جعلَ السوء يخطوه فلا يمرّ به.

أقول: إن تعليق المعري صحيح في مادة «خِطَاء» وكونها جاءت بالفتح في بعض القراءات، والذي قاله في وجوها حسن.

غير أنني أعود فأقول: أما كان عليه أن يحسم الأمر فيصلح الفتحة التي أساء في وضعها الناسخ ويضع الكسرة وتنتهي المشكلة، وليس من «عبث» في تلك الحال، ولا يهتم الشاعر في شيء. ولكنه أراد أن يتخذ مما أتى به جهل الناسخ مدعاة ليبسط علمه في هذه المشكلات اللغوية الصغيرة.

أما قوله: ويجوز أن يكون «خِطَاء» من «خَطِئْتُ» وهو مأخوذ من «الخطوة» ففيه نظر، ذلك أني أرى أن «خَطِئْتُ» مصحفة من «خَطِئْتُ» وهو «فَعِلَ» مهموزاً، والمصدر «خِطَاء» لأنَّ مصدر المضعف «خَطِئْتُ» كما أثبتت المحققة هو «تخطئة» وليس «خِطَاء». ولعل ما أوهم المحققة هو الرسم فقد رسم المهموز بالتسهيل وأهملت الهمزة، وهذا هو دأب النساخ في عامة المخطوطات في الهمزة المكسورة ما قبلها يرسمونها ياءً. وهم يحذفون الهمزة المتأخرة فالأشياء والأجزاء والشيء والنوء ترسم كلها من دون همزة.

وهذه مسألة فاتت المحققة فأحدثت خطأً أجّل المعري أن يقع فيه.

١٠ — وجاء في هذه القصيدة أيضاً في الصفحة ١٧ قول البحري:

بُتْهَا وَالْقُرْآنُ يَصْدَعُ مِنْهَا الـ هَضْبَ حَتَّى كَادَتْ تَكُونُ جِرَاءَ

أقول: وهذه المسألة كسابقتها فقد كان من جهل الناسخ أن فتح الحاء في «حراء» وهو غلط والصواب الكسر.

ولم يحمل المعري هذه المسألة على إساءة الناسخ فيغض الطرف، بل

راح يستفيض في الكلام على «حراء» وما فيها من الضبط والقصر والمد وعدم التنوين. وهذه المسألة كغيرها من المسائل التي حَفَلَ بها «عبث الوليد».

وعلى هذا كان «عبث الوليد» كما أراد المعري مدعاة أن يكون كتاب لغة في الدلالات والصرف والاشتقاق والنحو وغير ذلك، وليس شيئاً يتصل بعبث الشاعر وتقصيره.

ويدلّ على هذا ورود «القرآن» غير مهموز في البيت الأمر الذي جعل المعري يتكلم عليه، وإن القراء قرأوا بالهمز وتركه، وأدّى به هذا إلى القول: ويجوز أن يكون من القرء الذي هو وقت...

واستشهد على ذلك بشواهد من أشعار العرب...

١١ - وجاء في هذه القصيدة في الصفحة ٢٠ قول البحري:

لم تَنَمَ عن دعائهم حين نادوا والقنا قد أسالَ فيهم قَناء

وعلق المعري فقال: مَدَّ القنا في آخر البيت وهو من القناة الجارية، وأصله مأخوذ من التشبيه بالقناة النابتة، ومَدَّ المقصور سائغ عند كثير من أهل العلم وقد كثر في أشعار المحدثين، فأما الفصحاء المتقدمون فهو في أشعارهم قليل، وهذا البيت ينشد على مَدَّ المقصور:

سَيُغْنِينِي الَّذِي أَغْنَاكَ عَنِّي فَلَا فَقْرَ يَدُومُ وَلَا غِنَاءَ

وقد أدعي على سيبويه أنه أومأ إلى مَدَّ المقصور في ضرورة الشعر لما ذكرها في أول «الكتاب».

أقول: وهذه مسألة لغوية أراد الكلام فيها وهي بعيدة عن «غلط» مرتكب، وقد وجد في البيت مناسبة أو قل علاقة للبحث اللغوي التاريخي.

١٢ - وجاء في هذه القصيدة في الصفحة ٢٣ قول البحرّي:
ولماذا تَكْرَهُ النفسُ شيئاً جعل الله الخُلْدَ منه بَواءَ
وقد علق المعريّ فقال: كان في «النسخة»: «جَعَلَ الله الفردوس منه
بَواءَ» وهو كَسْر، والتغيير الذي ذكره ابن العميد «جَعَلَ الله الخلد منه بَواءَ»،
وقد جاء أبو عبادة في شعره بمثل هذا في غير موضع...
أقول: وهذه ظاهرة رصدتها المعريّ ووقف منها على نماذج من
الخروج على الوزن.

١٣ - وجاء في قصيدة بُنيت على الواو بعدها ألف في الصفحة ٢٧
قول البحرّي:

لقد أرشدتنا النائباتُ ولم يكن ليرشُدْ، لولا ما أرْتناه مَنْ يَغْوَى
وقد علق المعريّ فقال: يغوى رديئة جداً، لأنّ المعروف غَوِيَتْ
أغوي، ويجوز أن يكون البحرّي قالها كذلك، وإذا ضُمّت الياء مِنْ «يُغْوَى»
خَلَصَ البيت من استعمال لغة رديئة لأنه يُحْمَلُ على «أَغْوَى يُغْوَى»،
والأحسن إذا فُعِلَ ذلك أن تُضَمَّ الياء من «يرشُدْ» ليكون الفعلان على طريقة
واحدة إما لم يُسَمَّ فاعله.

أقول: لقد اتخذ المعري من الضبط السيء للناسخ حجة في حمل
الغلط على الشاعر فراح يتلمس الطريق لإصلاحه فذهب إلى بناء الفعلين
على ما لم يُسَمَّ فاعله. وحقيقة الأمر أن البيت مضبوط على هذا النحو الذي
أراده المعري في نسخ الديوان المطبوع، وليس في هذه الحال من ارتكاب
اللغة «الرديئة».

١٤ - وجاء فيها في الصفحة ٢٨ قول البحرّي:
وقد فُتِحَ الأفقَانِ عن سيفِ مصليَةٍ له سَطَوَاتُ ما تُهَرُّ ولا تُغْوَى

وقد علّق المعريّ فقال: كان في «النسخة» «تَهَزَّ» بالزاي، وذلك
تصحيف، وإنما غرّ المصحّف أن في صدر البيت ذكرَ السيف...

أقول: وقد اعترف المعريّ أن هذا تصحيف وقد شهد على جهل
الناسخ المصحّف في أنه نظر إلى «السيف» في البيت، فأين «العبث»؟

١٥ - وجاء في الصفحة ٣٠ قول البحريّ:

عمري لقد فُتَّ الرُّجَا لَ وِبَانَ يَوْمَ السَّبْقِ شَاوُكُ

وعلق المعريّ فقال: قوله: «شَاوُكُ» على مذهب الخليل جيد لأنه
يجعل الرويَّ الكاف فيكون الواو دخيلاً، ومن جَعَلَ الرويَّ الهمزة، وهو قول
لبعض المتأخرين، فهو عنده رديء لأن «شَاوُكُ» لا يجوز أن تهمز واوها...

أقول: وهذه القصيدة كان أولها:

يَأْبَى سُمُوْكَ وَاعْتِلَاوُكَ إِلَّا الَّتِي فِيهَا سَنَاوُكَ

فعلى رأي الخليل الكاف آخر البيت وهو الروي، وعلى رأي غيره
الرويّ الهمزة. وأي شيء في هذا يُحْمَلُ على «العبث»؟

١٦ - وجاء في الصفحة ٣١ قول البحريّ:

وَأَفَاهُ هَوُلُ الرَّدِّ بَعْدَكَ وَانْتَنَى يَدْعُوْكَ وَاللُّكَّامُ دُونَ دَعَائِهِ

وعلق المعريّ فقال: المعروف في «اللُّكَّام» تخفيف الكاف، ولكنه
اجترأ على تشديده لأنَّ «فُعَالًا» يدخل على «فُعَال» كثيراً نحو قولهم: رجل
كَرَامٌ وطَوَال... .

ثم أتى بشواهد كثيراً في إثبات ما ذهب إليه...

غير أن «اللُّكَّام» بالتشديد: جبل بالشام كما وَرَدَ في «الصَّحاح»
(لكم).

وقال ياقوت: «اللُّكَّام» بالضم وتشديد الكاف ويروى بتخفيفها (معجم
البلدان ٢٢/٥). وبعد فأين التجاوز والغلط؟

١٧ - وجاء في الصفحة ٣٦ قول البحرى:

المؤثر العُلِّيا على حَظُّه والحَظُّ كُلُّ الحَظِّ في العُلِّيا
وعَلَّقَ المعرِّي فقال: كان في «النسخة» «العُلِّيا» بفتح العين على قصر
الممدود، ويجوز أن يكون البحرى «قالها» كذلك، والصواب «العُلِّيا» بضم
العين.

أقول: مع اعتماد المعرِّي على هذه النسخة الرديئة «المؤوفة» فقد ذهب
ظنه أن الخطأ فيها يجوز أن يكون من البحرى، وهي حركة يُبدَلُ بها حركة
أخرى، هذا ظن آثم والعياذ بالله، دفعه إليه التماس الغلط ليكون موضع
كلام.

١٨ - وجاء في الصفحة نفسها شيء آخر كهذه المسألة السابقة:

فقال فمن أبكاك إن كنت صادقاً فقلتُ الذي أهوى فقال سَوَّائي

وعَلَّقَ المعرِّي فقال: و«سوى» إذا كسر أولها فهي مقصورة، وإذا فتح
أولها مُدَّتْ، ويجوز أن يكون البحرى كَسَرَ السين ومَدَّ كما مَدَّ المقصور في
مواضع كثيرة مثل قوله في القصيدة التي يمدح بها محمد بن الفضل:

وطيفٍ طاف بي سحراً فأذكى حرارةً لوعتي وجوى حشائي

والبصريون لا يجيزون مدَّ المقصور في الشعر، وأجازه غيرهم...

أقول: وقوله: و«سوى» إذا كُسر أولها فهي مقصورة، وليس هذا وحده
فهي مقصورة إذا ضُمَّ السين، وهذه مما يعرفها الصبية الشداة في أول كتاب
يدرسونه في النحو. غير أن المعري يسترجع كون البحري ذهب إلى الغلط
فمَدَّ «سوى» مع كسر السين، وحجته أنه مَدَّ المقصور كثيراً، ولكني أقول
حين مَدَّ المقصور في البيت الذي استشهد به المعري وربما في غيره فقد مَدَّه
معتمداً على أن في العربية جواز هذا وإن منع البصريون.

١٩ - وجاء في الصفحة ٢٨ قول البحري:

عزمي الوفاء لمن وفّا والعذر ليس به جفا
وعلق المعري فقال: هذا البيت يجوز أن يجعل في المهموز الممدود
على أن لا يكون مصرعاً، فإن صُرِّع جاز أن يجعل من حيِّز الفاء ومن حيِّز
الألف.

أقول: هذه ملاحظة تفتقر إلى السداد، إذ كيف يكون البيت من
المهموز الممدود، والتصريح فيه مطلوب ومراد؟

٢٠ - وجاء في الصفحة ٢٩ قول البحري:

قل لأهل الوقوف موتوا بغيطٍ وابكٍ ممّا أقوله يا ابن عيسى
وعلق المعري فقال: الأقوى في هذا أن يكون في حرف السين، وقد
يجوز أن يكون في حرف الألف على ضعف، والذي أَلَفَ هذه النسخة خلط
بين الألف والهمزة وكان ينبغي أن يُفَرَّقَ بينهما.

أقول: وقد اعترف المعري هنا أن صانع النسخة قد خلط بين الهمزة
والألف، وهذا إقرار بجهره، فأني نقد هذا الذي حُمِلَ على البحري فكان
«عبث الوليد»!!

٢١ - وجاء في الصفحة ٤٠ قول البحتري:

لَسَ سَلَفٌ مِنْ آلِ فَيْرُوزَ بَرَزُوا عَلَى الْعُجْمِ وَانْقَادَتْ لَهُمْ حَفْلَةُ الْعَرَبِ
وَعَلَّقَ الْمَعْرِي فَقَالَ: كَانَتْ فِي الْأَصْلِ «حَفْلَةُ الْعَرَبِ» بِالْفَاءِ، وَفِي
الْحَاشِيَةِ «حَمْلَةُ الْعَرَبِ» وَكِلْتَا الرِّوَايَتَيْنِ لَا تَمْنَعُ^(١) وَالْأَجُودُ أَنْ يُقَالَ: «جَمْلَةُ
الْعَرَبِ»، أَيْ: جَمْعُهُمْ.

أقول: وابن «العبث» في هذا.

وقد رأيت أن أكتفي بهذا القدر مما ورد في كلام المعري الذي ذكره
معتمداً على «النسخة» التي استعملها في نقده، وهو كثير جداً.

٢٢ - وجاء في الصفحة ٤٦ قول البحتري:

أَبَا جَعْفَرَ لَيْسَ فَضْلُ الْفَتَى إِذَا رَاحَ فِي فَرْطٍ إِعْجَابِهِ
وَلَكِنَّهُ فِي الْفَعَالِ الْكَرْبِ سَمِ وَالْخُلُقِ الْأَشْرَفِ النَّابِ
وَعَلَّقَ الْمَعْرِي فَقَالَ: جَاءَ بِالنَّابِ مَعَ «إِعْجَابِهِ» فَجُمِعَ بَيْنَ الْهَاءِ الْأَصْلِيَّةِ
وَهَاءِ الْإِضْمَارِ، وَذَلِكَ قَلِيلٌ إِلَّا أَنْ الْفَحُولَ قَدْ اسْتَعْمَلُوهُ...
وَأَتَى بِشَوَاهِدَ لِلْقَدَمَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ.

أقول: وهل في هذا شيء!!

٢٣ - وجاء في الصفحة ٤٨ قول البحتري:

أَنْسَتْ ذَا وَذَاكَ إِحْدَى وَعِشْرُو كَ بَغْصَنِ مِنَ الشَّبَابِ رَطِيبِ
وَعَلَّقَ الْمَعْرِي فَقَالَ: قَوْلُهُ: «إِحْدَى وَعِشْرُو» جَائِزٌ، إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ بِوَجْهِ
الْكَلَامِ، وَإِنَّمَا الْوَاجِبُ أَنْ يُقَالَ: إِحْدَاكَ وَعِشْرُوكَ...

(١) الصواب والحسن أن يقال: لا تمتنعان.

ثم راح يفصل في الكلام فيأتي بشيء لا يتصل بهذا اتصالاً حسناً
كقوله: وقبيح في الكلام أن يقال: جاء في غلام وجارتيك، وأنت تريد:
جاءني غلامك وجارتيك.

أقول: لعل هذا ليس مثل الذي ورد في قول البحري، وجواز قول
البحري وارد، وحسن البناء في النظم يقتضيه.

ألا ترى أن المعري الشاعر قد تحوّل إلى نحويّ ضيق العطن؟

٢٤ - وقد يتشبّه المعريّ بأيّ شيء ولو كان صحيحاً سليماً ليكون
ذلك حافزاً له أن يدخل حيّز اللغويين النحويين فهو يعلّق على قول البحري
في الصفحة ٥٣:

يا أبا القاسم اقتسام عطاءٍ ما نراه أم اقتسامٍ نهلبِ
قال المعريّ: لا ريب أن أبا عبادة لم يُرد إلّا الاستفهام بهذا البيت إلّا
أنه حذّف كما قال:

لعمرك ما أدري وإن كنت دارياً بسبعٍ رميت^(١) الجمر أم بثمانٍ
ثم أطال الكلام في هذا فجعله من جملة فوائد الكتاب «التعليمية».

٢٥ - وجاء في الصفحة ٥٧ قول البحريّ:

نظرت ورأس العين مني مشرقٌ صوامعها والعاصميّة مغربٌ
وعلق المعري فقال: أهل اللغة يقولون: إن الصواب أن يقال: جئنا
من رأس عين، ويكرهون دخول الألف واللام.

أقول: وقد أفاض المعريّ في مسألة الألف واللام، وكأنه حمّل الألف

(١) والرواية المشهورة عند النحاة: رَمَيْنَ والبيت لعمربن أبي ربيعة، (الكتاب ١/٤٨٥).

واللام على العُرف وأنها حذفت كما حذفت من «ابن عباس» والأصل هو «العبّاس». وهذا توجيه جيد، إلا أن ياقوت ذكر في معجم البلدان ١٣/٣ في «رأس عين» وقال والعامّة تقول: رأس العين ووجدتهم قاطبة يمنعون من القول به، وقد جاء في شعر قديم قاله بعض العرب... وذكر بعض الشواهد في ذلك.

□ خاتمة:

لقد اشتمل «عبث الوليد» على مسائل كثيرة في اللغة، وهويتخذ من أي شيء يرد في شعر البحتري حافزاً له إلى أن يسط فيه القول، فأنت تجد مثلاً مادة نحوية ضخمة بشواهدا النحوية القوية والضعيفة.

أقول: الضعيفة لأنك تجد أبا العلاء كسائر النحويين يتشبت بشاهد نحوي لا يعرف قائله في مسألة نحوية لم نجد لها نظائر في الاستعمال المشهور، ومن ذلك مثلاً مباشرة الخافض للفعل في قولهم:

سراة بني أبي بكرٍ تسامى على «كان» المسومة العِرابِ

وهذا يعني أن الفعل «كان» فصل بين الخافض والمخفوض.

و«الكتاب» في جملته على كثرة فوائده، لا يمكن أن يكون ضرباً من «العبث» بأي وجه من الوجوه.



رسالة الملايكة

رسالة الملائكة

لم أرد أن أكتب عنها فأقدم لكتابتي بشيء عن تاريخها وموادها وسبب تسميتها وما يتصل بنشرها ونسخها فذاك أمر كفاني مؤونته من سبقني من أهل الفضل وفيهم الميمني الراجكوتي وكراجكوفسكي والجندي - عليهم رحمة الله - وغير هؤلاء من المجتهدين.

ولكنني سأعرض للرسالة وأقف عليها وقفات تقصر أو تطول لأبين أن أبا العلاء لغوي ضليع، ونحوي ذو نظر ورأي في النحو لا تابع لغيره من السابقين، مردّد لما ذكره المتقدمون. لقد أشاع الباحثون أن أبا العلاء أجاب في هذه الرسالة على أسئلة «صرفية» وردت إليه من أحدهم ورد اسمه في الرسالة الأولى. غير أنني أرى أن في القول بأن المسائل كانت «صرفية» تهوين من أمر الرسالة، وأنها شيء «تعليمي»، فهي أجلّ من أن تقتصر على هذا النعت التعليمي.

لقد بدأ أبو العلاء «رسالته» فأسرف في تواضعه: فزعم أن حقّ مثله ألاّ يُسأل، فإن سئل تعيّن عليه ألاّ يُجيب، فإن أجابَ ففرض ألاّ يُسمع، فإن سُمع منه ففرض ألاّ يُكتب، فإن كُتبَ فوجب أن لا يُنظر فيه. وغير هذا مما دلّ على تواضعه في «المقدمة»، وليس هذا بشيء فقد جرى عليه في أغلب رسائله.

وكان هذا «التواضع» التقليديّ مدخلاً لفرض نفسه وحمل القارئ على الإقرار له بتبريزه في العلم، والاعتراف بعلو كعبه وسبقه لمعاصريه وأسلافه في العلم اللغويّ.

وأنا مُقرّ بهذا بحيث قد وُقر في نفسي أن أبا العلاء لغوي نحوي أديب ناقد أقل بضاعته الشعر الذي عُرف به، ولا سيما في عصرنا هذا.

ويتميّز أبو العلاء في هذا العلم اللغوي مما تفصح عنه هذه الرسالة وغيرها بمعرفة واسعة لها من ذكائه ونظره ما يكسبها أصالة تستدل عليه من فهمه لمواد اللغة وهويّاتي بها في هذه الرسالة وهويّعالج طائفة من المواد التي يستعمل فيها ضرباً من الأدب في سعة من التصور والإدراك. ودونك كلامه في الموت وما كان منه مع مَلَك الموت وهو هنا يتحدث عن أصل كلمة «ملك»، ثم يأتي إلى الحديث بينه وبين الملكين منكر ونكير ثم ما كان بينه وبين رضوان خازن الجنان. وفي هذه الأحاديث تجد علماً لغوياً يقوم على دلالات الألفاظ.

وأنت تجد من معرفته وعلمه في اللغة أنه يرى الرأي في مسائل كثيرة فينفرد به، ثم يرد على المتقدمين من علماء العربية، وهذا ينسبك ما كان من «تواضعه» في المقدمة التي ذهب فيها إلى أنه أقرب إلى ذوي الجهل منه إلى أهل العلم.

لقد نعى على سيبويه افتقار عبارته إلى الوضوح فقال: وقد يقع في الكتب ألفاظ مستغلقة فمنها ما يكون تعذر فهمه من قبل عبارة واضع الكتاب، وعلى ذلك جاءت عبارة سيبويه في بعض المواضع.

وقال: أليس صاحبكم سيبويه زعم أن الياء إذا شُدَّت ذهب منها اللين، وأجاز في القوافي «حيّاً» مع ظي... .

فأنت ترى أنه في الكلام على قول سيويه يشعرنا باعتداده برأيه، ومثل هذا كثير مما نقف عليه في هذه «الرسالة». وفي جملة ذلك سعة في المعرفة واستيعاب الموروث من مواد اللغة في الكلم والقراءات، والإلمام بالأصول اشتقاقاً وتوليداً واستعمالاً مع الإحاطة بما قال الأولون مستشهداً عليه بالكثير من أشعار المتقدمين، وما جاء فيه مؤيداً بلغة التنزيل العزيز.

ولا بد لنا أن نقف على شيء من هذا الفوائد التي أجملنا الكلام عليها، ولنعرض لشيء من المقدمة بادية ذي بدء، ثم نمضي في استقراء الفوائد اللغوية.

قال بعد البسملة والحمدلة :

... وليس مولاي الشيخ بأول رائد ظعن إلى الأرض العازبة، فوجدها من النبات قفراً، ولا بآخر شائم ظنّ الخير بالسحابة فكانت من قطر صفراً، وقد شهر بالفضل وسُمه، والمعرفة به اسمه، جاءني منه فوائد كأنها في الحسن بنات مخر، فأنشأت متمثلاً ببيب صخر:

لعمري لقد نَبَّهْتُ من كان نائماً واسمَعْتُ من كانت له أذنان
إن الله يُسمع من يشاء، وما أنت بمسمعٍ من في القبور، أولئك ينادون من مكان بعيد.

وكنت في غَيَّسان الشبية أودّ أنني من أهل العلم، فَشَجَّنِي عنه شواجن، غادرتني مثل الكرة وهي المَحَاجِن، فالآن مشيتُ رويداً، وتركْتُ عمراً للضارب وزيداً، وما أوتر أن يزداد في صحيفتي خطأ في النحو، فيخلد آمناً من المَحْو، ...

ثم يشير إلى «السائل» الذي توجّه إليه بسؤالات لغوية فقال:

ولما وافى شيخنا أبو القاسم علي بن محمد بن همام بتلك المسائل
الفيثها في اللذة كأنها الراح، يستفز من سمعها المِراح، طُرِق بها عَمِيدُ كَفَرٍ،
بعد ميل الجوزاء وسقوط الغُفَر... (١).

وما رغبتني في كوني كبعض الكِروانِ تكلم في الخطب جرى، والظليم
يسمع ويرى، فقال الأخنس أو الفراء: أطرق كرا، أطرق كرا، إن النعام في
القرى.

وَحَقُّ لِمَثَلِي أَلَا يَسْأَلُ، فَإِنْ سُئِلَ تَعَيَّنَ عَلَيْهِ أَلَّا يُجِيبُ، فَإِنْ أَجَابَ
فَفَرَضَ عَلَى السَّامِعِ أَلَّا يُسْمَعَ مِنْهُ...

وبعد هذه «المقدمة» التي حفلت بأوابد القول من كلم نادر، ومثل
شروء مع اختتامها بالتواضع صار أبو العلاء في مادته التي كانت جواباً عن
المسائل فقال:

أَفْتَرَانِي أَدَافِعُ مَلَكَ النَفُوسِ فَأَقُولُ:

أصل «مَلَك» مَأْلَكٌ، وإنما أُخِذَ من الألوكة، وهي الرسالة، ثم قلب،
ويدلنا على ذلك قولهم: «الملائكة» في الجمع لأنَّ الجموع ترد الأشياء إلى
أصولها وأنشده قول الشاعر:

فَلَسْتُ لِإِنْسِيٍّ وَلَكِنْ لِمَلَأِكٍ تَنْزُلُ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ يَصُوبُ

ولم يَشَأْ أَبُو الْعَلَاءِ أَنْ يَجْعَلَ جَوَابَهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي ثَوْبٍ مِنَ الْخِيَالِ

(١) وقد غمضت العبارة بعد هذا وذلك بسبب ما أثبتته الأستاذ سليم الجندي محقق
«الرسالة»، فقد ورد: وكان عليُّ يحياها (كذا) جلب إلينا الشمس وإياها. أقول من
غير شك أن في العبارة تصحيحاً وابتعاداً عن الأصل. والنظر إلى حواشي المحقق يهدي
إلى أن في الفقر المسجوعة «المقدي» و«إياة الشمس» وهو ضوؤها...

يقوم على تصوير مشهد، لقد جعل من هذا العلم اللغويّ مقابلةً مع «مَلَك» الموت، فقد عاد أبو العلاء من هذا الدرس اللغوي إلى «مَلَك» الموت فقال متحدّثاً عنه:

فيعجبه ما سمع فينظرني ساعةً لاشتغاله بما قلت فإذا همّ بالقبض قلت: وزن «مَلَك» على هذا القول «مَعَل» لأنّ الميم زائدة، وإذا كان المَلَك من «الألوكة» فهو مقلوب من «أَلَك» إلى «لَأَك»، والقلب في الهمزة وحروف العلة معروف عند أهل المقاييس.

أقول: جرّى اللغويون على أن أصل «مَلَك»: «مَلَأَك» فقد ذكر هذا ابن جني في «الخصائص» كما ذكره غيره، وكلهم أتى بالشاهد البيت. والكلام على هذا النحو في المعجمات كما في «اللسان» في مادة «ملك» ومادة «أَلَك». ويبدو أن الذي دفع اللغويين القدماء إلى هذا الوجه وجود الهمزة في الجمع «ملائكة» لأنهم قالوا: إن الجموع ترد الأشياء إلى أصولها كالتصغير مثلاً.

أقول: ووجود الهمزة في الجمع ليست دليلاً على أن أصل «ملك» «مَلَأَك»، والذي يقوّي هذا عندي أن «ملك» كلمة سامية وهي: «ملك» و«ملخ» و«ملكا» والميم أصل في هذه اللغات. وأن «أَلَك» في العربية أصل، و«ملك» أصل آخر، وربما كانت الهمزة في «ملائكة» من حرف لين ألف أوياء مثلاً فإذا أشبعت الفتحة في اللام صارت «ملاك» ولعل الهمز من هذا المدّ، وقد يكون المدّ ياءً.

ثم نمضي مع أبي العلاء في هذا الدرس اللغوي الذي جنح فيه إلى أن الكلمة قد قلبت ومثل لها بقوله: فأما جَذَبَ وجَبَدَ، ولَقَمَ الطريق وَلَمَقَهُ فهو عند أهل اللغة قلب، والنحويون لا يرونه مقلوباً، بل يرون اللفظين كل واحد

منهما أصل في بابه. فوزن الملائكة على هذا «معافلة» لأنها مقلوبة عن مألكة، ومنه قالوا: أَلِكْنِي إلى فلان، قال الشاعر:

أَلِكْنِي إلى قومي السلام رسالة بآية ما كانوا ضعافاً ولا عُزْلاً
وقال الأعشى في «المألكة»:

أبلغ يزيد بني شيان مألكة أبا تُبَيْتٍ أما تنفك تَأْتِكُلُ
فكانهم فرّوا «في الملائكة» من ابتدائهم بالهمزة ثم يجيئون بعدها بالألف فرأوا أن مجيء الألف أولاً أخف، كما فرّوا من «شأى» إلى «شاء» ومن «نأى» إلى «ناء»، قال عمر بن أبي ربيعة:

بأن الحُمول فما شَأُونُكَ نَقْرَةً ولقد أراك تشاء بالأظعان
وأنشد أبو عبيدة:

أقول وقد ناءت بهم غربة النوى

أقول: كأن أبا العلاء أحسّ أنه أطال وأفاض في هذا الدرس اللغوي فرجع إلى صاحبه «مَلَك» الموت فيكسب هذا الدرس ثوباً من خيال «مسرحي» على نحو ما فعل في «الغفران» فيقول:

فيقول «المَلَك»: مَنْ ابن أبي ربيعة، وما أبو عبيدة، وما هذه الأباطيل!!

أقول: وصنع أبي العلاء هذا وحواره مع «مَلَك» الموت يُدَكِّرنا بحواره مع الشعراء الجاهليين وكيف أنه شرح لهم بعض الوجوه في تفسير كلمة أو توجيه إعراب وما قال في ذلك اللغويون والنحويون، فيستغرب امرؤ القيس كلامه فيقول مثلاً: ما هذه الأباطيل التي اصطنعتموها في «الدنيا الفانية».

ولنعد إلى ما قاله «مَلَك» الموت إلى أبي العلاء بعد قوله: «ما هذه الأباطيل»:

إن كان لك عمل صالح فأنت السعيد، وإلا فاحسأ وراءك فأقول أمهلني ساعة حتى أخبرك بوزن «عزرائيل» فأقيم الدليل على أن الهمزة زائدة فيه .
فيقول «المَلَك»: هيهات ليس الأمر إليَّ «إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون» .

أم تُراني^(١) أداري مُنكراً ونكيراً فأقول كيف جاء اسمكما عربيين منصرفين، وأسماء الملائكة أكثرها من الأعجمية مثل: إسرافيل وجبريل وميكائيل فيقولان: هات حُجَّتكَ وخلّ الزخرف عنك فأقول متقرباً إليهما: قد كان ينبغي لكما أن تعرفا ما وزن ميكائيل وجبريل على اختلاف اللغات فيهما إذا كانا أخويكما في عبادة الله فلا يزيدهما ذلك إلا غلظةً، ولو علمت أنهما يرغبان في مثل هذه العلل لأعددت لهما شيئاً كثيراً من ذلك، ولقلت لهما: ما تَريان في وزن «موسى» كليم الله الذي سألتماه عن دينه وحجته فأبان وأوضح، فإن قالوا: موسى اسم أعجمي إلا أنه يوافق من العربية وزن مُفْعَل وفُعْلَى، أما مُفْعَل فإذا كان من ذوات الواو مثل: أوسيت وأوريت فإنك تقول: موسى... وإذا كان من ذوات الهمزة فإنك تخفّف حتى تكون خالصة من مُفْعَل...

وهكذا ينتهي من هذا الحوار فيدخل في الدرس اللغوي من مشكلات الصرف المدرسية إلى وجوه أخرى لغوية تبتعد عن هذه «الصغائر» الدقائق مع شواهد كثيرة استنبطها من أشعار الجاهليين والإسلاميين.

أقول: وهذا النمط من العرض اللغوي يشير إلينا أن المعري قد كتب هذه الرسالة إما في الحقة التي شغل فيها بكتابة «الغفران» وإما بعدها، ذلك

(١) أقول: ويجيء «أم» هنا هو معادل للاستفهام الذي ورد في أول حديثه مع ملك الموت في قوله: أفتراني أذاع «ملك» النفوس...

أن نمطاً من التشابه بينهما حاصل فقد اتخذ من السؤال عن «ملك» و«ملائكة»، وقد جرّه ذلك إلى الكلام على «منكر ونكير» و«ميكائيل وجبريل»، ولم ينس في هذا الحشد اللغوي أن يبتعد عن الإطار الحوارى الذي اتبعه في الغفران. وإذا كان لي أن استعمل لفظة «الإطار» فإني لأقصد أن ما كان من الحوار مع حقائق هذه الشخصى هو شيء من الحواشى يستعين بها على الدخول في الغرض، ومثل هذا صنيعة في «الغفران».

وأنت تراه يتحوّل في حركة دائبة فالمادة تصرفه إلى أخرى، وهذه تصرفه إلى ثالثة فرابعة، ألا تراه في الكلام على «موسى» ذهب إلى المهموز، ثم تحول إلى المعتل وإلى «ماس يمس»، ثم كان الكلام على الياء وتشديدها وتخفيفها فأشار إلى سيبويه نابزاً رافضاً ما ذهب فقال: قد زعم صاحبكم عمرو بن عثمان المعروف بـ «سيبويه» أن الياء إذا شددت ذهب منها اللين...^(١).

ويعود إلى هذا الحوار «المسرحى» فيقول:

فإذا عجبْتُ مما قالاه أظهرًا لي تهاونًا بما يعلمه بنو آدم وقالوا: لو جُمِعَ ما عَلِمَهُ أهل الأرض على اختلاف الأزمنة لما بلغ علم واحد من الملائكة يعدونه فيهم ليس بعالم.

فأسحَّ الله وأقول: قد صارت لي بكما وسيلة فوسَّعا لي في «الجَدَف».

أقول: وعند قوله في «الجَدَف» تحين من المعرِّي التفاتة فينتقل إلى مسألة لغوية في «الإبدال» فيقول:

إن شِئْما بالفاء وإن شِئْما بالثاء لأن إحداهما تبدل من الأخرى كما

(١) كنا أشرنا في أول هذا البحث إلى هذه المسألة.

قالوا: مغاثير ومغافير، وأثافي وأفافي، وثوم وفوم، وكيف تقرءان — رحمكما الله — هذه الآية:

«وَفُومُهَا وَعَدَسُهَا وَيَصَلُّهَا» أبالثاء كما في مصحف عبد الله بن مسعود، أم بالفاء كما في قراءة الناس، وما الذي تختاران في تفسير «الفوم» أهو «الحنطة» كما قال أبو محجن:

.....

أم هو هذا الثوم الذي له رائحة كريهة، وإلى هذا ذهب الفراء، وقد جاء في الشعر الفصيح، قال الفرزدق:

.....

وينتقل المعري بعد الكلام على هذا الإبدال في الفاء والثاء فيقول على لسان الملكين «منكر ونكير»: فيقولان أو أحدهما:

إِنَّكَ لَمْتَهَدِّمُ الْجُودِ وَإِنَّمَا يُوسِّعُ لَكَ فِي رَيْمِكَ عَمَلُكَ، فأقول: لله أنتما! ما أفصحكما لقد سمعت في الحياة الدنيا أن الرِّيمَ القبر، وسمعت قول الشاعر:

إِذَا مَتُّ فَاعْتَادِي الْقُبُورَ وَسَلِّمِي عَلَى الرِّيمِ أَسْقَيْتِ السَّحَابَ الْغَوَادِيَا

ولا ينسى المعري الغريب الذي أولع به أيما ولوع وحشره في «لزوماتيه» شعراً ونثراً، وهو هنا قد أتى بـ «الرِّيم» ليخلص منه إلى مسألة لغوية هي من المسائل التي اصطنعها «الصرفيون» للتعليم وتدريب المتعلمين في النظر إلى الأبنية واشتقاقها فقد توجه المعري بعد ذكر «الرِّيم» إلى الملكين يسألهما فيقول:

فكيف تبنيان — رحمكما الله — من الرِّيم مثل «إبراهيم»، أترَيان فيه

رأي الخليل وسيبويه فلا تبنيان مثله من الأسماء العربية، أم تذهبان إلى ما قاله سعيد بن مسعدة فتجيزان أن تبنيا من العربيّ مثل الأعجمي فيقولان:

تُرباً لك^(١) ولمن سُميت، أي علم في ولد آدم، إنهم القوم الجاهلون، وهل أتودّد إلى «مالك» خازن النار فأقول: - رحمك الله - ما واحد «الزبانية» فإن بني آدم فيهم مختلفون، بعضهم يقول: الزبانية لا واحد لهم من لفظهم، وإنما يُجرّون مُجرى «السّواسية»، أي: القوم المستوين في الشرّ كما قال الشاعر:

.....
ومنهم من يقول: واحد الزبانية «زُبْنِيَّة»، وقال آخرون: واحدهم «زُبْنِيّ» ...

ويتحول من هذا فيسأل «مالك» خازن النار:

فأقول: يا مال - رحمك الله - ما ترى في نون «غسلين» وما حقيقة هذا اللفظ، أهو مصدر كما قال بعض الناس، أم واحد أم جمع أُعربت نونه تشبيهاً بنون مسكين كما أثبتوا نون: قُلين وسنين في الإضافة، كما قال سُحيم بن وثيل:

وماذا يَدْرِي الشعراء مَنِّي وقد جاوزتُ حدَّ الأربعينِ

وهكذا يمضي المعري من مسألة إلى أخرى تارة في مسائل الصرف، وأخرى يتجاوزها في ذلك فيكون شيئاً من «اللغة» في نشوئها وتطورها.

(١) يقال في الدعاء: ترباً له، وقد أجزى «الترب»: وهو من أسماء الذات مجرى المصدر المنصوب بفعل مضمر، وكأنهم قالوا: تَرَبَّتْ يده، بمعنى لا أصاب خيراً، أو خاب وخسر. أنظر الكتاب ١/١٥٨.

إن مواد رسالة الملائكة هي :

١ - مَلَك	٨ - الزبانية	١٥ - سفرجل
٢ - عزرائيل	٩ - غسيلين	١٦ - سندس
٣ - منكر ونكير	١٠ - جهنم	١٧ - طوبي
٤ - موسى	١١ - سقر	١٨ - الحيوان
٥ - ارزبة	١٢ - مخاطبة الواحد بصيغة المثنى	١٩ - الحور
٦ - الجدث	١٣ - يارضو	٢٠ - الاستبرق
٧ - الريم	١٤ - الكمثري	٢١ - العبقري

غير أن أي واحدة من هذه المواد ينفذ منها المعرّي إلى فوائد أخرى كما تبين لنا مما عرضناه .

ومن الطريف أن أختتم هذه الإلمامة العجلى بصنوف هذا السفر الممتع بما ورد من الخروج من مخاطبة الواحد إلى الإثنين، أو من مخاطبة الإثنين إلى الواحد. وصف المعرّي هذا الخروج بقوله: سائغ. ثم عقب على ذلك بقوله: وهل أجيء في جماعة من حُمان الأدباء قصّرت أعمالهم عن دخول الجنة وألحقهم عفو الله فزحزحوا عن النار فنقف على باب الجنة فنقول: يا رِضْوًا! لنا إليك حاجة، ويقول بعضنا: يا رِضْوُ، فيضمّ الواو، فيقول رضوان - صلى الله عليه وسلّم -: ما هذه المخاطبة بها أحد قبلكم؟

فنقول: إنا كنا في الدار العاجلة نتكلم بكلام العرب، وأنهم يُرحّمون الاسم الذي في آخره ألف ونون فيحذفونهما للترخيم، وللعرب في ذلك لغتان تختلف أحكامهما في القياس، قال أبو زبيد:

يا عُمّ أدركني فإن ركيّتي

فيقول رضوان: ما حاجتكم، فيقول بعضنا: إنا لم نصل إلى دخول الجنة لتقصير أعمالنا، وأدركنا عند الله - عز وجل - فنجونا من النار فبقينا بين الدارين، ونحن نسألك أن تكون واسطتنا إلى أهل الجنة فإنهم لا يستغنون عن مثلنا، وأنه لقبيح بالعبد المؤمن أن ينال هذه النعم وهو إذا سَجَّ لله لَحَن.

أقول: وفي هذا العرض جاء من إبداع المعري في «الغفران» فشمّل هذه الرسالة أي الملائكة فجاءت كأنها شيء من تلك في استحضر هذه المشاهد في العالم الأخروي، واستطاع أن يتخذ من هذا كله إطاراً يشتمل على صورة من العلم اللغوي في الترخيم، وما يتبعه في «النحو» في إعراب الاسم المرخم، وهو مبسوط في كتب النحو.

ثم يجد في الكلام حاجة ما دام في نعيم الجنة «يصيب من ثمارها» فقال: «ولعل في الفردوس قوماً لا يدرون أحروف كُثِرَى كلها أصلية أم بعضها زائد؟». فعقد الكلام على هذه المسألة، ثم كان الكلام على «السندس» واشتقاقه ودلالته، ثم شجرة «الطوبى» وأصلها اللغوي، والحوار العين وما فيها من اللغة والدلالة، كل ذلك مع شواهد وافية كافية.

وأنت تجد ما قيل في «اسم» وهمزة الوصل، والكلام على «إياك»، والكلام على آية وغاية وثاية وغير ذلك.

□ خاتمة:

وجملة ما في الكتاب لغة وصرف واشتقاق ودلالات وشعر وفوائد جمّة تتصل بالتاريخ اللغوي.



رَسَائِلُ أَبِي الْعَلَاءِ

رسائل أبي العلاء (١)

كان لا بد لي من الوقوف على رسائل أبي العلاء لأقف على منهجه ولغته وأغراضه فيها، وقد كان لي شيء من ذلك منذ سنين طويلة عكفت فيها على هذه الرسائل بطبعتيها الأولى والثانية وأفدت منها بعض الفوائد، وها أنا ذا اليوم أعود إليها في طبعتها الثالثة التي أربت على تلکما الطبعتين عناية ومادة وفوائد أخرى.

ولم يتوجّه أبو العلاء في هذه الرسائل إلى طلابه ومريده فيعلمهم ويضع بين أيديهم ما بدا له من مواد في اللغة والنحو والأدب والعروض وشيء آخر يجده الدارس المعني بالدقائق واللطائف. وهذا هو منهجه في أكثر من كتاب من كتبه كما بينا. فأما هذه «الرسائل» فقد حررها أبو العلاء وخصّ بها جماعة من أهل العلم والفضل، فيها المدح والتهنئة والتعزية والشفاعة والوصف والنقد ومسائل أخرى.

على أن الدارس لهذه الرسائل ليجد فيها أبا العلاء ناثراً ذا منهج في الأدب الإنشائي.

(١) رسائل أبي العلاء المعري. شرح وتحقيق الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة، عمان، سنة ١٩٧٦.

وإذا كنا قد أجملنا الكلام على أغراضه في الرسائل فلا بد أن نقول: إن المعري في هذه الرسائل على عنايته بالأسلوب وتدبيجه بالمأثور من الشعر والطريف من الأمثال، وابتكاره للصور والتشبيهات مستعيناً بمادة غريبة من العربية يتخذ لها السجع طريقة، وليس السجع وحده، بل يذهب فيها نحو ما يدعى بـ «الترصيع» الذي هو نظير «لزوم ما لا يلزم» الذي التزم به في طائفة من أشعاره.

أقول: على أن المعري شغل بهذه العناية اللفظية، لكنه في هذه الرسائل مفكر متفلس ناقد للمجتمع، متأمل أحداث عصره، مرسل الرأي النضيج في الحكم على الشيء، مجتهد في الحياة الإنسانية. ولعل هذا الذي تنكشف عنه الرسائل يبعد الصورة التي سجلها لحاله في إحدى «لزومياته»:

أراني في الثلاثة من سجوني فلا تسأل عن الخبر النبئ
لفقدي ناظري ولزوم بيتي وكون النفس في الجسد الخبيئ

لا، ليس هذا أبو العلاء في «رسائله»، ألا ترى أنه ذهب إلى تعطيل فريضة الحج إبان تعرض هذه البلاد للإسلامية لغزو البيزنطيين وتوالي حملاتهم، ذلك أن الجهاد وحماية الذمار أولى من أداء الحج وحرام أن يترك المجاهدون الديار من أجل «حجٍّ واعتمار»، قال:

ولكلَّ حَجٍّ مِقات، فمن كان عليه صوم لم يجز قضاؤه في العيدين،
ويُكره ابتداء الصلاة في البرْدَيْن (أعني عند الشروق والغروب)، وسَفَر مولاي
إلى الحجِّ في هذه السنة حرام بَسْلُ كما حُرِّم صوم عيد الفِطْرِ، وحُظِرَ على
المُحْرَمِ تَضَمُّنٌ بعطر. وهل سُمِعَ في أخبار الصحابة أو التابعين أن رجلاً
خرج من مصافقة العدو يريد بيت الله الحرام... .

ويقول في موضع آخر من الرسالة ذاتها: «... ولوقال وليد لوليد في ليل داج، وهو محادث محاج، من يؤجر في مقامه في الديار، أضعاف أجره في حجّ واعتماد، فقال الوليد الآخر محمد بن سعيد، لوقع سهمه غير بعيد، وحماية الذمار أولى من حجّ واعتماد^(١)».

والمعري رجل من أهل الخير والصلاح يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ومن أجل ذلك كان شديداً على الذين اتخذوا الدين حرفة، ووسيلة للكسب الحرام، وهو شديد على الذين تولوا مصالح الرعية من الأمراء الذين «عدّوا المصالح» وكان عليهم أن يكون «أجراء» للرعية. وهو شديد على ذلك «الخطيب» الذي يخطب الناس ويذكر أهوال يوم القيامة، وهو لا يؤمن بـ «الحساب» ولا يصدّق «المآب». وهو شديد ناقد للواعظ يعظ الناس «فيحرّم الخمرة صباحاً، ويشربها على عمدٍ مساءً»...

وأنت تجد شيئاً كثيراً من هذا في لزومياته، وغيرها من آثاره.

وهو صاحب فن أصيل في «رسائله» وذلك يبدو في وصفه الذي اشتمل على صور وأخيلة بديعة، وهو ناقد يعرض للأخلاق والعادات، يتخذ نقده ضرباً من تهكم وسخرية موجهة. وهو عالم تدرك من علمه ما اشتملت عليه الرسائل من علم في اللغة والنحو والأدب والعروض والفلك وغير ذلك.

ولنعرض لشيء مما اشتملت عليه هذه الرسائل وأولى هذه الرسائل:

رسالة المنيع: والمنيع من سهام الميسر ممّا لا نصيب له إلا أن يمنح

(١) الرسالة الأربعون، ص ٦٦٥ - ٦٧١.

صاحبه شيئاً، وهي الرسالة التي أرسلها إلى أبي القاسم الحسين بن علي المغربي^(١).

والكلام على هذه الرسالة لا يمكن أن يؤدى بعبارة من يقول: إنها اشتملت على الإشارات التاريخية ذلك أن المعري في هذه الرسالة وفي غيرها معني بأن تكون عامرة بمواد كثيرة منها الغريب الذي يعد من «النوادر» أو الأوابد يؤلف منه مادة أسجاعة المحكمة بضرب من لزوم ما لا يلزم، مشيراً به إلى مواد قديمة جاهلية وإسلامية، وهو في هذا يأتي بالمثل الشرود وبالشاهد ذي الدلالة المفيدة.

غير أن جملة هذه الثروة اللغوية الأدبية متسمة ببداوة تضرب أصولها في تاريخ العربية في أصوله القديمة.

والمعري في «رسائله» وسائر آثاره يملك ما جاء في المعجم العربي قديمه وما جدد مما ولده العرب في عصور الإسلام. وكأنه حين يبسط هذه الثروة السخية يريد أن يكرر المغوي الذي لا يضارع، والحجة الذي يرجع إليه.

ولا بد أن نقف على نماذج من هذه العربية «الخاصة»، وأقول «الخاصة» لأنها عربية قصد إليها صاحبها واستحضرها من غياب، ذلك أن الكثير مما نقرؤه في هذه الرسائل وغيرها شيء انفرد به لا نجده إلا في نوادر الشعر الجاهلي مثلاً.

(١) هو الحسين بن علي بن الحسين... بن المرزبان، وكنيته أبو القاسم، وكنية أبيه أبو القاسم أيضاً. ولد في حلب، وأصبح وزيراً لسعد الدولة بن سيف الدولة واشترك معه في هزيمة البيزنطيين سنة ٣٧١هـ. أنظر ترجمته في: وفيات الأعيان، ومعجم الأدباء، لياقوت؛ ولسان الميزان، لابن حجر؛ وشذرات الذهب، لابن العماد...

قال المعري في هذه «الرسالة»:

إن كان للآداب - أطل الله بقاء سيدنا - نسيم يتصوّع، وللذكاء نار
تشرق وتلمع، فقد فَعَمْنَا على بعد الدار أَرْجُ أدبه، وَمَعَا الليل ذكاؤه بتلُّهبه،
وخَوَلُ الأسماعِ شنوفاً غير ذاهبة، وأَطْلَعَ في سويداوات القلوب كواكب ليست
بغارية.

وذلك أنا معشَرَ أهل هذه البلدة، وَهَبَ لنا شرف عظيم، وألقي إلينا
كتاب كريم، صدر عن حضر السيد الحَبْر، ومالك أَعْنَةُ النظم والنثر...

وقال: ولولا الإلاحَة على ما ضَمَن من الملاحَة... لَعَكَفَتْ عليه
الأفواه باللثم، والموارن بالانتشاء والشم... ولولا ما حَظَرَهُ الدِّين من
القِمَار... وأن شريعة الإسلام اعترَضَتْ دون إجمالة الأُزْلام لَصَرَبْنَا عليه
بالسبعة الفائزة، والثلاثة التي ليست لحِظٍ بالجائزة، ومعاذ الأحلام أن يطمشَنَّ
خَلَدُ المنافس الشحيح إلى أحكامِ النفس^(١) والمنيح...

وقال: فيا شرفه من صَلِّ بالفخر ننجح به على النظراء حيرِي
الدهر... فجاء كلوائح البروق، أو يُوح عند الشروق...

وقال: ... فكأنما رفعني الفَلَك، أو ناجاني المَلَك، جَذَلًا بما لوجاز
تبْدُل الغريزة، وتحوُل النحيْزة لنَقْلني من آلي العامّة، إلى عالي السامّة، نقل
الكيمياء ما خالط من المُزَابَقِ الجائر، إلى جملة النُضار الممايز...

وقال: ولو اجتهد الخُزَر مدى عمره، ما أشبه ضغيبه زئير الأسد، ولن
يصير سوط باطلٍ في اليقوة كالمسد، ولو دِدْتُ لورُزق لأمه^(٢) ما رزق
كلامه...

(١) النفس: هو الخاص في قدامح الميسر.

(٢) ولام الرجل: هو شخصه.

وقال: فقد قيل أن أصل الطيب عن عبدة الأبداد^(١). أن آدم - صلى الله عليه وسلم - هبط في تلك البلاد...

وقال: ... ويصيد ظليم المقاء، من زهد في ظلم السقاء، نام والله اللاغب، وأدلج الراغب،

تسألني أم وهيب جملاً يمشي رويداً ويكون الأول

وأختم هذه الأشعار من هذه الرسالة بقوله:

... فهم يتوقون كفة الحابل، ويتوقعون رشق النابل، على أن القارب أخو الشارب، والهجع طريد الرُبْع، ما أقرب طسماً من جديس، وأدنى البازل من السديس...

ونأتي إلى رسالة «الإغريض»^(٢) وهي الرسالة الثانية، ونلاحظ في هذه الرسالة ما لحظناه في رسالة «المنيح» وغيرها كإشارات اللغوية والنحوية.

وهي الرسالة التي وجهها إلى أبي القاسم المغربي لما أنفذ إليه «مختصر إصلاح المنطق»^(٣) الذي ألفه وفيها وصف المختصر والثناء بفضله والتنبية على كثرة فوائده.

قال المعري:

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليك أيتها الحكمة المغربية، والألفاظ العربية، أي هواء

(١) الأبداد: جمع بُدّ بالضم وهو الصنم.

(٢) الإغريض: البرد أو الطلع ينشق عن الكافور.

(٣) إصلاح المنطق، لابن السكيت.

رَقَاكِ، وَأَيُّ غَيْثٍ سَقَاكِ، بَرَقَهُ كَالْإِحْرِیضِ^(١) وَوَذَّقَهُ مِثْلَ الْإِغْرِیضِ، حَلَلْتِ
الرَّبِیَّةَ، وَجَلَلْتِ عَنِ الْهَبَّةِ، أَقُولُ لَكَ مَا قَالَ أَخُو نُمَيْرٍ^(٢) لِفَتَاةٍ بَنِي عُمَيْرٍ:
زَكَ لَكَ صَالِحٌ وَخِلَاكِ ذَمٌّ وَصَبَّحَكَ الْإِيَامُنُ وَالسَّعُودُ

.....

وَقَالَ: ... فَحَرَسَ اللَّهُ سَيِّدَنَا حَتَّى تُدْغِمَ الطَّاءُ فِي الْهَاءِ، فَتَلْكَ
حِرَاسَةً بِغَيْرِ انْتِهَاءٍ، وَذَلِكَ إِنْ هَذَيْنِ ضِدَانِ، وَعَلَى التَّضَادِّ مُتَبَاعِدَانِ، رِخْوٌ
وَشَدِيدٌ، وَهَآؤُ وَذَوُ تَصْعِيدٍ، وَهَمَا فِي الْجَهْرِ وَالْهَمْسِ، بِمَنْزِلَةِ غَدٍّ وَأَمْسٍ،
وَجَعَلَ اللَّهُ رَتْبَهُ الَّتِي كَالْفَاعِلِ وَالْمَبْتَدَأِ، نَظِيرَ الْفَعْلِ فِي أَنَّهَا لَا تَنْخَفِضُ أَبَدًا،
فَقَدْ جَعَلَنِي إِنْ حَضَرَتْ عَرَفَ شَأْنِي، وَإِنْ غَبْتُ لَمْ يَجْعَلْ مَكَانِي كـ «يَا» فِي
النَّدَاءِ، وَالْمَحْذُوفِ مِنَ الْإِبْتِدَاءِ، إِذَا قُلْتَ: زَيْدٌ أَقْبَلَ، وَالْإِبْلُ الْإِبْلُ، بَعْدَمَا
كُنْتُ كـ «هَاءِ» الْوَقْفِ...

وهكذا يمضي في إيراد هذا المصطلح اللغوي النحوي، ثم يتحول إلى
المصطلح العروضي فيقول:

... إِنْ كَاتَبْتُ فَلَسْتُ مُلْتَمِسُ جَوَابٍ، وَإِنْ أَسْهَبْتُ فِي الشُّكْرِ فَلَسْتُ
طَالِبُ ثَوَابٍ، حَسْبِي مَا لَدَيَّ مِنْ أَيْادِيهِ، وَمَا غَمَرُ مِنْ فَضْلِ السَّيِّدِ الْأَكْبَرِ أَبِيهِ،
أَدَامَ لَهُمَا الْقُدْرَةَ مَا دَامَ «الضَّرْبُ الْأَوَّلُ» مِنْ «الطَّوِيلِ» صَحِيحًا، وَ«الْمَنْسَرَحُ»
خَفِيفًا سَرِيحًا، وَقَبْضُ اللَّهِ يَمِينُ عَدُوِّهِمَا عَنْ كُلِّ مَعْنٍ «قَبْضُ» الْعُرُوضِ مِنْ
أَوَّلِ وَزْنٍ، وَجُمِعَ لَهُ الْمَهَانَةُ إِلَى التَّقْيِيدِ، كَمَا جُمِعْنَا فِي ثَانِي «الْمَدِيدِ»...
وَحُبْلُ كَسْبَاعِي «الْبَسِيطِ»، وَعَصَبُ اللَّهِ الشَّرُّ بِهَامَةٍ شَانَتْهُمَا وَهُوَ مُجْزِو،
عَصَبُ «الْوَافِرِ» وَهُوَ مُجْزِو، بَلْ أَضْمَرْتَهُ إِضْمَارَ ثَالِثِ «الْكَامِلِ»... وهكذا

(١) الإحريض: العصفور.

(٢) أخو نمير: هو الراعي النميري.

يمضي في مصطلح العروض فيذكر البحور والعلل ثم يذكر «الدوائر العروضية»...

ويمدح «أبا القاسم المغربي» فيقول: وإن أخذ في نعت الخيل فيا خيبة من شبه الأوابد بالتقييد^(١)، وشبه الحافر بقعب الوليد^(٢)،...

ثم يأتي إلى إطرء كتاب أبي القاسم المغربي الذي اختصر فيه «إصلاح المنطق» لابن السكيت فيقول: ومن نظر في كتاب يعقوب، وجده كالمهمّل الأبّاب...

فرحم الله أبا يوسف لو عاش لفاظ كمدّاً أو إحفاظاً حسداً... فاستخرجه سيّدنا واستوشاه، وصقله فكره ووّشاه...

ولا يعدم الدارس أن يجد في هذه «الرسالة» فوائد أخرى علمية شأنها شأن سائر الرسائل.

وفي الرسالة السابعة التي كتبها إلى خاله أبي القاسم علي بن سبيكة يعزيه بعد أن رجع أبا العلاء فوجد أمّه قد توفيت، ولم يعلم قبل مقدمة بذلك...

قال.

كتابي أطال الله بقاء سيدي ما طلع صبير، ورّسا ثبير من معرة النعمان، ولكل نبأ مستقر، ووردتها بعد سامة ورود كعب بن مامة فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، وله الحمد ممزوجاً به الدمع، مُستكّاً له من الوجد السمع. وصلّى

(١) وهو قول امرئ القيس: «بمنجرد قيّد الأوابد هيكل».

(٢) وهو قول امرئ القيس أيضاً:

لها حافر مثل قعب الوليد رُكّب فيه وظيف عَجْر

الله على سيدنا محمد وعترته صلاةً يثقل بها لساني حُزناً، وترجح في المحشر
قدراً ووزناً... .

ألا يا ليتني والمرء مَيِّتٌ وما تغني من الحدثان لَيْتُ
رحمك الله من ساكنة رَمَس، أَصْبَحْتَ حَيَاتُكَ كَأَمَس.

.....

أقول: وفي هذه الرسالة من أدب الرثاء الحزين نثراً وشعراً ما يدلُّ على
عظم المصيبة ووقعها عليه. على أن فيها من الأدب واللغة بغريبها ونوادرها
الشيء الكثير، وهو يحسن إيراد الشعر كما يحسن إدراج المثل القديم، وقد
يوميء إليه إيماءً أويجتزئ منه بشيء يدلُّ عليه... .

فهو يقول:

... وما وَرِثَ بَرِّي عن كِلالة^(١)، ولا أَخَذَ تَفْقُدي عن دارِ غَرْبةٍ،
شِنْشنة من أخزم^(٢)، ونَشِنْشنة من أخشن^(٣)...

وأنت تجد جمهرة هذه الأمثال مبنوثة في الرسائل على نحو لا يشعر أنها
مستعارة من غير أدب المعري.

وتعجب أن ترى في الرسالة السابعة والعشرين التي كتبها جواباً لرسالة
أبي الحسين أحمد بن عثمان النُكُتي البصري، كتاباً في «العروض والقوافي»
بما اشتمل عليه من المصطلح الفني في هذا الباب من الأدب، ولم يورد

(١) يوميء إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كِلَالَةً﴾.

(٢) المثل: شِنْشنة أعرفها من أخزم، (مجمع الأمثال ١/٣٧٥).

(٣) هذه عبارة قالها عمرو لابن عباس حين سأل في شيء شاوره فيه فأعجبه كلامه،
والمعنى: حجر من جبل.

المصطلح مورياً عنه داخلاً في غير مادته، بل انصرف إلى العروض نفسه مع شواهد كثيرة من شعر المتقدمين.

كما تجد في هذه الرسالة فوائد أخرى عن أخبار الشعراء وشياطينهم.
وفي الرسالة الثلاثين كتب يُعزّي خاله أبا القاسم بن سبيكة بأخيه
أبي بكر الذي توفي بدمشق. وفيها من أخبار الأنبياء والرسول.

قال:

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي أدام الله عزّه حسامُ يمان، لا يخلق بتقادم الزمان، ونجم عال،
نزه عن سوء الأفعال...

ولو كانت كتبي إلى حضرته حسبما اعتقده لأوردت كلّ ساعةٍ إليه كتاباً،
وخبراً عني متتاباً، ووصفت شوقاً أجده، لا تزال الذكرى تُنجدّه... والله
يحفظ علينا رضاه ويثبتته على ما سرّاً أو خزان مما قضاه، والقدر غالب أبي.

العياذ بالله أن تقول كما قال المحاربي:

اهتزّ عرشُ الله ذي الجلال لموت خالي يوم مات خالي

ولكن إنا لله وإنا إليه راجعون. كل من عليها فان، فرحم الله أبا خراش
حيث يقول:

ألم تعلمي أن قد تفرّق قبلنا خيلاً صفاء مالِك وعقيلُ

.....

إن غدرَ ريب الأيام بشيخنا الفاضل أبي بكر، فكم للمنايا من فتكٍ
ومكر.

توفي آدم - صلى الله عليه - بعدما رأى الجنة وسكنها، وسأله الملائكة عن أسرار الأسماء فأعلنها. وخرج إلى الدنيا فشقي . . . وقُبِضَ نوح - صلى الله عليه - . . . وأحكَمَ سفينه بالدُّسُر، فنجى فيه من الغرق، وحَمَلَ آدَمَ (١) بعد خصف الورق . . .

وبعدَه منذر (٢) عادٍ سُخِّرَتْ له بأمر الريح، فأصاب قومه عذابٌ غيرُه السَّريح، لَحِقَ به غيرَ هَتر، ما لَحِقَ آلَ عِتر، فعَدَلَ بينهما داعي الهلكة إلا أن هذا (٣) طُرِقَ زَكِيًّا، وذلك قُبِضَ عاصيًّا شكِيًّا، نسي ما غنته الجرادتان، ومُنِيَ بعارض غير الهَتان، ونبيُّ (٤) بعد ذلك خُلِقَتْ له الناقة مع السَّقْب، وجَرَى في النسك جَرَى الفَرَس ذي العَقْب، فنزل به أمر دارٍ، جَعَلَه في القَدَر كأصحاب قُدار. . .

وصاحب النار (٥) الموقدة التي برز منها سليمان، وما وَجَدَ حَرَّها أليماً. . . وأخو الظِّلَّة (٦) شريف كريم، في الرِّيم اصطجع فما يريم، والذي رأى (٧) النور فحسبه ناراً، أسرى فكشَفَ عن بني إسرائيل شِئراً. . . وقارىء زبور (٨) مُكْرَم، في عصر شبابه والهَرَم . . . وسليمان الذي قُرِنَتْ له النبوة

(١) إشارة إلى أن نوحاً حل في سفينته جد آدم.

(٢) و«المنذر» في الرسالة، أي النبي هو، وعاد قومه وكانت في «الأحقاف» وبادت فلم يبق أحد منها.

(٣) يريد به أبا بكر أخا أبا القاسم خاله.

(٤) هو النبي صالح الذي بعث في «ثمود».

(٥) هو النبي إبراهيم الخليل (ع).

(٦) وهو شعيب، قال تعالى: ﴿وَكَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسِلِينَ، إِذْ قَالَ لَهُمُ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾، سورة الشعراء: الآية ١٧٦، ١٧٧، وقال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ، إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، سورة الشعراء: الآية ١٨٩.

(٧) هو النبي موسى (ع).

(٨) هو النبي داود (ع).

إلى الملك، . . . وابن مريم عبده قوم، وانتظرَ لقدمه يوم، . . . ومحمد
- صلى الله عليه وسلم - جاهد في طاعة ربه، وانتصر لأشباع الله
وحزبه . . .

أقول: وقد نجد في الرسالة إشارات لتاريخ الأمم القديمة كسبأ كما
نجد إشارات لبليقيس وغير ذلك من الفوائد مما يتعلق بالأمم البائدة كطسم
وجديس وما كان في بلاد اليمن والحبشة وبلاد البربر والغساسنة والمناذرة . . .

وأنت تجد في هذه «الرسائل» من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة
والأشعار والأمثال وما يتصل بـ «أوابد» العرب، وعاداتهم قدراً كبيراً. وفيها من
تاريخ الأمم والشعوب والقبائل مادة مفيدة.

كما أنك لتستقري فيها طائفة من أسماء الحيوان والطيور والدواب
والهوام والنبات والشجر.

وأنت لتقف فيها على جملة من المواضع والأمكنة والبلاد.

ولا تعدم أن تخلص منها بفوائد تتصل بالنجوم والكواكب والأبراج.

وهي في جملتها عيبة علوم ومظنة معارف شتى.



رِسَالَةُ الصَّاهِلِ وَالْإِشَاجِ

رسالة الصّاهل والشّاحج (١)

هذه رسالة لم نكن نعرف عنها شيئاً كثيراً غير ما أثر في المصادر القديمة، ولكن الدكتورة عائشة عبد الرحمن قد وقفت على نسختين مخطوطتين في الخزانة الملكية بالرباط، لم نكن نعرف من أمرهما شيئاً، فاضطلعت بتحقيق هذا الأثر معتمدة على هاتين المخطوطتين، وبذلت جهداً محموداً في إخراج هذا الكتاب النفيس. وقد قدمت لتحقيقها بمقدمة مفيدة عرضت فيها للكتاب وأن المعري خصّ به عزيز الدولة أبي شجاع فاتك، وتكلمت على «اللامع العزيزي» الذي صنّفه المعريّ لعزيز الدولة ثابت بن معز الدولة ثمال بن صالح بن مرداس، وأفاضت في هذا الشأن وأوضحت الغموض في هذه المسألة التي جاءت من الخلط بين عزيز الدولة هذا وأبي شجاع فاتك. وعرضت لأقوال المؤرخين القدماء، وما شارك فيه المحدثون، وانتهت إلى حقيقة بسطتها في دراستها النافعة بين يديّ الكتاب.

وفي المقدمة فوائد تاريخية أخرى تتصل بالحقبة التي ألف فيها المعري هذه الرسالة، وما كان فيها من الأحداث الداخلية والخارجية، وما كان من الاضطراب الذي سبق حملة الروم وصاحبها وما تركت من آثارٍ ودمار. وهذه

(١) بتحقيق د. عائشة عبد الرحمن، ط. دار المعارف بمصر.

الرسالة، وإن كانت مادة في الأدب، فهي تفسر أحداث التاريخ في أوائل القرن الخامس، وتكمل من وصف ما اتصل بالأحداث بمادة مفيدة. وأبو العلاء يشير إلى ذلك بأسلوبه تورية وتعمية وصراحة في هذه الرسالة التي سنسبب الكلام عليها. وكأنَّ ما دعاه على إملائها ما كان من جفلة الناس مما يتوقعون من غزو باسيل عظيم الروم لمدينة حلب.

ويقول مؤرخو أبي العلاء القدامى وشاركهم الباحثون في عصرنا: إنه أملى هذه الرسالة استجابة لإلحاح أبناء أخيه، لكي يرفع مظلمتهم إلى والي حلب «عزيز الدولة وتاج الملة، أمير الأمراء - أعزَّ الله نصره -» وهي تتعلق بأرض قاحلة لهم، رَفَع الجُباة أن عليها مالاً ينبغي أن يؤدَّوه إلى بيت المال.

وقد بسط أبو العلاء هذه المسألة في أول رسالته وأوضحها مستجيباً لهم، وفاءً بما يجب لهم عليه من حق القريب والرحم، واستحياء من أياديهم له، وإخلاصهم في خدمته ورعايته، فليس من سبيل أن يتخلص من طلبهم ويتخلَّى عنهم.

ولكنني أقول: ليس رفع هذه «المظلمة» إلى عزيز الدولة سبباً في إملاء هذه الرسالة، وذلك لأن أبا العلاء حشر هذه «المظلمة» في أول رسالته مستجيباً لطلب أبناء أخيه وإلحافهم الشديد، ثم انصرف إلى مادته وهي أشياء ذات خطر عظيم وهي الغرض من هذه الرسالة فعرض للأحداث وللمخاطر التي تتهدد البلاد والرعية من أمر حملات الروم، وما تركت من آثار سيئة، وما كان من عبث أولي الأمر في داخل البلاد وتقصيرهم. ومن أجل ذلك بدا أمر «رفع المظلمة» في فاتحة الرسالة شيئاً غير ذي قيمة حشره المعري، وكان غير موفق في إدراجه - جملة اعتراضية - ليس لها مكان أو فائدة على نحو الجمل الاعتراضية في أساليب المنشئين.

ولا أريد أن أشارك في الكلام على الأحداث التاريخية وما كان من نتائجها فقد جاء هذا وافياً بالغرض في «مقدمة» المحققة، ولا سيما في الكلام على الحقبة التي أملى المعري فيها «رسالته».

ثم كانت مقدمة أخرى للمحققة أسمتها: «مدخل موضوعي» في عالم الإنسان، في منطق الحيوان بين «كليلة ودمنة» و«الصاهل والشاحج».

وقبل التعريف بمادة «الصاهل والشاحج» لنخلص منه إلى المادة اللغوية في أدب المعري لا بد أن نقول ما قاله الأوائل في «الكتاب»: إنه على لسان فرس وبغل، فالفرس هو «الصاهل»، والبغل هو «الشاحج».

غير أن المحققة أرادت أن تعرض في هذا «المدخل الموضوعي» لكليلة ودمنة لتنفي علاقة «الصاهل والشاحج» بكتاب ابن المقفع، وإن رسالة المعري ليس تقليداً لـ «كليلة ودمنة»، فراحت المحققة تتكلم على الحكايات في العربية على لسان الحيوان في شعر النابغة وأمية بن أبي الصلت وغيرهما لتقول: إن هذا الأدب قديم في العربية، وإن العرب عرفوه، فليست «كليلة ودمنة» «المترجمة» أول أثر في العربية جاء على لسان الحيوان والطير.

أقول: لم يقل أحد من المتقدمين إن «الصاهل والشاحج» من «كليلة ودمنة» أو أن بينهما صلة. ولم يشر أبو العلاء إلى شيء من هذا، ولكنه قال على لسان الشاحج بأنه في الشكوى التي يلتمس من «أبي أيوب، الجمل» رفعها إلى السيد عزيز الدولة وتاج الملة أمير الأمراء — أعز الله نصره — قد نحا فيها — في التورية والإلغاز — منحى «ابن دريد» في كتابه «الملاحن» و«ابن فارس» في كتابه «فتيا فقيه العرب».

أقول: وهذا جرّ المحققة إلى الكلام على هذا الضرب من الأدب على ألسنة الحيوان عند العرب فذهبت إلى الكلام على «كليلة ودمنة»، وما أظن

أن الأمر يستدعي هذا الاستطراد البعيد، وذلك بأن المعري قد نظر إلى «كليلة ودمنة» في كتاب آخر هو «القائف» الذي لم يصل إلينا وكان من جملة الكتب التي ضاعت. وكان هذا الكتاب قد وصل إلى الأندلس في عصر أبي العلاء فأشار إليه مؤلفو الأندلس، ومن هؤلاء: الكلاعي الذي اقتطف شيئاً من «القائف» في كتابه «إحكام صناعة الكلام»، قال:

ومن الحكايات المختلفة والأخبار الموزرة المنمقة: كتاب «كليلة ودمنة» وكتاب «القائف» لأبي العلاء المعري... وقد تكلموا فيه على ألسنة الحيوان وغير الحيوان...

ثم قال:

ولأبي العلاء المعري في كتاب «القائف» إحسان مشهور وإبداع كثير موفور، وهو أكثر من كتاب «كليلة ودمنة» ورقاً، وأفسح طلقاً، وأطيب شميماً وعَبَقاً^(١).

وقد أفاضت المحققة في الكلام على «عالم الحيوان» في الأدب العربي القديم جاهليته وإسلاميه، كما أشارت إلى ما في لغة التنزيل من هذا الباب من خبر سليمان، وما علمه الله من منطق الطير، وأثبت الآيات ١٨ - ٢٢ من سورة النمل:

﴿حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فقال أحطت بما لم تحط به وجئتكم من سبأ بنياً يقين﴾.

ثم قالت المحققة: فماذا عن الصياغة الفنية لمنطق الحيوان؟

(١) الكلاعي: إحكام صناعة الكلام. «فصل المقامات والحكايات» عن مقدمة «الصاهل والشاحج».

قصص «كليلة ودمنة» تُلقَى بأسلوب الحكاية في مجلس سَمَر للملك حيث يتخيل «بيدبا الفيلسوف» قصصاً شتى من عالم الحيوان، لا تربط بينها وحدة زمان أو مكان، سوى مسامرة الملك بها في هذا المجلس. كما لا يربطها بعالم الإنسان، سوى ما تقدّمه من عبرة صريحة وموعظة مباشرة. فكلُّ حكاية منها، يؤلفها «بيدبا» الحكيم المعلم لتعطي عبرتها بتوجيه سؤال الملك عن مَثَل بعينه، فيسوق إليه «بيدبا» في القصة المتخيّلة مضرب هذا المثل.

الأمر يختلف اختلافاً جوهرياً «رسالة الصاهل والشاحج»: فليست مجموعةً من حكايات شتى، بل قصة واحدة مترابطة الفصول والمشاهد، وهي لا تؤدّي بطريق الحكاية والسمر لسوق العبرة ومضرب المثل، بل صيغ الحوار على طريق التشخيص والإخراج التمثيلي الزاخر بالحركة والحيوية، وكأننا نشهد تمثيلية يؤديها شخوص من البهائم، مكانها حيث يقف «الشاحج» معصوب العينين في موضوعة بمعرة النعمان، وموضوعها الرئيسي تصوير لما كان من جفلة الناس لِمَا يتوقّعون من خروج باسيل ملك الروم لغزو حلب، رغم ظاهرة الفظيعة بينه وبين عزيز الدولة.

وعلى عكس ما في «كليلة ودمنة» حيث يقصّ الإنسان «بيدبا» الفيلسوف على «دبشليم» الملك حكاياته التعليمية المتخيّلة لعالم الحيوان. تتحدث الشخوص الحيوانية في «الصاهل والشاحج» عن عالم الإنسان، ولا يظهر أبو العلاء على المسرح إلّا ريثما يمهد للتمثيلية بتحية موجهة إلى «السيد عزيز الدولة وتاج الملة...» والاعتذار عن مكاتبته في شكوى بني أخيه بأرض لهم قاحلة... لو أن البغل الذي يكدح فيها أنطقه الله تعالى بقدرته لجأر مما يكابد فيها من عناء ونَصَب.

وينسحب أبو العلاء في لطف، بعد هذا التمهيد، والشاحج شاخص

على المسرح معصوب العينين، منطوياً على همومه وهواجسه، ومن بعيد يُسمع صهيل فرس لا يلبث أن يظهر قرب الشاحج، ويترجل عنه فارسه ليروّء الماء ويأخذ بعض راحة قبل متابعة السفر.

ويبدأ الحوار، بقدرة الله تعالى، بين الصاهل والشاحج الذي لا يكاد يسمع أن الصاهل في طريقه من مصر إلى حلب، حتى يطمعه الرجاء في أن يحمل خاله الفرس إلى الحضرة العالية بحلب، مظلمة شعرية من نظم الشاحج إلى السيد عزيز الدولة وتاج الملة...

ويأنف الصاهل من هذه الخثولة المهيئة التي يمث بها إليه البغل فيوسعه تحقيراً وسخرية، ويتطور الجدل فيتحول إلى خصومة حادة، ويقترح الصاهل أن يحتكما إلى فاختة كانت تحطّ على غصن قريب، ويرفض الشاحج تحكيم فاختة، وهي المشهورة بالكذب والحمق والخفة، ويقترح أن يكون الحكم بغيراً في إبل وردت الماء هناك.

.....

أقول: أرادت المحققة أن توضح الفرق بين الأسلوبين في «كلىة ودمنة» و«الصاهل والشاحج» فذهبت إلى ما ذهبت إليه كما هو مبسوط من كلامها. وليس من حاجة إلى هذه الموازنة والمقارنة، ولم يقل أحد من المتقدمين أن «هذا» من «ذاك» والخلاف بينهما كما أثبتت صحيح، غير أن هناك شبهة أصيلاً وهو أن حكايات «كلىة ودمنة» جاءت على ألسن الحيوان والطير، والكلام في «الصاهل والشاحج» حديث الحيوان أيضاً وإن كان الحيوان يتحدث عن أحداث الناس في مجتمع المعري في حلب وأطرافها في مستهل القرن الخامس الهجري. وإذا كانت الحكايات على ألسنة الحيوان في «كلىة ودمنة» فإنها تعبر عمّا يفكر به الناس من مشكلاتهم

وما يحزبهم من خير وشر، ولولا أسباب عدة لصرّحوا بها، فكأنها والحالة هذه تتحدث عما يضطرب به الإنسان في حياته وشؤونه. وليس القول «إنها حكايات متخيلة لضرب المثل» معبراً عن حقيقة دلالة هذه الحكايات، وهي نظير الحوار بين «الصاهل والشاحج»، والغاية في كليهما بسط ما يعرض من شؤون الناس في الحياة وما يلقونه فيها من مشكلات ونوازل.

وقد تذرّع أبو العلاء بشكوى بني أخيه وأنهم طلبوا إليه أن يرفع مظلمتهم إلى السيد عزيز الدولة، وأشار إلى ذلك كما بيّنا في مقدمة الكتاب، ثم انصرف إلى «الشاحج» الذي «شخصه» فنظم مظلّمته وكان يلتبس من يرفعها إلى السيد عزيز الدولة لما بلغه من نظر الأمير هذا في العروض ومعرفته بأقدار الشعراء، ثم بدا للشاحج أن يعدل عن المظلّمة المنظومة فنثرها وصاغها مورياً ملغزاً آملاً أن تحيّر أهل العلم والشعراء في الحضرة العلية بالغازها.

ثم نقف على رد الصاهل على الشاحج منكرّاً عليه التظلم إلى عزيز الدولة:

ومن الذي أوهمك أن مثلك يُسمَع له قول أو يُعرَف منه إيماء؟

أقول: وكأنّ أبا العلاء أراد أن يأخذ على عزيز الدولة اهتمامه بالشعر والعروض، وكان ينبغي له أن يصرف اهتمامه للمشكلات الجسام، ولما يحزب الناس من الفتنة المتوقعة وما يتوقعونه من غزو الروم.

ولنبداً بـ «الصاهل والشاحج»:

قال أبو العلاء أحمد بن عبد الله:

أَسْلَمَ على الحضرة العالية تسليم العاجز المقصّر، كما ينظر الهادي

المدلج إلى فرقد الليل، واليَمَانِي المَشِيم إلى سهيل، وأصحاب الراح يتعوذون من مُغْنٍ إذا ارتَجَلَ شُتَيْم، وإذا سَكَتَ صَيْنَ وأَكْرِم. وأنا أمتُّ بحق التخفيف. قال بعض الرعاة: لا تَذُمُوا القَتَادَةَ فإن لها علينا حقاً، قيل: وما ذاك؟ قال: إنها لم تُنبت بأرضنا^(١).

ولو كنت بالغاً في الأدب أَطَوْرِي^(٢)، لكنت في تلك الحضرة كالقطرة تحت الصَّبِير، والحصاة إلى جانب «ثبير». فما بالي وأنا مثقل استعانَ بِذَقْن^(٣)، وطفل بَهَشَ إلى يَفَن... وعند المنهل نسيْتُ المَزَادَةَ^(٤). كل امرئٍ يغدو بما استَعَدَّ، وقبل الرِّمَاء تملأُ الكَنَائِن...

أقول: ونقف في هذه المقدمة على هذه اللغة المختارة التي تأتلف من الفصيح الخاص، موشىً بالمثل القديم يأتي به أويوميء إليه، وتلك سجيّة في المعري نلمسها في سائر تصانيفه.

وهو يتقرب إلى السيد عزيز الدولة على نحو ما يتقرب المُدَّاح الشعراء من ممدوحيهـم بعبارات من التعظيم والتبجيل قد تحمل على التزلف والملق وهو يقول:

وقد عِلِمَ الله — جل اسمه — أني استنزر للسيد عزيز الدولة، وتاج المَلَّة، أمير الأمراء — خلَّد الله أيامه — كلٌّ كثير، فلو حَمَلت إلى حضرته الذهب لظنته صُفْراً، أو الإيمان لحسبته نفاقاً وكفراً.

-
- (١) يشير إلى أن له على الحضرة حقاً: أنه بعيد عنها لا يقيم فيها ولا يتردد عليها.
(٢) من الأمثال: «بلغ من العلم أطوريه». أنظر مجمع الأمثال للميداني ٩٣/١.
(٣) في المثل: «مثقل استعان بذقن»، قال الجوهري: يضرب في الرجل الذليل يستعين بآخر مثله.
(٤) أنظر مجمع الأمثال ٦٨/٢.

ومن المفيد أن أمضي في هذا الأدب الذي حشر فيه المعري من غرائب اللغة وأوابدها قدراً كبيراً، وتلك من طبيعته وسجيته فإنه ليسير في هذا السبيل في أي باب يطرقه من الأبواب، فقد يكتب إلى صديق له رسالة إخوانية، ولا تعدم أن تجد فيها غرائب الأوابد وقد يزيد على ذلك فيجعلها مظنة لمصطلحات العلوم كالنحو والصرف والعروض ونحو ذلك وكنا قد تبينا ذلك في رسائله عامة.

ويمضي المعري في زلفاه إلى السيد عزيز الدولة فيقول:

... ولو جَعَلْتُ شجر الكافور والألوة قوتاً للنار أوقَدْتُهَا مَهْنَتُهُ فِي الصَّبْرِ^(١)، تدفع بها قِرَّة ذات وَبَرٍ، أوهمتني المحبة أني قد وَئِيتُ ...

ثم يذكر طلب أولاد أخيه برفع «مظلمتهم» بشأن الأرض التي مرَّ خبرها... فيقول:

لي — أطال الله بقاء السيد عزيز الدولة وتاج الملة أمير الأمراء — أولاد أخٍ قد أودموا على أنفسهم من خدمتي ما ليس بلازم، وأصغرهم سنّاً طفل صغير قد وُكِّلَ فِي الصَّبَارَةِ، كلما أحسَّ بِحِمَامِ اليانوسة لديّ أجباها بالحُمَمِ إلى غير ذلك من المآرب لا يمكن قضاؤها بنفسي.

ولهم أوالب في مدينة «حماة»... وَرَفَعَ رافع إلى الحضرة العالية أن حقاً يجب للخزانة المعمورة يجب على أرض أولئك الدُّرْدِ النهابِلِ...

(١) الألوة: بفتح الهمزة وتشديد الواو عود يُتَخَرَّبُ به، والمَهْنَةُ: جمع ماهن وهو العبد والخدام، والصَّبْرُ: شدة البرد، وذوات وَبَرٍ: أيام برد العجوز.

وسألوني، والمسألة حُرصة أن أسأل السيد عزيز الدولة... في ذلك فاستحييت أن أكلّفهم في اليوم القصير لُماساتٍ وروب^(١)...

ثم قال:

وقد أشرت عليهم بترك تنجّزهم الصفح عن ذلك، وقلت: الصبر على القناعة أقبل من سوء الصناعة، والكريم يجب أن يُستَحيا منه...

فأبوا إلا غير ذلك وقالوا: إننا لا نحمل أَوْقاً كان موضوعاً فيما سَلَف... فجشّمتوني كلاماً في ذلك، فقَبَّحَ الله مِعْزَى خيرها خُطّةً، وشجراً أطوله التربة...

أقول: فأنت ترى إن ذكره لطلب أبناء أخيه لم يَشأ إلا أن يكون حافلاً بالكلم الغريب الذي لا يُدرَك إلا بالرجوع إلى المظان.

وقال: وقد وصلوا بهذه الرسالة رقعةً يرجون بها من اليد العالية توقيعاً مؤبداً، لا يكون بعده القول مردّداً، بل يحسم بإيجاب، طَمَعَ كل ناظرٍ وجابٍ.

وقال: ولهؤلاء القوم أريضة ليست بالأريضة، وهي من قلة العمل كالمریضة، غراسها ليس بعميم، وثمرها بين الثمر كبنّي يربوع في بني تميم...

إلى أن قال: ... وتردّ جباها الواردة^(٢)...

(١) اللُماسة: الحاجات الملتزمة. والوُزْب وجار الوحش، والجمع أوراب، ولعل المثبت هو: «وُروب» بفتح الواو، وهو في هذه الحال نعت للمؤلف في أنه زهد في الدنيا فانفرد في مسكن كالوجار.

(٢) والجَبَا: الخوض، والواردة تقيد البهائم التي ترد الخوض، وأبو العلاء يمهّد بلطف بعدما قدم من وصفه للبهيمة المتبعة المحجوبة العينين (البغل) لما سيكون من حوار بين البغل (الشاحج) وما يرد على الخوض من بهائم.

ويقف أبو العلاء هنا ليمهد إلى مادة الكتاب فينطلق في الكلام حديثاً تتوجه «الواردة» أي البهيمة إلى غيرها من البهائم فينقعد الحوار ويبدأ الكتاب شيئاً جديداً، فهو يقول: فجائز أن تضمّر هذه البهيمة أو تقول باللسان ما لا يفهمه كلّ إنسان من كلام معناه: رب صَلِّفٍ تحت الراعد^(١)، وساعٍ دأبٍ لقاعد^(٢)، تقرّي البائسة وترد الرائسة^(٣).

ردي ردي وردَ قِطَاةٌ صَمَاءُ
كُذْرِيَّةٌ أَعْجَبَهَا وَرْدُ الْمَاءِ

.....

ولا يمتنع في قدره الله أن يرد فارسٌ كُمَيْتٍ أو وَرْدٍ، فإذا شَرَعَ في نمير ذي بَرْدٍ، رَبَّطَهُ بِالْكَتَبِ مِنَ الْمَثَابِ، فيقول الشاحج بفضل الحِسِّ:

من أين طراً علينا الكريم؟

فيقول الصاهل: ومن أين علمتَ بالكرم، ومن دون عينيك حجاب قد شُدَّ، لو كان دون العين النابغة لما فارت، أو العين الطالعة لما أنارت^(٤)؟

فيقول الشاحج:

عرفت كرمك في وَطْئِكَ وصوتك، لأنَّ الرائع قموص الرجل، بِحِجْلِ

(١) مثل، قال الجوهري: يضرب للرجل يتوعد أو يعد، ثم لا يقوم به.

(٢) أنظر مجمع الأمثال ٣٠١/١.

(٣) قري الماء في الخوض: جمعه، والرائس: الوالي.

(٤) العين النابغة: هي عين الماء، والعين الطالعة: الشمس.

كانت أوبغير جِجل. ولأنَّ جُشَّةً في الصهيل تكون يعتق الفرس أبين دليل،
قال الجعفي^(١):

أما إذا استدبرته فتسوقه رجل قموص الوقع عارية النَّسا
وقال لبيد:

بأجشُّ الصوتِ يعبوبُ إذا طَرَقَ الحَيَّ من الغزو صَهْلُ
فيقول الصاهل:

إنَّك لعالم بالعراب، فمن أين لك ذلك، والأيام لك شاجنة، ونوبها
عندك راجنة؟
فيقول الشاحج:

فرض على المنتسب عرفان الخال، ولا سيَّما صاحب الشرف دون
الأب، وإذا افتخر رُقيم^(٢) بسعد، وعمرو^(٣) بجذيمة فإنه غير متعذّر. فأخبرني
من أين مبدأ سفرك؟
فيقول الصاهل:

من مصر التي قال فيها فرعون: ﴿أليس لي ملك مصر، وهذه الأنهار
تجري من تحتي أفلا تبصرون﴾^(٤) تلك صُبْرَةُ الذهب، وأمّ النعيم، ونبوع
النصفة.

(١) هو الأسعر الجعفي. أنظر: المؤلف، للآمدي ص ٤٧؛ والشعر والشعراء ٧٤٥/٢، (ط. بيروت).

(٢) هو رُقِيم المحاربي، وخاله سعد بن مُعَاذ الأنصاري. (أنظر الاستيعاب ٩٥٨).

(٣) هو عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة اللخمي، أمّه رَقَاش أخت جذيمة الأبرش،
(جمهرة الأنساب ص ٣٩٧، وجذيمة الأبرش هو الوضاح، ملك الحيرة، قتلته الزبّاء
(جمهرة الأنساب ص ٣٣٨).

(٤) سورة الزخرف: الآية ٥١.

فيقول الشاحج :

أُكْرِمْتَ أَكْرِمْتَ، القول ما قالت حذام^(١)، تلك الحسناء بَعُدْتَ من
الذام^(٢).

.....

فإلى أين المحرّد^(٣)؟

فيقول الصاهل : إلى حضرة مُواسٍ آس، قد بَسَطَ آمال الناس، أديبٍ
أدب، ما هو بجديبٍ ولا جادب، كاذ يكون عدله في الآفاق مطراً، وتأرّجَت
البلاد بشنائه عليه فهَمَّ الجوُّ أن يكون عِطراً، أقام السوق للفصاحة...^(٤).

فيقول الشاحج :

صَدَقَ زاعم فيما زَعَم، إنه لكما تصف وأنعم، وهو على إدراكه جدّ
العظماء، ضارب بالسهم الفائز من سهام العلماء...

وهذا الأمير كما نطق به الكتاب الكريم من قوله تعالى : ﴿ولما بلغ
أشدّه آتياه حُكماً وعِلْماً وكذلك نجزي المحسنين﴾^(٥).

فالله القادر يُبلّغه أفضل آمال المجد ودين، إذ كان كما قال تعالت
كلمته : ﴿وكذلك مكّنا ليوسف في الأرض ولُنَعْلِمَهُ من تأويل الأحاديث، والله
غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾^(٦).

(١) مجمع الأمثال ١٠٦/٢.

(٢) كلامه يومئ إلى المثل : لا تعلم الحسناء ذاماً، (مجمع الأمثال ٢/٢١٣).

(٣) المحرّد : هو القصد.

(٤) وسيظهر من السياق أن الصاهل يعني : «عزيز الدولة» وأنه قاصده.

(٥) سورة القصص : الآية ١٤.

(٦) سورة يوسف : الآية ٢١.

إلى أن يقول:

وقد عزمْتُ يا خالي أن استودعك رسالة إلى حضرة هذا الأمير لتذكّر بي
ولاة العدل ﴿فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾^(١) لعلّ علاوة تُحطّ عن فوّدي
مثقل، ونزعاً بالغرب يُخفّف عن خابط عِضة...

فيكون منك الطّول بأن تصل تظلمني إلى الحضرة، فلعلّي أنصف مع
المظلومين...

ويمضي الشاحج في كلام طويل يصف ما يقاسيه من نصب في
العيش، وما يلاقيه من مصائب.

ويمضي في صفحات طويلة، وهو يذكّر الصاهل بشرف نسبه إليه
فيناديه: يا خالي، وهو يتشرف بهذا النسب ويقول: والخال أثبت نسباً من
العم، لأنّ الرجل يُشكّ في نسبه من قبل أبيه ولا يُشكّ في نسبه من قبل
أمّه...

وأنت تجد في كلام الشاحج من الأدب واللغة والشعر والأخبار وغير
ذلك من الفوائد الكثير. ويردّ عليه الصاهل وينكر خؤولته له ويقول:

زَعَمْتُ أَنِّي خَالِكَ، وَأَيْنَ الْآفَقُ مِنَ اللَّثِيمِ وَلَدْتَهُ غَافِقُ^(٢)؟

ويمضي الصاهل في حديثه فيورد من الأخبار مما يتصل بالناس
والحيوان يستشهد في ذلك كله بالمأثور من الأدب والشعر، وأنت في ذلك
كله بمجموع رائق في الأدب تعجب من استيعاب المعري لهذا القدر من
المعارف الواسعة المختلفة.

(١) سورة الذاريات: الآية ٥٥.

(٢) الآفَق: الذي بلغ الغاية في الكرم والفضل والعلم. وغافق: قبيلة من عكّ حاملة.

ولا يترك أبو العلاء مناسبة إلا جعل فيها فائدة في الأدب واللغة فإذا قال
الصاهل في كرم الخيل شيئاً مثلاً أتبعه بفوائد كثيرة مفيدة فقد قال:

وتلا خيلَ العرب في التكرمة إبلُها السائمة والمستعملة. وإنما جمهور
الموزون الذي نقل عن العرب في الخيل والإبل والنساء، فهل سمعت أحداً
من الرواة نَسَبَ إلى الناقة أو الجمل بيتاً أو بيتين؟

والمشهور من الكلم جنس للمنظوم، وعلى حسب ما يتسع في القول
المتكلم، ينصرف لدى النظم الشاعر. ولذلك صحَّ أن العرب أوفر حظاً في
الموزون لأن لغتهم تُستبحر وإن لم تُبَن منها أوزان الشعر.

وقد علمت أن صوتك له نوعان: الحَمْحَمَة والشحيج، وكلاهما
لا مسلك له في الموزونات، لأن الكلمة إذا اجتمع فيها ساكنان يتوسطانها
لم يُمكن أن تنظم في حشو البيت العربي إلا في موضع واحد كقوله:

فرُمْنَا القِصَاصَ وكان التقاص فرهنأ وحتمأ على المسلمينا^(١)

وليس ذلك بمعروف ولكنه شاذ مرفوض، وما شذَّ من كل الأسماء فإنه
لا ينكسر به القياس. وإذا كان الساكنان جَمَعَ بينهما من آخر الكلمة وقف
وسكوت، فإنما يستعمل ذلك في أواخر أوزان معروفة تسعة أو عشرة، كقول
القاتل:

جاء شقيق عارضاً رمحه ان بني عمك فيهم رِمَاحُ^(٢)

.....

ثم يرد الشاحج عليه إنفته من خؤولته ويمضي في كلام طويل ويصف

(١) هذه مسألة أوردها المبرد في «الكامل».

(٢) الصاهل والشاحج، ص ١٦٢ - ١٦٣.

له فضله وقيّمته وإن الله تعالى جعل البغال أقران الخيل فقال: ﴿والخيل
والبغال والحمير لتركبوها﴾^(١). ثم يأتي من الفوائد أدباً ولغة نظير ما وجدنا من
كلام الصاهل.

ويقول: وقد بلغني أن للسيد «عزيز الدولة وتاج الملة أمير الأمراء»
مجلساً يجتمع فيه الفقهاء وأهل الكلام والأدب والشعراء. ولو تحرّى فيّ
التطوع متحوّب فقادني برّسني حتى أقف من ذلك المجلس بمراى ومسمع
لألقيت مسألة ثم فرّعتها فخاض فيها الفقهاء والمتكلمون والشعراء سحابة
ليلتهم تلك. وكأنني بك قد قلت في نفسك: ليت شعري ما تلك المسألة؟ ثم
أدركتك الأنفة أن تسألني عنها. . .

وكنّت أقول للشعراء: أخبروني عن ثلاثة منكم أحضرهم السيد عزيز
الدولة. . . — أعزّ الله نصره — وكان أحدهم يعمل البيت من قرّي «قفا نبك»
في دقيقة، والآخر في دقيقتين، والثالث في ثلاث دقائق. فأمرهم أن يصنعوا
بيتاً على ذلك العراق ويتعاطوا فيه النصفة، أكان هذا يُمكن أم يتعذّر^(٢)؟

.....

ثم يرد الصاهل عليه وينعقد حوار طويل وحديث طويل، وفي جملة
ذلك فوائد كثيرة في الأدب واللغة والنقد والنحو وغير ذلك.

وكأن الصاهل أراد أن تكون الفاخنة حكماً، ويرفض الشاحج تحكيم
الفاخنة لشهرتها بالكذب والحمق والخفة ويقترح أن يكون الحَكَم بعيراً في
إبل وردت الماء.

(١) سورة النحل: الآية ٨.

(٢) الصاهل والشاحج، ص ١٩٠ — ١٩١.

وتغناظ الحمامة مما سمعت من مدح الشاحج فيها فتسرع إلى الجمل وتلقي إليه القصة مع قلب كلام البغل فيها وفي أبي أيوب الجمل، فيندفع هذا مهتاجاً فيهجم على الشاحج في حنق مسعور.

ويتعقد الموقف قبل انكشاف مكيدة فاختة، ويريد أبوأيوب ليكفر عن إساءته إلى الشاحج، فيقبل رجاءه في إيصال مظلمته إلى الحضرة العالية، وقد عدل فيها عن الشعر، ونحا بها منحى ابن دريد في «الملاحن» وابن فارس في «فتيا فقيه العرب» ويُعَيِي أباأيوب أن يفقه منطق الشاحج في مظلمته فيستحمقه ويظن به مَسًّا من خَبَل.

ويتأخر الخوض في أحداث حلب، ريثما يفد الثعلب ويفضي الحوار إلى صداقةٍ بينه وبين الشاحج يتبادلان النصح، فيسأله الشاحج أن يصنع له جميلاً هيهات أن ينساه: يتجول في المنطقة، وهو الطليق الحركة المفتوح العينين، ليأتيه بأنباء حلب - حرسها الله - وحال أهلها وسكانها في جفلة الخوف من غزو الروم، وينقل إليه عن رؤية عين، أخبار السياسة والحرب والبلاط والمجتمع.

ويعود الثعلب من جولاته بأخبار كثيرة هي ما كان يجري في تلك الحقبة، حتى إذا استوعب الشاحج تلك الأخبار وعرف مواقف الرؤساء والقادة ينتهي الكتاب بهذا النمط من الحوار بصوت أبي العلاء يملئ تحية الختام للسيد عزيز الدولة... (١).

أقول: وظهور الثعلب في الحوار مؤذن بظهور فوائد غير تلك التي كانت في حوار الصاهل والشاحج فهي هنا تتعلق في أن «العامة» يخبرون أن

(١) هذا التلخيص من مقدمة المحققة.

صاحب الروم قد نهّد إلى أرض المسلمين^(١) وأن رسالة عزيز الدولة إلى طاغية الروم في الكف عن الغزو لم يأت جواب عنها^(٢). الإشارة إلى ما بين الطاغية وعزيز الدولة من تفاهم^(٣).

ونجد من صلوات عزيز الدولة بطاغية الروم أنه أهدى إليه هدية سنّية ونقرأ صفحات من بؤادر جفلة الناس وتصور ما يمكن أن يحدث عند الجلاء عن ديارهم مخافة الغزو. وحال النساء والشيوخ وذوي العاهات. ونقرأ فيه من أخبار التجار وأصحاب الحرف والمكارين واليهود، وأحوال النصارى.

وفي جملة ذلك لا تعدم أن تجد اللغة والأدب والشعر القديم، وعلى هذا فإنّ هذه الرسالة عيّبة علم كثير إلى جانب الفوائد التاريخية والاجتماعية التي لا بد أن يقف عليها المؤرخون في عصرنا عند الكلام على هذه الحقبة.



(١) الصاهل والشاحج، ص ٤١٥.

(٢) المصدر السابق، ص ٤١٧.

(٣) المصدر السابق، ص ٤١٦.

زَجَرُ النَّسَاجِ

زجر النّاج (١)

إن الكثير من آثار أبي العلاء قد وسم بأسماء مفيدة ذات دلالة فمن ذلك ديوانه الأول «سقط الزند» ودلالة «السُّقط» معروفة، وعلاقة السُّقط بـ «الزند» علاقة أكيدة، ومجموع هذا المركب الاضافي مقصود في دلالة تصويرا وتشبيها.

ودلالة «اللزوميات» أو «لزوم ما لا يلزم» معروفة. و «الفصول والغايات» كتاب في تمجيد الله وتعظيمه جعل أبو العلاء منهجه فقراً و «فصولاً» كل فقرة أو فصل في باب تعظيم الله — جلت عظمتة — تنتهي بكلمة «غاية»، والمراد بـ «الغاية» النهاية في مادة «الفصل».

وأما «رسالة الملائكة» فهي أجوبة عن سؤالات فيها شيء عن ملك وملائكة وعزرائيل واسرافيل وغير ذلك.

(١) كتاب من آثار أبي العلاء التي ضاعت مع جملة كتب أخرى لا نعرف إلا أسماءها وما قيل فيها، أو ما اشتملت عليه في بعض الأحيان. و «زجر النّاج» هذا ليس إلا مقتطفات وجدها المحقق الدكتور أمجد الطرابلسي في حواشي مخطوطة هي الجزء الأول من ديوان اللزوميات، والمخطوط في خزانة «المتحف البريطاني». وقد بسط المحقق جملة ما يتصل بهذا وغيره في مقدمته لهذا الكتاب الذي شاء المحقق أن يجمع فيه هذا الحواشي التي هي من «زجر النّاج» ط. دمشق ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.

«وعبث الوليد» في نقد شعر البحتري والكلام عليه، ووسمه بـ «العبث» مقصود، ذو دلالة نقدية وغيرها... وإضافته إلى الوليد ضرب من اللعب البديعي على طريقة أسلوب «التورية».

وفي «زجر النابح» دلالة تتجاوز النقد، بل هي شيء من الرد على الشتيمة أو الهجاء أو أي ضرب ينال به أحدهم غيره فيقسو عليه، فقد وسم أبو العلاء من تكلم فيه ورماه بالمروق واللاحاد بـ «النابح» وهو الكلب الذي استحق أن «يُزجر» اتقاءً لنباحه.

إن في هذا الوسم للكتاب لقسوة شديدة سواء أكان هذا الموسم بـ «النابح» مستحقاً أن يوسم بهذا الوسم أم غير مستحق، لا نعرف هذا لأن الكتاب مفقود، وأن «المقتطفات» التي أحسن الدكتور الطرابلسي فجمعها من حواشي مخطوطة كما أشرنا في حاشيتنا، لا تعين على معرفة هذا الذي ذهب إليه التصور.

غير أنني أميل إلى أن في طبع أبي العلاء شيئاً من قسوة نتيبها في نقده، والنظر في «عبث الوليد» يؤيد ما أذهب إليه. وإذا كان الأوائل قد قالوا: «حبك الشيء يُعمي ويُصم» فإني أجد هنا انحياز المعري إلى أبي تمام وانكماشه عن البحتري.

وفي «المعري» أشياء ربما لا نجد ما نحملها عليه إلا القول بما كان فيه من تناقض «وتطرف» وهو مصطلح عصرنا هذا، فبينما نجد زاهداً قابلاً في بيته في «الثلاثة من سجنونه» و«رهين المحبسين» إذا هو في سرّة الدنيا، يشارك فيما يحزب الناس من أمور الدنيا كثير العلاقات والمكاتبات والتعرض لخبر الدنيا وشرّها، ورسائله تشهد بهذا^(١). وإذا نظرت إلى «الصاهل والشاحج»

(١) أنظر: رسائل أبي العلاء.

أدركت صلته بالحاكمين وكيف أغرق في التوجه إلى «السيد عزيز الدولة، وتاج الملة، أمير الأمراء — أعز الله نصره». وهو يكرر هذه الديباجة كلما ورد ذكر هذا العزيز أبي شجاع...

وربما استطعنا أن نحمل حرص المعري في أن تكون آثاره محشوة بالعلم والمعارف المختلفة إلى شيء من حرصه بحماسة لا تخلو من زهو وفخر وتباهٍ. وأنه في منهجه في كتبه يذكر ما يقتضيه الأمر وما لا يقتضيه استطراداً وتزييداً.

ولا أستطيع أن أحمل هذا على إرادته أن يفيد طلابه لأنه اتخذ من كتبه التي أملاها كتباً تعليمية، ولا أستطيع أن أفسر هذا الاستطراد والحشو من أنه من عمل النساخ كما ذهب إليه الدكتور خليفة في نشره للرسائل بحجة أن المعري أفرد للشرح كتاباً هو خادم الرسائل. والذي يرد على هذا أن هذا المنهج نجده في «الرسائل» كما نجده في «الغفران» وفي «الصاهل والشاحج» وغيرها من آثاره.

ويبدو أن «التواضع» الذي أكثر منه في أول «رسالة الملائكة» ليس شيئاً إذا عرفنا أنه يأتي بما ينقض هذا التواضع المصطنع في حشو الرسالة فيفخر على غيره ويُجهِّل المتقدمين من النحاة كسيبويه والفراء وأضرابهم. وهو يشعر القارئ بأنه ينفرد في الرأي الذي رآه في مسائل أدبية ولغوية ونحوية، وكنا قد أشرنا إلى ذلك في الكلام على تلك الآثار.

وعلى هذا فإني أميل إلى تصديق ما عرض له في مجلس الشريف المرتضى مما نقله ياقوت وغيره وذلك أنه عرض بالشريف الذي كان يكره المتنبي وجرى الحديث على المتنبي فتنقصه المرتضى وجعل يذكر عيوبه، فقال المعري: لولم يكن للمتنبي من الشعر إلا قوله:

لك يا منازل في القلوب منازلُ

لكفاه فضلاً. فغضب المرتضى وأمر بسحب رجله، وأخرج من مجلسه.

فلما سئل الشريف في ذلك أجاب أنه أراد قوله:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل^(١)

أقول: أني لأميل إلى تصديق هذا الخير ولا أذهب مذهب من ينكرها^(٢) وذلك لعلمي أن المعري رجل بَحَاث نقَاب يتحرى الأخبار، وهو يومئذ في إشاراتِه في آثاره إلى فوائد عجيبة لا تخلو من نيل من تقدّمه وغيرهم من معاصريه^(٣).

ولنعد إلى «زجر النابح» ثم، نقف على شيء من هذه «المقتطفات» فنقول:

لقد أشار المحقق في «مقدمته» إلى أن أبا العلاء في «زجر النابح» كان يردّ على خصم واحد بعينه لا على خصوم كثير. فهو يوجّه كلامه إلى هذا الخصم بصورة المفرد دائماً، ويطلق عليه تبعاً للمناسبة نعوتاً كثيرة، منها ما قد يحتمل بيسر، ومنها ما يبلغ الغاية في القسوة. فهو أحياناً: الطاعن

-
- (١) أنظر: ياقوت: معجم الأدياء ١/١٦٩؛ نزهة الألباء، ص ٤٢٦ وغيرهما.
- (٢) الذين أنكروا الخبر ذهبوا إلى أن بين المعري والشريفيين صلة طيبة يستدلون عليها برثائه المشهور لأبي الشريفيين أبي أحمد الموسوي، ثم إنهم يستبعدون أن يتصرف المرتضى على هذا النحو وهو من هو في الزماعة والرياسة والأدب والعلم، ولكني أقول: أن سيرة المرتضى غير سيرة أخيه الشريف الرضي، فهو رجل دنيا فقد توجه إلى الخلفاء مادحاً مستعطفاً إعفاءه من بعض ما يجب عليه إلى بيت المال.
- (٣) أنظر رسالته إلى «النكتي» وهي الرسالة السابعة والعشرين من «رسائله».

والمتكلم، والمنكر، والمعترض، وهو أحياناً أخرى: المتحامل، والمتقوّل، والمبطل، والمموّه. وهو أخيراً: المختصر، والمتسوّق، والمتقرب بثلب البراء، والعريض الكاذب، والملحد.

ويغلب على الظن أن خصماً لأبي العلاء كتب رسالة يتعقب فيها أقواله في (لزوم ما لا يلزم)، ممعناً في أذيتة والتأليب عليه، مما قلق له بعض أصدقائه فحملوه على أن يرد عن نفسه هذا الخصم العنيد.

ويشير أبو العلاء في غير موضع من «الزجر» إلى ما كان يدفع هذا الخصم إلى النيل منه والتهجّم عليه وتأليب العامة ضده رغبةً في إيذائه والايقاع به. فنراه مرةً يقول بعد أن كشف عن تلاعب هذا الخصم بأشعاره وقطع ما اتصل منها عمداً، أو وصل ما انقطع:

«أفما يستحي «المتحامل» أن يأتي يمثل هذه التمويهات الباطلة ويُلبس بها على جماعة مغترة ليتوصل إلى أذاة من لم يتقدّم إليه منه مضرة ما يكره ولا يشين؟ وقد وصل البيت الذي ذكر حرصاً على التشنيع ورغبةً في تضريب العامة على معنى التأريش^(١) بيت ليس هو في الأبيات^(٢)...

وقال أبو العلاء في موضع آخر، وقد رماه الطاعن بالالحاد لقوله في خطاب طفل صغير:

بأيّ ذنبٍ أُخِذْتَ فينا لم تجنِ إلّا كذنبِ صُحُرٍ
(وصُحُرٍ فيما قيل: أخت لقمان بن عاد. وفي المثل: «ماله إلّا ذنبِ صُحُرٍ» أي لا ذنب له).

(١) تضريب العامة: اغراؤها. والتأريش: الفساد والتحريش والاثارة.

(٢) أنظر «زجر النابح»، ص ٦٤.

«والذي يعترض على مثل هذه الأشياء، لو قُدِّر أن يجعل الحذف بالحصاة إلحاداً، بله القيام واللعب وما هو جار مجراهما من أفعال الادميين^(١)، وتلك بغضة وَقَرَّت في الصدر، إما المخالفة من الطبع، وإما لأمر من القضاء لا يُعلم»^(٢).

ومقدمة المحقق مفيدة في تجلية ما في هذا السفر الممتع^(٣).

ولنأت إلى أصل «زجر النابح» فنقف على «مقتطفاته»^(٤):

١ - جاء في اللزومية الأولى، البيت الثالث عشر:

إذا نَزَلَ المقدار لم يكُ للقطا نهوضٌ ولا للمخدراتِ إباءٌ

قال أبو العلاء تعليقاً على هذا البيت:

الذين يَقْرُون للبشر بعلم الغيب والملحدة لا يقولون بالقدر وإنما المؤمن من يُصدِّق بالخطاب المنزل، بدليل قوله - تعالى - ﴿والله يعلم ما تحمل كل أنثى... الآية﴾^(٤) وقوله: ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض﴾^(٥).

وختم الجامع لهذه النقول التي أثبتتها في حواشي المخطوطة التي

(١) جواب «لو» محذوف، وتقديره: لو قدر... لفعل. وحذف الجواب يرد في أساليب البلغاء عند العلم به.

(٢) أنظر «زجر النابح»، ص ٦٥.

(٣) لقد بدأت المخطوطة بالبيت الثالث من اللزومية الأولى، ومعنى هذا أن شيئاً من أول مخطوطة قد سقط.

(٤) سورة الرعد: الآية ٧.

(٥) سورة النمل: الآية ٦٥.

تحدثنا عنها كلام أبي العلاء في ردّه على «الخصم» بقوله: هذا كلامه في «زجر النابح»^(١).

٢ - وجاء فيها أيضاً قول أبي العلاء:

وما أدب الأقوام في كل بلدةٍ إلى المين إلاّ معشر أدباء
قال أبو العلاء في الرد على من اعترض عليه في هذا البيت:

المعنى في هذا البيت أن الحسن بن هاني (أبا نواس) وعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي^(٢) وزباد بن عبد الله^(٣) وغيرهم من المناديين المعروفين بنظام الكلام كانوا يعتقدون مذهب الفلاسفة فيدعون الناس إلى المين، أي إلى الكذب. فهذا برهان يأتلق كائتلاق الشمس، ويرد الطاعي كخبيء الرمي. لأن هؤلاء جُعِلُوا دعاة مَين، ونُسِبَ قولهم إلى الشُّين.

هذا كلام الشيخ أبي العلاء ردّاً على من اعترض عليه في أبيات «من لزوم ما لا يلزم»، فيها هذا البيت الذهو: «وما أدب الأقوام...» ووسم الكتاب الذي ردّ فيه على المعترض بـ «زجر النابح»^(٤).

أقول: ولا تعدّم أن تجد في هذه «المقتطفات» من كلام أبي العلاء شيئاً من منهجه وطريقته، فلا ينفك يأتي بالجملة حتى يتبعها بأخرى مثلها وفي معناها مسجوعة على الأولى، فهي جملة فواصل، قال:

(١) زجر النابح، ص ٣-٤.

(٢) عبد الملك بن عبد الرحيم الحارث من شعراء الشام في صدر الدولة العباسية، له ترجمة في طبقات الشعراء لابن المعتز (ط. دار المعارف بمصر)، ص ٢٧٦ - ٢٨٠.

(٣) لعله يحيى بن زياد بن عبد الله الحارثي أحد شعراء الدولة العباسية، صديق مطيع بن أياس وحماد عجرد ووالبة بن الحباب، أنظر ترجمته في تاريخ بغداد ١٠٨/١٤ - ١٠٩.

(٤) زجر النابح، ص ٤ - ٥.

«فهذا برهان يأتلق كائتلاق الشمس، ويردّ الطاعن كخبيء الرمس».

وحين قال: «... فيدعون الناس إلى المين» عقب على قوله هذا فأضاف «أي الكذب» ولا أقول: كأنه شعر أن «المين» مما يفتقر إلى تفسير، ولكنه اعتاد هذا النهج في الاستطراد الذي يأتي فيه بالشرح. وقد يطول هذا الشرح حتى يكاد قارئ النص ينسى أوله، فإذا عاد المؤلف إلى ما بدأه وجده القارئ شيئاً غريباً.

وقد رأينا أنه في استطراداته هذه قد يؤدي به الأمر إلى أن ينتقل إلى ما لا علاقة بأصل الكلام.

٣ - ولنتنقل في هذه المقتطفات إلى القصيدة الثانية التي جاء فيها:
سألت رجلاً عن مَعَدٍّ ورهطه وعن سَبَبٍ ما كان يسبي ويسبأً
فقالوا: هي الأيام لم يُخلِ صرفُها مليكاً يُفدَى أو تقيّاً يُنبأ
قال أبو العلاء تعليقاً على البيت الثاني:

فأرغم الله أنف المتخرّص^(١)، ولا زالت الذلّة معقودة منه بمعطس، فما ناضل بسهمٍ مقرّطس^(٢). أليس قول القائل: «وتقيّاً نبأً» شهادة بالتقوى للأنبياء، وأنهم خلصان^(٣) الأولياء؟ وأن المنية لوتحات مخلوقاً، لعرفت لأولئك النفر حقوقاً، ولكنها تجمع بين القطن والغبي، وتأتي على النبأ والنبي، هـ.

هذا كلامه من «الزجر»، هـ^(٤).

(١) المتخرّص هو الكذاب، وجاء في قوله تعالى: ﴿تُقَلِّدُ الْفَرَاصِدَ﴾، سورة الذاريات: الآية ١٠.

(٢) السهم المقرّطس: الذي يصيب القرطاس، أي الهدف.

(٣) الخلصان: الذي خلصت سريره ومودته، يستوي فيه الواحد والجماعة.

(٤) زجر النابح، ص ٧ - ٨.

أقول: ولنقف على قوله: «ولا زالت الذلة معقودة منه بمعطس» فنجد أنه جاء بعد قوله «بمعطس» بالجملة التي انتهت بقوله: «مقرطس»، وهذا يشير إلى حرصه إلى ضرب في السجع في نثره نظير «لزوم ما لا يلزم» في الشعر، فلم يكتف بالسين فاصلة (كالقافية في الشعر) بل التزم قبلها بالطاء، وهذا كثير جداً في نثره نلمسه في جميع آثاره.

وجاء في قصيدة ثالثة قول أبي العلاء:

يا عالمَ السوء ما علمنا أن مُصْلِيكَ أتقياء
لا يكذبُنْ أمرؤُ جَهول ما فيكَ لِلَّهِ أولياء

قال أبو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في هذين البيتين:

هذه مخاطبة لعالم السوء دون عالم الخير. ومعلوم عند كل ذي لب أنه ليس فيمن وُصِفَ بذلك خير، ولا يَلْتَمَسُ عنده مَير. ولو قال القائل لمن هَلَك من نَمود أوعاد: ما فيكم وليُّ الله، لكان صادقاً بَرّاً. وفي هذه الأَمّة مَعشَرٌ كَفَرَة كُلُّهم يزعم أنه لِلَّهِ وليّ، وأنّ شيوخه الذي يأخذ عنهم أبرار أتقياء. وكل فرقة مدّعية على الأخرى ضد ذلك. وفي الكتاب العزيز: ﴿وإن كثيراً من الخُلطاء لَيبغِي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وقليل ما هم﴾. وإن هذا تصدق خالص، إن الصالحين في البشر لأقلّ من الغراب الأعصم^(٢) بين الغربان، وأفقد من التمرة في غير الإبان، وأما ذمّ المصلّين الذين ينطوون على نية ليست بجميلة فقد نطق به الكتاب الكريم في قوله تعالى: ﴿فويل للمصلّين الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾^(٣).

(١) سورة ص: الآية ٢٤.

(٢) الغراب الأعصم: الذي في أحد جناحيه ريشة بيضاء، وقيل: هو الذي احدى رجله بيضاء، وقيل...

(٣) سورة الماعون: الآية ٤.

وقد كان بعض الناس ممن شاهد النبي صلى الله عليه وسلم يحضر الصلاة خلفه، ثم تبين أنه ضالّ مخالف بدليل قوله تعالى : ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ قل ما عند الله خير من اللهو، ومن التجارة، والله خير الرازقين ﴿١﴾. كان دحية بن خليفة الكلبي (٢) يقدم بالتجارة من الشام، فإذا قرب من المدينة ضرب له ليخرج إليه من يرغب في الشراء. واتفق أنه قدم والنبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة. فلما سمع من خلفه صوت الطبل تركوه قائماً وتبادروا إلى التجارة فنزلت هذه الآية، هـ.

هذا كلامه في الرد على المعترض عليه في هذا: «يا عالم السوء... والبيت بعده: لا يكذب» من «زجر النابح» (٣).

أقول: وفي هذا الرد يجري أبو العلاء على عادته في التماس الكلمة الغريبة يدخلها في حيز فواصله المسجوعة. وهكذا يجري في سائر «الكتاب» أي ما بقي منه من «مقتطفات».



(١) سورة الجمعة: الآية ١١.

(٢) دحية الكلبي صحابي شهد اليرموك، أنظر مصادر ترجمته في الاعلام ١٣/٣.

(٣) زجر النابح، ص ٨ - ١٠.

شرح دیوان الحماس

مع «شرح ديوان حماسة أبي تمام»^(١)

كنت أعلم أن للمعري «شرحاً» لديوان الحماسة لأبي تمام، وهو من آثاره الباقية التي سلمت من الضياع وكنت أميل إلى أن «التبريزي» في شرحه لهذا الكتاب - وهو من الكتب المطبوعة - لا بد أن يكون قد أفاد من «شرح» المعري الذي أتحدث عنه، وذلك لعلمي أن التبريزي خلص إلى المعري يأخذ عنه ويقرأ عليه «آثاره». وآية ذلك أنه اضطلع بشرح «السقط»^(٢)، وهو من الشروح المعروفة. وليس بدعاً أن يكون التبريزي قد أفاد من شرح المعري لحماسة أبي تمام في شرحه للكتاب نفسه فأنت تجد مثل ذلك في مصنفات التبريزي الأخرى. فشرحه على «المعلقات» قد أفاد فيه من الشروح التي ألفها غيره. وبعد فالتبريزي من أولئك العلماء الذين استوعبوا مصنفات غيرهم من السابقين ومن عاصرهم. وليس هذا المنهج بدعاً في التراث

(١) «شرح ديوان حماسة أبي تمام» مخطوط من مخطوطات دار الكتب المصرية، رقمه (٣٠٨) أدب. وكنت أفدت مما ورد في هذا المخطوط الذي حاز على نسخة مصورة منه الدكتور وليد محمود خالصة الذي رجع إليه وأفاد منه في إعداد رسالته للدكتوراه في بغداد.

(٢) وهو شرح «السقط» المطبوع في مصر سنة ١٣٠٣هـ، ثم أعيد طبعه إبان الذكرى الألفية للمصري.

العربي ذلك أن كثيراً من المؤلفات المشهورة هي شيء من مصنفات أخرى مع زيادة أو نقص، وربما كانت في بعض الأحيان «سلخاً» لأعمال أخرى.

ألا ترى أن «النهاية» لابن الأثير هي شيء من «الغريبين» لأبي عبيد الهروي، و«الاتقان» للسيوطي هو شيء من مما أبدع فيه «الزركشي»؟

ولنعد إلى «شرح ديوان حماسة أبي تمام» للمعري الذي وقفت عليه بوساطة أحد الأخوان. لقد وجدت في هذا الشرح أن المعري كان يعول على الجانب اللغوي، وللعلم اللغوي في هذا الكتاب مكان واضح، وهذا العلم اللغوي فيه الشرح والتفسير، ولا يخلو من النقد اللغوي الذي يؤدي إلى النقد الأدبي.

وسأعرض لجملة هذه «الوقفات» في هذا «الكتاب» وقد أبحث لنفسي أن أسردها كلها لتكون نماذج لما ذهبت إليه.

١ - جاء في الورقة (٨) قول جعفر بن علبة الحارثي:
ولكن عرتني من هواك ضماناً كما كنت ألقى منك إذ أنا مُطَلَقُ
قال المعري: ضمانه: مرض، ويُروى: صباة.

٢ - وجاء في الورقة (١٠) قول تائب شراً:
فأبت إلى فهمٍ ولم أك آيأً وكم مثلها فارقتها وهي تصفرُ
قال المعري: فهم قومُه، وقيل: أراد العقل مصدر فهمت.
أقول: ولم أجد أحداً من شراح الحماسة ذهب إلى التفسير الثاني.

٣ - وقال معدان بن حوَّاس الكندي الورقة (١٧):
إن كان ما بُلِّغْتَ عني فلا مني صديقي وشلت من يدي الأناملُ
قال المعري: والرواية الجيدة بكسر التاء لأنه خاطب جاريةً كان يهواها.

٤ - وجاء في الورقة (٢٤) قول الحماسي:

فلا تأخذوا عقلاً عن القوم إنني أرى العارَ يبقَى، والمعاقِلُ تذهبُ
قال المعري: العَقْلُ الدية لأنها تعقل الدماء فلا تُسْفَك. وقيل: سُمِّيَتْ
«عقلاً» لأن الدية كانت في الأصل «الإبل» فكانت تُعَقَلُ بفناء وَلِيِّ المقتول،
ثم سُمِّيَتْ الدراهم والدنانير «عقلاً» اتساعاً.

٥ - وجاء في الورقة (٤٠) قول الشاعر:

أرقُّ لأرحامٍ أراها قريبةً لحاربٍ كعبٍ لا لجَرمٍ وراسِبٍ
قال المعري:

وَرَحِمٌ حارثاً في غير النداء كقوله: «وأضحَتْ منك شاسعةُ أماما»
وسبب ذلك في الضرورة بكثرة ما تُنادَى هذه الأسماء، فإذا نوْدِيتْ
رُحِمَتْ. أقول: أنك تجد المعري لا يترك أي مسألة في النحو واللغة يكون
فيها مجال للقول إلا شارك فيها فجاء بالشاهد، وكان له رأي وتوجيه.

٦ - وجاء في الورقة (٤٠) أيضاً قول الشاعر:

فما أسَلَمْتُنَا عند يوم كريمةٍ ولا نحن أغضينا الجنونَ على وَترٍ
.. «أغضيت» في كلام العرب على ضربين: متعد وغير متعد، فشاهد
المتعدي هذا البيت، والآخر شاهده:

فغَضَي كإغضاء

٧ - وجاء في الورقة (٤٦) قول الشاعر:

من الصبح حتى تغرب الشمس لا ترى من القوم إلا خارجياً مسوماً
قال المعري:

قوله: «من الصبح» استعمل «من» مكان «مذ» لأن «من» للمكان، و
«مذ» للزمان، ولكنه لتمكن «من» في الجرّ جاز دخولها على «مذ» قال تعالى:
﴿من أوّل يوم﴾.

٨ - وجاء في الورقة (٦٣) البيت:

ولولا نَبْلَ عَوْضٍ فِي خِصْمَانِي وَأَوْصَالِي
قال المعري:

عوض: هو الدهر... وهو مبني على الفتح والضم، وصرفه للضرورة.

٩ - وجاء في الورقة (٦٦) البيت:

ولا يَحْمَدُ الْقَوْمُ الْكَرَامَ أَحَاهُمْ تَبَدُّ السِّلَاحِ عَنْهُمْ أَنْ يُمَارَسَا
قال المعري:

أراد بقوله «أن يُمارَسَا» «في ترك أن يُمارَسَ» فحذف حرف الجر فصار تقديره: «ترك أن يُمارَسَ» ثم حذف المضاف فصار «أن يُمارَسَ» كقول الشاعر:

فعجلنا القَرَى أن تشتمونا

أي مخافة أن تشتمونا، وأن يُمارَسَ عنهم.

١٠ - وجاء في الورقة (٦٨) البيت:

فإن الماء ماء أبي وجَدِّي وجَفَرِي ذُو حَفَرْتُ وذُو طَوَيْتُ
قال المعري:

هذه لغة طيء «ذو حفرت» أي «الذي حفرت» وكذلك «ذو طويت» أقول: وهذا البيت من قول سنان بن الفحل الحارثي، وهو من جملة أبيات جاءت في «الحماسة». وهو من شواهد النحاة في اسم الموصول «ذو» الطائية، وقد ورد في عامة كتب النحو.

١١ - وجاء في الورقة (٧٥) البيت:

وما الناس إلّا ما رأوا أو تحدّثوا وما العجز إلّا أن يُضافوا فيجلسوا

قال المعري :

«يجلسوا» هنا ضرورة كان يحب «أن يقعدوا» لأن الجلوس لا يكون إلا على نفس الأرض.

١٢ - وجاء في الورقة (٧٧) البيت :

فما في تساقى الموت في الحرب سُبَّة على شاريه، فاسقني منه واشربا

قال المعري :

أراد: «فاشربن» فلما وقف على النون الخفيفة جعلها ألفاً.

١٣ - وجاء في الورقة (٧٨) البيت :

وهم مِثُونُ ألوفاً وهو في نَفَرٍ شَمُ العرائن ضَرَّابِينَ لِلْبُهِمِ

قال المعري :

كان حقيقاً أن يقال: مئة ألف، إلا أنه لما جَمَعَ «المئة» بالواو والنون نَصَبَ ما بعدها على «التفسير»، وجاء بلفظ الجمع «تكسيراً». أقول: وهذا التأويل سديد، وهو يدل على أن المعري لغوي متمهّر يفوق النحاة. وقوله: «على التفسير» يشير إلى مصطلح الكوفيين لما يُسمَّى عند البصريين «تمييزاً».

١٤ - وجاء في الورقة (٧٩) البيت :

أَلَسْتُ أَرُدُّ الْقِرْنَ يَرْكَبُ رَدْعَهُ وَفِيهِ سِنَانٌ ذُو غِرَارَيْنِ يَابِسُ

قال المعري :

«يركب ردعه» أي يسقط مُنْكَسَأً، وأصله من البعير يسقط فتدخل عنقه في

جوفه .

١٥ - وجاء في الورقة (٨٥) البيت :

وكنْتُ كمْهْرِيقِ الَّذِي فِي سَقَائِهِ لَرَقْرَاقٍ آلٍ فَوْقَ رَابِيَةٍ صَلْدٍ

قال المعري :

«رَقْرَاق» فَعْلَان من «رَقَرَق»، وهذا مثال قليل، ومثله «رُعْزَاع» من «رُعْزَع» و «نَقْنَق» من «نَقْنَق» .

أقول : لعل قوله «فَعْلَان» أي أن الوزن مصّحف عن «فَعْلَال»، وذلك لأن القاف في «رَقْرَاق» والعين في «رُعْزَاع»، والقاف في «نَقْنَق» كلهن أصول ولا يمكن أن يكون كل منها مقابلاً للنون في «فَعْلَان» .

١٦ - وجاء في الورقة (١٠٥) البيت :

أَدْفَنُ قَتْلَهَا وَشَوْ جِرَاحَهَا وأعلم أن لأزيغ عَمَّا مُنَا لَهَا
قال المعري :

هذه لغة طائية، ومعناها: قُدِّرَ لها، يقال: مُنِيَ الشيء إذا قُدِّرَ.

١٧ - وجاء في الورقة (١١٠) البيت :

أولئك لو جَزَعْتُ لهم لكانوا أعزَّ عليَّ من أهلي ومالي
قال المعري :

هم على كل حال أعزَّ عليه من أهله وماله، فما وجه هذا الشرط؟ ومن صحة الشرط أن يكون عما يتسلَّط عليه الشك، والجواب: أنه ذكر السبب فاكتفى به عن المسبب، فكأنه قال :

لو جَزَعْتُ لهم لكنتُ معذوراً في ذلك، لأنهم أعزَّ عليَّ .

١٨ - وجاء في الورقة (١١٦) البيت :

مجاور قومٍ لا تَزَاوَرُ بينهم ومَن زارهم في دارهم زار هُمُدا
قال المعري :

«الهُمْدُ»: الموتى، جمع هامد، وأصله الهمود في النار واستعمل في غيرها .

١٩ - وجاء في الورقة (١١٦) أيضاً البيت:

فقدّم قبلي نَعْشَه فارتدّيته فيا ويح نفسي من رآه علانيا
قال المعري:

النَّعْشُ شَبِيه بِالْمَحْفَةِ كَانَ يُحْمَلُ عَلَيْهَا الْمَلِكُ إِذَا عُرِضَ، ثُمَّ سُمِّيَ
الَّذِي يَحُلُّ فِيهِ الْمَيِّتَ نَعْشًا.

٢٠ - وجاء في الورقة (١٢٥) البيت:

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لِأَوْجَلُ عَلَى أَيْنَا تَعْدُو الْمَنِيَّةُ أَوَّلُ
بُنِيَتْ «أول» لَأَنَّ الْإِضَافَةَ مُرَادَةٌ فِيهَا فَلَمَّا قُطِعَتْ بُنِيَتْ مِثْلُ: قَبْلُ وَبَعْدُ.

٢١ - وجاء في الورقة (١٣٥) البيت:

وَالنَّاسُ مَبْتَنِيَانِ فِي سَمُودِ الْبَنِيَاةِ أَوْ ذَمِيمِ
قال المعري:

ليست «البنياية» تأنيث «البناء» لأنها لو كانت كذلك لكانت «البناة» كما
أنه لما أُنْثِ عَلَى الْعَبَاءِ وَالصَّلَاءِ وَالْعِظَاءِ، قالوا: العباة والصلاة والعظة، لأنه
أدنى بناءٍ مرتجل على «فعالة» غير مطرود على «فعال» كما قالوا: «السفاة» و
«السفاوة». ولو قالوا: «الشفاء» لقالوا: «الشفافة»، وكذلك «العماء» للغيم
قالوا: «عماية» وحالها حال ما قبلها. وقالوا: «النهاة» على معنى «النهاية».
وجاز ذلك في هذه الأشياء لما لم تكن صفات، فيلزم أن يجري مؤنثها على
مذكرها، وتفصل الهاء بينهما، كظريف وظريفة، وعاقل وعاقلة. فالبنياية من
«بَنَى» كالرّماية من «رَمَى» والهداية من «هَدَى».

٢٢ - وجاء في الورقة (١٣٦) البيت:

قَدْ يَقْتَرُ الْحَوْلُ التَّقِيَّ وَيَكْثُرُ الْحَمَقُ الْأَثِيمُ
قال المعري:

صحة الواو من الحَوْلِ شاذّة، والوجه إعلالها، وقبلها ألف لتحركها

وانفتاح ما قبلها كقولهم: كبش «صاف» وأصله «صَوْف»، ويوم «راخ» أي «رَوْح»، لكنه شاذ فخرج على أصله... والحَوْل: الكثير الاحتيال.

٢٣ - وجاء في الورقة (١٣٧) البيت:

بيننا نَسُوسُ النَّاسَ والأمر بيننا إذا نحن منهم سُوقَةٌ تَنْصَفُ
قال المعري:

... و «بيننا» أصله «بين» فأشبعَت الفتحة، وأحدث إشباعها ألفاً، والمعنى: بين أوقات نسوس الناس، أي نلي أمورهم، ونُجري أحكامهم منا عليهم.

والفراء يزعم أن أصل «بيننا» «بينما».

قال أبو علي: هذا لا يعرف إلا بَوَحِي، أو خبر نبي. أقول: كأنَّ المعري قد وجد في قول الفراء ضعفاً، وأنه لا يقرُّه فَعَبَّرَ عنه بـ «الزعم».

٢٤ - وجاء في الورقة (١٤٢) البيت:

فلَمَّا أعَادَت من بعيدٍ بنظرةٍ إِلَيَّ التفاتاً أسلمته المحاضرُ
قال المعري:

... و «التفاتاً» نُصِبَ على الحال [والتقدير] ملتفةً، أي «أسلمت المحاجرُ الدمعَ ففاض»، ويجوز أن يكون «التفاتاً» مفعول «أعادت»، و «بنظرة» حال.

أقول: لا يعدم المرء أن يجد في العلم اللغوي الذي يعرض له في آثاره مادةً نحوية صرفة، وهو يعلل قوله فيقول: كأنه قال: لما أعادت التفاتاً ناظرة.

٢٥ - وجاء في الورقة (١٥٥) البيت:

وكنْتُ إذا ما جئتُ بعلَّةٍ فأُنيتُ عِلَاتِي فكيف أقول

قال المعري:

أي «كيف أقول ما أقوله» فحذف المفعول، ويجوز أن يكون مراده به «أقول» «أتيتكم» فاستغنى عن المفعول.

٢٦ - وجاء في الورقة (١٥٧) البيت:

وأشْفِقَ من وشك الفراق وإنني أَظَنَّ لمحمول عليه ورأكبُهُ
قال المعري:

«أظَنَّ» بمعنى أتَيْقَنُ . . . و «أظَنَّ» ملغاة، ويراد بها اليقين.

أقول: كأنه أراد ما عبّر عنه النحاة بـ «الالغاء والتعليق» وذلك لأن «ظَنَّ» قد عُلِّقَتْ عن العمل لمجيء اللام بعدها. وهذا موضع من مواضع التعليق، والتعليق ليس إلغاء لدى النحاة.

٢٧ = وجاء في الورقة (١٦٠) البيت:

ولي نظرة بعد الصدود من الجوى كنظرة تُكَلِّى قد أُصِيبَ وحيدُها
قال المعري:

ويُروى: «وليدُها»، والأول أجود، لأنها إذا كان لها واحد كان أَبْعَثَ لحزنها فقده.

٢٨ - وجاء في الورقة (١٦٢) البيت:

وقف الهوى بي حيث أنتِ فليس لي مُتَأَخَّرُ عنه ولا مُتَقَدِّمُ
قال المعري:

خبر المبتدأ الذي هو «أنتِ» محذوف، تقديره: «حيث أنتِ واقفة» لأن «حيث» للأمكنة.

٢٩ - وجاء في الورقة (١٦٤) البيت:

لتبكِ غرائق الشباب فإِنِّي أخال غداً من فرقة البين موعداً

قال المعري:

... والغرائق الشُّبان، النون في «الغرائق» أصل بدليل أنها وقعت موقع الأصول فوجب أن تكون أصلاً، إلا أن يقوم دليل على زيادتها، فغرائق كفلافق، وغرُنوق كدُغْلوق، وغُرْنِيق كُبُرْزِيق، وغَرَوْنَق كجَلَوْنَق مشكل لأنه لا يعرف رباعي على هذا الوزن، لكنها لثبوتها في أولئك أصلاً هي هنا أصل.

٣٠ - وجاء في الورقة (١٧٢) البيت:

لقومي أوعى للعلَى من عصابةٍ من الناس يا حاربن عوف تسودها
قال المعري:

... لا يجوز ترخيم الاسم الموصوف بـ «ابن» من قبل أن العَلَم إذا وُصِفَ بـ «ابن» فقد جُعِلَ كالاسم الواحد، ولذلك قالوا: يا زَيْد بن عمرو، ففتحوا الأول لفتح الثاني. وإذا كانا جميعاً كالاسم المفرد فقد حصل آخر الاسم الأول الأول حشواً إذن لا طرفاً. وإذا كان حشواً لم يتطرق إليه حذف الترخيم. هذا وجه قياس امتناعه، غير أنه جاز من حيث كان الموضع موضع إيجاز واختصار.

٣١ - وجاء في الورقة (١٧٥) البيت:

زَعَمْتُمْ أَنْ إِخْوَتَكُمْ قَرِيشاً لَهْمُ أَلْفٌ وَلَيْسَ لَكُمْ إِلا فُ
قال المعري:

أصل «الإلاف» كتاب أمانٍ يكتبه الملك للقوم ليأمنوا في أرضه.

□ خاتمة:

هذه جملة وقفات استقريتها من المخطوط لأضع أمام الدارس القدر اللغوي الذي شغل به المعري في شرحه للحماسة.

□ □ □

كَلِمَاتٌ مِنْ رِسَالَةِ الْغُفْرَانِ

كلمات من رسالة الغفران

كنت أريد أن أصنع شيئاً أدعوه «من معجم المعري» على غرار ما كنت قد عملته من هذا في لغة المتنبي ولغة الجاحظ^(١). وأريد بهذا النهج من العمل اللغوي الوقوف على طائفة من الألفاظ التي كان فيها للأديب شاعراً أم كاتباً استعمال خاص كأن يكون قد اتسع فيها، أو أخطأ في ذلك فأدى الخطأ إلى سيرورة معنى جديد. وقد يكون شيء آخر تتصف به الكلمة هو أنها دخيلة أعجمية، لم يشر إليها اللغويون، أو أنها من أصول سامية فكان لها في العربية مقام خاص. وقد تكون الكلمة جديدة ولدها الكاتب أو الشاعر ولم ترد في المعجمات، وقد تكون فصيحة في عصرها ولكننا نفتقدها في العربية المعاصرة في حين أنها معروفة في الألسن الدارجة.

لقد اتبعت هذا المنهج في كتابي «من معجم المتنبي» وكتابي الآخر «من معجم الجاحظ» وكنت أريد أن أصنع شيئاً من هذا في ألفاظ المعري، ولكنني وجدت أن المنهج الذي رسمته لنفسني واتبعته مع المتنبي والجاحظ لا يتحقق في المعري، وذلك لأن المعري قسا على نفسها فحملها شططا، قسا على نفسه فزهّد في الحياة واعتزل الناس، وانصرف إلى العلم فكان كما قال:

أراني في الثلاثة من سجونِي فلا تسأل عن الخبر النبِيثِ

لفقدي ناظري ولزوم بيتي وكون الروح في الجسد الخبيث
فلم يقتصر على أن يظل «رهين المحبسين» بل خُيِّل له أن نفسه حبيسة
في جسده. فقسا على نفسه في شعره وأدبه فاشتهر بـ «لزوم ما لا يلزم»
والبيتان المذكوران «لزومية» من ديوانه «اللزوميات»، وهذا الالتزام أمر عسير،
وكانه أراد أن يأتي بشيء يعجز عنه غيره من أهل الشعر والأدب. وقسا على
نفسه في نشره فجاء بالغريب العامر بالأوابد والشوارد سلكها في قالب من
الفواصل مسجوعة، وربما شق على نفسه في هذا النثر المسجوع فجعله
على طريقة «لزوم ما لا يلزم» فإذا انتهت الفقرة عنده مثلاً يكلمه «كثير» اجتد
أن تنتهي الفقرة التي تليها بكلمة «أثير»، وفي هذا التزام بالثاء فالياء ثم الراء
التي هي حرف الفاصلة، وصنع في هذه اللغة من النثر ما صنعه في الذي
التزمه مما لا يلتزم به في أمر القافية كما قال مثلاً:

مُلَّ المقام فكم أعاشر أمةً أمرت بغير صلاحها أمراؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها فعَدُوا مصالحها وهم أجراؤها
ولولا هذا «الالتزام» لصحَّ أن يأتي آخر البيت الأول «عقلاؤها» كما
صحَّ في النثر أن يأتي بعد «كثير، يسير» أو نحو ذلك.

أقول: إن هذه اللغة «المصنوعة» التي أثبتتها المعرِّي في نشره وطائفة من
شعره جعلتني أميل إلى أنه لم يستعمل لغة معاصريه، كما لم يستعمل
المعروف المألوف، بل هي لغة خاصة حافلة بالشوارد والغرائب، ومن أجل
ذلك عدلت عن صنع «معجم» له وقصرت اهتمامي على أشتات قليلة من
غرائب استقريتها من «رسالة الغفران» وجعلتها نماذج معبرة عن منهجه في
البحث عن «الغريب» ليس غير.

قلت: إن لغته «مصنوعة» أو «مصطنعة» ولم أرد فيها أنه اصطنع وافعل

وعبث، ولكنني أردت أن هذه اللغة بنت تفكير وتأمل وتوقف طويل، فلم ينطلق فيها على نحو ما يعرض للكثير من الأدباء الشعراء والكتاب. وقد قلت غير مرة أنه قصد إلى هذه الصنعة أو هذا الاصطناع توخياً للإتيان «بالمعجز»^(١) العسير الذي لا يصل إليه غيره بيسر بل لا يدركه إلا فئة قليلة بالكد والجهد والنصب.

وكان البحث عن الصعب وما يعجز عنه غيره صار منهجاً له ليقول إنه ملك العربية وأن معجمها القديم «العتيق» شيء مما يملكه من المعارف، ألا تراه تجاوز هذا الغريب إلى حشر المصطلحات في رسائله الأخوانية فقد تجد في رسالة جميع آلة العروض من المصطلح الفني، كما تجد في غيرها ذرءاً من المصطلح اللغوي في الصرف والنحو، وهذا كله يتخرج على طريقته في التماس الغريب. وهو في استعماله المصطلح في حيز «رسائله» ونثره يريد أن يشق على قارئه بشيء من الإلباس الذي يميل به إلى «تورية» نادرة صعبة.

وبعد فما أنا ذا أعرض لجملة هذه «الأشتات» أسلكها على حروف الميعجم، استقريتها من «رسالة الغفران» دون غيرها من الآثار «العلائية».

١ = «أله»:

جاء في الصفحة «٣٦» قول المعري:
... ويدّعي فيه أصحاب «الإلهية»:

(١) ذكر المعنيون بأخبار أبي العلاء أن له كتاباً في شرح شعر المتنبي أسماه «معجز أحمد»، وقد أحببت الوقوف على كلمة «معجز» لأشير إلى عنايته بلفظ «معجز» واهتمامه بما «يعجز» عنه الآخرون، والسعي إليه، وهذا هو الذي بدا في كثير من آثاره. ومن الغريب أن العلامة عبد العزيز الميمني - رحمه الله - لم يشر إلى هذا الكتاب «أبو العلاء وما إليه» في مسألة «تأليفه» في الصفحات ٢٦٢ . . ٢٨٠، وهذا القسم رأيت أن أحقه بكتابي هذا لفوائده الجمة.

أقول: لقد استوقفني في هذه العبارة قوله: «الإلهية» فجاء بها على طريقة المصدر الصناعي وهو أن تختتم بياء مشددة كياء النسب مع «هاء» كهاء التأنيث. والكلمة قبل هذا الختام أو الذيل «إله» على «فعال» بكسر الهمزة.

والغالب في المصدر الصناعي أن تكون الكلمة الأصل مصدراً «كالنسبية»، و«العروبية»، و«السلوكية» وغيرها، وهذا المصدر الصناعي أشيع في العربية المعاصرة منه في العربية القديمة لأنه استخدم في «المصطلح» العلمي الجديد. وقد يكون الأصل فيه إسماءً غير مصدر نحو: «الكمية»، و«النوعية»، و«الجنسية» و«الوطنية» وغيرها، كما يكون نعتاً نحو: «الحرية» و«القابلية» وغيرهما.

ومن هذا «الإلهية» التي جاءت في «عبارة» المعري، والأصل في «الإلهية» الإسم.

و«الإله» هو الله - عز وجل - وكل ما اتخذ معبوداً عند مُتَّخِذِهِ، والجمع آله على «أفعلة»، والغالب في جمع «فعال» بكسر الفاء وفتحها أن يأتي على «أفعلة» نحو: «سلاح» و«أسلحة» و«مَتَاع» و«أمتعة». وإله بين الإلهية والألهانية أي تبين فيه هذه الحقيقة. و«الألهانية» بالضم مصدر صناعي مثل «الإلهية».

وقد وردت هذه العبارة مرة واحدة متغيرة عما أُثبت مرّات عدة، وهي: «بين الإلهية»^(١) (كذا) والألهانية.

أقول: و«الإلهية» هذه لا تتفق مع نظيرتها «الألهانية» التي جاءت على طريقة المصدر الصناعي، فقد أكون ميّالاً إلى حملها على التصحيف،

(١) لسان العرب، «أله».

والتصحيف شائع في الكتب القديمة ولا تبرأ منه المعجمات. ويقوي هذا عندي أن «الإلهانية» مصدر صناعي قد جاء بعد هذه «الإلاهة». والاتفاق بينهما يدعو إلى حملها على التصحيف، ثم إنها وردت مصدراً صناعياً في هذه العبارة نفسها غير مرة.

و«الإلهة» قد تكون مؤنث «إله» ولكن العرب لم تعرف هذا المؤنث، والثابت عندهم أن «الآلهة» بدلالاتها على الأصنام مفردها «إله» وقد يُدلّ به على «الإله» المؤنث كالشمس مثلاً، فالشمس في معبوداتهم القديمة «إله» وليس «إلاهة».

وجاء في «المحكم»: «الإلاهة» و«الألوهة» و«الألوهية» العبادة. ومن يدري لعل الأولى هي «الإلاهية» أيضاً!!

ولنا أن نرجع إلى «الإلّ» المضاعف فنجد أنه يدل على الإله المعبود، ومنه جاءت دلالة القسم و«الآلية» هي الحلف والعهد، ومن هنا كان فيها معنى «الجوار» وقد توسّع فيها فقالوا: الربوبية، وكل ما له حُرمة، وكذلك الوحي.

وإذا رأينا أن «الإلّ» يدل على جبل من رمل به يقف الناس من عرفات عن يمين الإمام، أدركنا هذه الدلالة التي لا تخلو من صلة بالإله المعبود ذي القدسية والحُرّمات.

ولنتابع هذه المسيرة فنجد الإلّي المنسوب إلى الإلّ، وهو الربوبية.

وقلت: إنهم لم يؤنثوا «إله» بدلالته على ما يُعبَد وأعود هنا فأستدرك فأقول إذا أريد بـ «الإله» شيئاً معبوداً هو مؤنث في اسمه الحقيقي ذهبوا إلى التأنيث فقالوا: إلهة أرادوا بها «الشمس»، وحيث أن الشمس مؤنثة جيء بالهاء للتأنيث في «الإلاهة»، وكأنهم أرادوا أن يبتعدوا عن الإحساس بأن

«إِلَٰهَة» مؤنث «إِلَٰه» فقالوا فيها جملة صور من الضبط هي «أَلَاهَة» بضم الهمزة، و«أَلَاهَة» بفتح الهمزة، و«إِلَٰهَة» بكسر الهمزة كما قالوا هذه الصور جميعها مع الألف واللام لغير التعريف وهي: «الأَلَاهَة» و«الأَلَاهَة» و«الإِلَٰهَة» وكذلك «الأَلْهِيَة».

وإذا كانت «الشمس» من معبوداتهم فلا غرابة أن تجد اسمها في مادة «أَلَه» ومن أجل قالوا في أعلامهم «عبد شمس» وهو كثير في أعلام الجاهليين، وقد بقي شيء منه في أعلام الإسلاميين وحسبك أن تعرف أن الاسم الأول لأبي هريرة المحدث هو «عبد شمس» فسماه النبي «عبد الله» إبعاداً له بعد إسلامه أن يكون اسمه دالاً على جاهلية وثنية.

وابن إلهة هو ضحّ الشمس.

ثم ماذا؟ لابد من بقية في هذه الأصول القديمة التي تمت أصولها هنا وهناك فيأتي من ذلك فروع جديدة تمت إلى الأصل. ألا ترى أن «أَلَا يَالُو» هوشيء من هذا؟ ولنبسّط في ذلك القول فنقول:

جاء في كلامهم «آلِي»، «يُؤْلِي» إيلاء بمعنى «حَلَفَ»، ومن غير شك أن هذا من الأصل المضاعف وهو «الأَلِيَّة» بمعنى الحلف الذي استمدّ هذه الدلالة من «الإِلَّ» وهو الإله أو صفته أي الربوبية.

وأن «آلِي» هذا الفعل قد ذهب فيه إلى شيء يقرب من الأصل على سبيل التوسّع فقالوا: آلِي على نفسه أي عَزَمَ وصمم، فكان في ذلك شيئاً من «أَقْسَمَ» و«حَلَفَ»، ولا نعدم أن تجد وسيلة بالرجوع إلى هذا في قولهم: لا آلوا جَهْدًا، ولا ألوك نُصْحًا بمعنى لا أقصر، ولا أقصر في نصحك.

أما قولهم «تَأَلَّى» فهو فعل القسم والحلف، جاء في الحديث الشريف:

«وَبَلِّغْ لِلْمُتَّالِينَ مِنْ أُمَّتِي» أي الذين يحكمون على الله ويقولون: فلان في الجنة وفلان في النار.

وكما كانت «الآلية» الحلف واليمين فكذلك «الألوة» وهمزتها مثلثة .
وهذا جملة ما أفدت من هذا الأصل المفيد، وهو من الكلم التاريخي .

٢ - بتع :

وجاء في الصفحة (١٥٢) كلمة «البتع» :

أقول: و«البتع» بكسر الباء وسكون التاء أوفتحها نبذ العسل مثل القمّع والقمّع .

وقال أبو حنيفة: «البتع» الخمر المتخذ من العسل .

أقول: وهذا من الغريب الذي يتحرّاه المعري والذي أودعه في كتبه، وجعل الإتيان به شيئاً مما يشغله في «ممارساته» اللغوية .

٣ - بسل :

وجاء في الصفحة (٥٣) قوله: ولم يكن العسل بالنار مُبَسَّلاً .

أقول: والإبسال بمعنى الطبخ من هذا الغريب الذي دأب المعري على الاحتفاظ به، وقالوا: أَبَسَلَ البُسْرَ أي طبخه وجفّفه .

٤ - تبع :

وجاء في الصفحة (١٨٦) قول المعري :

وإنما «التبعة» على من سَجَدَ للأصنام .

أقول: والمعنى معروف، و«التبعة» وزان «كَلِمَة» معروفة في الفصحى المعاصرة، يقال: «والتبعة» في هذا على البادى الأول. والمعنى أن «البادى الأول» هو المسؤول .

و «التَّبَعَة» ما أَتَبَعْتَ به صاحبك من ظلامَة ونحوها . وما فيه من إثم يُتَّبَع به ، ومثلها «التَّبَاعَة» بكسر التاء .

أقول : ولكن «التباعة» شيء أثبت في المعجمات ولا نراه إلا في الندور .

٥ - ثبن :

وجاء في الصفحة (١٧٧) قوله :

الذين لم يأكلوا «شيراز» الألبان ، ولم يجعلوا الثمر في «الثبان» .

أقول : و «الثبان» الوعاء الذي يجمل فيه الشيء ، ويوضع بين يدي الإنسان ، فإن حَمَلْتَه بين يَدَيْكَ فهو «ثبان» .

وفي حديث عمر - رضي الله عنه - : «إذا مرَّ أحدكم بحائط فليأكل منه ولا يَتَّخِذْ «ثَبَاناً» . قال أبو سعيد : ليس «الثبان» بالوعاء ، ولكن ما جُعِلَ فيه الثمر فاحتمل في وعاءٍ أو غيره فهو «ثبان» .

وقد يحمل الرجل في كُمِّه فيكون ذلك «ثبانَه» ، ويقال : قدم فلان بثبان في ثوبه» . وإن جُعِلَ ما يُحْمَلُ في الحِضْنِ فهو خُبْنَة .

أقول : و «الثبان» بهذا المعنى وهذه الصفة من الكلم القديم الذي لم يبق شيء منه ، ولعله من «الغريب» حتى في عصر المعري نفسه ، ولكنه مدفوع إلى الغريب يأتي به فيحرص أن تكون مصنفاته أوعية لأوابد العربية .

ولابد من الكلام على «شيراز» التي جاءت في عبارة المعري في قوله : «شيراز الألبان» . أقول : «و«الشيراز» و«الشِرَاز» هو اللبن الرائب المستخرج ماؤه ، وجمعه «شواريز» و«شراريز» على الصيغتين بالياء وبالتضعيف . وقالوا : أصله «شَرَّاز» كدينار ودنار . وقد يجمع شَارِيز بالتحول من المد إلى الهمز .

وهو ما يُدعى في بلاد الشام «اللبنة» واللبن المُصَفَّى . وفي بغداد يعرف بـ «اللبن المنشَّف» (عامية).

٦ = جبر:

وجاء في الصفحة (١٢٩) قول المعري:

قد علم «الجبر» الذي نُسبَ إليه جبرئيل . . .

أقول: «الجبر» هو العبد عن كُراع.

وروى ابن عباس في «جبرئيل» و«ميكائيل»: هو (أي جبر) كقولك: عبد الله وعبد الرحمن.

قال الأصمعي: «إيل» تعني الربوبية فأضيف «جبر» و«ميكاء» إليه.

وقال أبو عبيد: كأن معناه «عبد إيل» و«رَجُل إيل»، و«إيل» هو الله.

ويقال: جَبَر عبد.

أقول: لقد لمح العرب اللغويون وغيرهم حقيقة «إيل» ودلالاتها في الكلام على «جبرائيل» في مادة «جبر» وجرهم القول إلى «ميكائيل» وانتهوا في تفسيرهم إلى العلم الجيد وهو أن «إيل» هو «الإلاه».

وكان عليهم أن يذكروا هذا أيضاً في مادة «ألل» عند الكلام على «إلّ» ومعناها «الإلاه» ليشعروا الدارس أن الكلم في العربية تنتقل بين المضاعف والمعتل والمهموز وهي واحدة في الدلالة، وقد يكون فيها شيء من خلاف يسير في هذه المسيرة اللغوية التاريخية.

ولما كان «جَبَر» معناه العبد أو الرجل فقد بقي في الأعلام العربية وغيرها مما نعرفه في اللغات السامية، فمن «جَبَر» و«جابر»، وما أخذ منه

على «فَعَال» نحو «جَبَّار» ومنه أيضاً جُوبِر وجَبَّرَ وغيرها، ونظير ذلك: «جَبَّرا» في الآرامية السريانية، وجَبَّران وغيرها.

٧ - جمعو:

وجاء في الصفحة (١٥٢) قوله:

الجِعة نبيذ الشعير.

أقول: والجِعة شراب يُتخذ من الشعير والحنطة حتى يُسكر.

وقصر أبو عبيد: «الجِعة» على نبيذ الشعير.

ولكني لا أوافق الدكتورة عائشة عبد الرحمن في شرحها لهذه الكلمة بقولها: وهي «البيرة» في عصرنا فليس من حاجة أن نقرب بين القديم والحديث لأننا نجهل من حقيقة البيرة وطريقة استحضارها الكثير. ثم إن «الجِعة» مادة تاريخية لها من ظروفها التاريخية ما يُنفّرنا من إقامة هذه المشابهة الغربية.

٨ - حرش:

وجاء في الصفحة (٣٠) في التعليق على بيت للمتنبى يخاطب سيف الدولة:

وتغضبون على من نال رِفْدَكُمْ حتى يُعاقبه التغيصُ والمِنَنُ

فقال المعري: وكَذَبَ والله، لقد كان يتحرّش بالمكارم ويتحكّك بها.

أقول: وقوله: «يتحرّش بالمارك» قد يوضحه الفعل بعده وهو قوله: «يتحكّك بها»، فكأن «التحرش» هو القيام بشيء يتخذ حجة أو وسيلة للوصول إلى غرض مقصود فيقال: فلان يتحرّش بالرئيس، أي يظهر من الزلفي في الكلم والسلوك إشارة وتلميحا للوصول إلى غرضه.

وهذا معنى مولد لم يذكر في كتب اللغة، وهو المعنى المتبقي قليلاً في العربية المعاصرة، وكثيراً في الألسن الدارجة الحديثة.

ولابد أن نقف على ما ثبت في المعجمات لنرى بُعد تلك الدلالات القديمة عن استعمال المعري الذي أشرنا إليه.

جاء في كتب اللغة: ان «التحريش» وليس «التحرش» هو إغراؤك الإنسان أو الأسد ليقع بقرنه. وحرش بينهم أي أفسد وأغرى بعضهم ببعض. وقال الجوهري في «الصحاح»: التحريش الاغراء بين القوم، وكذلك بين الكلاب. وفي الحديث: أنه — صلى الله عليه وسلم — نهى عن «التحريش» بين البهائم، وهو الاغراء وتهيج بعضها على بعض كما يفعل بين الكلاب والكلاب والديوك.

وفي الحديث الشريف أيضاً: «ان الشيطان قد يشن أن يعبد في جزيرة العرب، ولكن في «التحريش» بينهم، أي في حملهم على الفتن والحروب.

وفي حديث عليّ — رضي الله عنه — في الحج قوله: «... فذهبت إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — «محرشاً» على فاطمة»، و«التحريش» ها هنا ذكر ما يوجب عتابه لها.

ولعل من المفيد أن نعود إلى أصل قديم يوميء إلى هذا «التحريش» الذي هو الاغراء، وذلك أنهم قالوا: و«حرش» الضب يحرشه حرشاً، و«احترشه» و«تحرشه» و«تحرش» به، كله بمعنى أتى قفاً جحره فققع فقعصاه عليه وأتلج طرفها في جحره... ليغريه بالخروج فيمسك به.

أقول: وهذا هو الأصل في المعنى الذي ذكرناه، وربما وجدنا طريقاً للوصول إلى المعنى الذي يستفاد من عبارة المعري.

وجاء في الصفحة (٣٢) قول المعري:

... فأنفذ المهدى إليه فأحيط به وبقلعته فحرق كل شيء فيها.

أقول: لم يرد في معجمات العربية الثلاثي «حَرَق» ذلك أن المهموز المزيد «أحرق» هو الذي ورد في كتب اللغة، وورد في لغة التنزيل، قال تعالى: ﴿لُنْحَرِقْنَهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ (٩٧ سورة طه). وهو الرباعي بالزيادة «أحرق».

أما «حَرَق» الثلاثي فيأتي في سياق آخر نحو قولهم: حَرَقَ الحديد أي برّده بالمبرد، وحَرَقَ القصار الثوب، أي أثر فيه بالدق، وحَرَقَ أنيابه أي أطبق بعضها على بعض وأحدث صفيراً من شدة الغضب كما يقال: يَحْرِقُ عليه الأرم وهو استعمال قديم مشهور للإعراب عن الحقد والغيط.

ولم يرد «حَرَق» الثلاثي بمعنى «أحرق» إلا في المعجمات الحديثة، فقد جاء في «المعجم الوسيط»: و«حَرَقَه» بالنار، فالفاعل حارق، والمفعول محروق وحريق.

أقول: وأصحاب «الوسيط» هذا اجتهدوا اجتهداً غير صحيح فقد وجدوا «الحريق» وهو صفة بمعنى محروق، وأقاموا على ذلك أن «حَرَق» صحيح. ولكني أقول: إن «الحريق» فعيل بمعنى مفعول، ولكن هذا لا يفرض أن يكون الفعل الثلاثي قد وُجِدَ واستعمل، ألا ترى أن «سلام» بمعنى «تسليم» أي أداء التحية وهو القول دعاءً: «سلام عليكم» معروف موجود ولكن فعله الثلاثي بهذا المعنى غير موجود فيصار إلى المزيد المضاعف «سَلَّمَ»، وأن «يقين» موجود معروف في الاستعمال، والفعل الثلاثي «يقن» غير معروف، والمعروف «أيقن» وهذا باب كبير في العربية.

وجاء في «معجم» للمعلم بطرس البستاني قوله حَرَقَ بالنار أي أحرقه،
ومثل هذا في «متن اللغة» .

وأرى أن الذي ورد في عبارة المعري مما أخطأ به الناسخ، ولم تنتبه
إليه «المحققة» . وربما كان الأصل «أحرق» أو «حَرَق» .

١٠ - حزن:

وجاء في الصفحة (٦٧) قوله:

... وكنت بـ «تنيس» وبين يَدَيَّ إنسان يقرأ و«يحزُن» .

أقول: وقوله: «يُحزُن» بمعنى يرقُّ صوته في التلاوة. وهذا من
الماضي المزيد بالتضعيف «حزُن» .

وهذه الزيادة جاءت لإحداث هذه الخصوصية الدلالية، وقد نص على
هذا في «المعجمات» ..

١١ = حضب:

وجاء في الصفحة (١٣١) قول المعري:

... وإن في طمري «لِحِضْباً» وَكُلَّ بَأْذَانِي ...

أقول: والمراد بـ «الحِضْب» بكسر فسكون الحية العظيم أي الذكر
الضخم من الحيات. وذهاب المعري إلى هذه الكلمة يبين سعيه إلى إثبات
الغريب النادر.

١٢ - حمط:

وجاء في الصفحة (١٢٩) قوله:

... إن في مسكني حَمَاطة ...

أقول: و«الحَمَاط» شجر التين الجبلي .

وقال أبو حنيفة: أخبرني بعض الأعراب أنه نبات التين، غير أنه أصغر ورقاً، يحرق الفم، شديد الحلاوة، أسود، أملح، أصفر، وإذا جفَّ كان له متانة، ترعاه الإبل.

والواحدة «حماطة».

وهذا شيء آخر من الغريب الذي أثبتته المعري في «الغفران».

١٣ - حوى:

وجاء في الصفحة (٦٥) قوله:

... فأما مذاكراته فقد يشت منها لما قد استولى علي من النسيان، واحتوى على قلبي من الهموم والأحزان...

أقول: جاء في العربية: احتوى الشيء وعليه بمعنى جمعه وأحرزه. وفي استعمال المعري لهذا الفعل ضرب خاص والمراد به أي غلب على قلبه.

١٤ - خون:

وجاء في الصفحة (٢٢) قوله:

... ولم «يتخونه» عدوه...

أقول: و«التخون» هو التنقص، والثلاثي «خان يخون» معروف.

وهذا شيء من بديع العربية في أن الزيادة في الأفعال تنصرف إلى فوائد «تفوق الحصر». ولعل بين المزيد والمجرد شيء من صلة يوصل إليها بحسن النظر.

١٥ - دخن:

وجاء في الصفحة (٢٨) قول المعري:

... على أن يقرب لها القرايين ويُدخن الدُّخن ...

أقول: وفي كتب اللغة: الدُّخنة بخور تُدخنُ به الثياب، أو البيت.

وأصل هذه الدلالة من «الدخان» وهو معروف، ولأن البخور حين يُحرق يخرج بإحراقه «دخان» وفيه الرائحة المطلوبة استعير من الدخان إسم لهذه الرائحة الخارجة وللمادة التي تُحرق فيكون منها الرائحة.

١٦ - دَهْدَأَ، دَهْدَهَ:

وجاء في الصفحة (٣١) قوله:

... فإذا رأسه يتدهدأ على النطع ...

أقول: والمعنى «يتدحرج».

وهذا فعل رباعي مضاعف، وكنت أشرت إلى أن الأفعال المهموزة قد تسهل فيها الهمزة فيتولد الفعل: تَدَهْدَى، فقالوا: دَهْدَى الحَجَر فَتَدَهْدَى، وهو بمعناه أيضاً.

وقد يُبدل من الهمزة في «دَهْدَأَ» الهاء فيكون «دَهْدَهَ» كما ورد في قول المعري ص (٤٦):

فَلَمَّا يُدْهِدُهُ الْجُعْلُ بِمَنْخَرِهِ خَيْرٌ مِنْ آبَائِكُمُ الَّذِينَ مَوْتُوا فِي
الجاهلية ... فهذه الأفعال هي واحدة في هذه الصيغ كلها، قال الشاعر:
تَبَيْتُ تُدْهِيءُ الْقِرَانَ حَوْلِي كَأَنَّكَ عِنْدَ رَأْسِي عَقْرُبَانُ

١٧ - ذِيمَ:

وجاء في الصفحة (١٤٢) قوله:

... تلك هي الراح الدائمة، لا الذميمة ولا الدائمة ...

أقول: قوله: «الذائمة» بالذال المعجمة تفيد العائبة. و«ذام»، «يذيم»
ذيمًا، هو «عاب»، «يعيب».

ولابد أن نقف على المهموز «ذأم»، «يذأم»، «ذءمًا» أي: حَقَر وذَمَّ
وعابَ، قال أوس بن حجر:

فإن كنت لا تدعو إلى غير نافعٍ فذرني وأكرم من بدا لك واذأمِ
وقد رأينا أن المعتل الأجوف في العربية يوميء إلى المضاعف مثل
«غاب» و«غَبَّ» و«ضارَّ» و«ضَرَّ» و«هاجَّ» و«هَجَّ» ومثل هذا كثير، وقد عرضت لهذا
الباب في مباحث كثيرة تناولت فيها تاريخ العربية واشتملت عليها «مصنفات»
سابقة.

ومن هذا الباب «ذام» التي وردت في عبارة المعري و«ذمَّ» المضاعف،
وكلاهما بمعنى. قد خلصت في مباحثي السابقة إلى أن المضاعف أصل
يصار منه إلى «المعتل» بادخال أصوات المد في حشو الكلمة (الحركات)
فيكون منه مولّد جديد.

والذَّيْم والذَّامُّ واحد، وكلاهما بمعنى العيب. وهما نظير «الران»
و«الرين» و«الحال» و«الحول» و«الحِيل». قال عوف القوافي:
يُردُّ الكتيبة مغلولَةً بها أفنُّها وبها «ذامُّها»

١٨ - ركن:

انظر «قصص».

١٩ - زول:

وجاء في الصفحة (١٣٨) قول المعري:

... وما ذلك بزُولٍ بَدَيَّ ...

أقول: و«الزَّوْل» في كتب اللغة هو العجب، قال الكميت:
 قد صِرْتُ عَمّاً لها بالمشيِّ بَ زَوْلاً لديها هو الأزولُ
 قال ابن برّي، قال أبو السّمح:
 الأزول أن يأتيه أمر يمنعهُ الفرار. والزَّول: الخفيف.
 وزَوْلُ أزول على المبالغة. والزَّول هو الجود، والزَّولة المرأة البرزة.
 أقول: واستعمال المعرّي لكلمة «الزَّول» يدخل في باب التماسه
 للغريب.

٢٠ - ستر:

وجاء في الصفحة (٣٩) قوله:

... وكان أحمد بن يحيى الراوندي من أهل مرو الروذ حَسَنَ السُّتر،
 جميل المذهب...

أقول: و«ستير» على «فعليل» أي من شأنه وإرادته حبُّ السُّتر
 والصُّون، ورجل مستور وستير أي عفيف. والجارية ستيرة، قال الكميت:
 ولقد أزور بها الستير ة في المُرعَّة الستائرُ

أقول: والوصف بـ«مستور» و«ستير» هو من اللسان العامي الدارج في
 بعض بلاد العرب، وليس شيء من هذا في الفصيحة المعاصرة.

ولعل في قول المعرّي «حسن السُّتر» شيئاً من التصحيف، فقد جاء في
 مقدمة كتاب «الانتصار» لأبي الحسين الخياط نقلاً عن «معاهد التنصيص»
 للعباسي ٧٦/١:

وكان ابن الراوندي هذا من المتكلمين... وكان في أوّل أمره حسن

«السيرة»، حميد المذهب، كثير الحياء... أقول: لعل الأصل: «حَسَنَ السيرة» فتصحف إلى «حَسَنَ السُّتْر».

٢١ - سجع:

انظر «علبط».

٢٢ - سرد:

وجاء في الصفحة (١٥٤) قول المعري:

... وحسبنا به للكلم «مُسَرِّدًا»...

أقول: وقوله: «مُسَرِّدًا» أي «مشققًا» أي أنه حسن التأتي لوجوه القول، وأنه يخرج الكلم فيستوفي من صوره ما يذهب به إلى معانٍ عدّة.

ودلالة «التسريد» على «التشقيق» دلالة قديمة في العربية، ولكننا نفتقدها في العربية المعاصرة، ولا نقف عليها إلا في بعض من الألسن الدارجة العامية.

٢٣ - سعد:

وجاء في الصفحة (١٤١) قوله:

... و«سُعْد» من اللَّبَن متخرّقات...

أقول: و«سُعْد» جمع «سعيد» بمعنى نهر. وسعيد المزرعة نهرها الذي يسقيها.

وقالوا: سَعِدَ الماء أي جاء سَيحًا.

واستعمال المعري لـ «سُعْد» يندرج في نهجه في التماس «الغريب».

٢٤ - شجن:

وجاء في الصفحة (٣١٧) قوله:

... ولا أدري ما «شَجَن» عنه...

أقول: وقوله: «ما شَجَن» بمعنى: ما حَبَس، يقال: ما شَجَنَتني عنك شواجن أي ما حبسني عنك أمور مانعة.
وهذا شيء من التماسه للغريب.

٢٥ - شذو.

وجاء في الصفحة (١٣١) قوله:

... ولو نَطَقَ لَذَكَرَ «شذاتي»...

أقول: ومن معاني «الشذاة» الشذّة والقوّة.

٢٦ - شقر:

وجاء في الصفحة (٢٧) قول المعري:

... فكتبت هذه الرسالة أشكو أموري وأبُثُّ «شُقوري»...

أقول: و«الشقور» بالضم وقد يفتح هو الحاجة والهم. وهو بالضم جمع «شَقْر» وهو الأمر اللاصق بالقلب.

وهذا أيضاً يشير إلى إلحاح المعري في استقصاء «الغريب».

٢٧ - شيء:

وجاء في الصفحة (٤٩) قوله:

... وهذا من قَبَل الله الذي يجعل من «لا شيء» كلَّ شيء...

أقول: وقول المعري: «من لا شيء» يشعرنا أنه جعل «لا» و«شيء» بقوة الكلمة الواحدة المركبة، ومن أجل ذلك أدخل حرف الجر «من» عليها.

وتركيب «لا» مع «شيء» جديد، ولم أقف عليه فيما تيسر لي من النظر في كثير من مصادر هذه الحقبة وهي القرن الخامس الهجري.

٢٨ - شيراز:

انظر «ثبن».

٢٩ - صمر:

وجاء في الصفحة (١٦٨) قوله:

... ولصار «الصَّمر» كأنه رائحة خُزامى ...

أقول: و«الصَّمر» التَّن، يقال: يدي من اللحم صَمِرَة ...

وفي حديث عليّ - رضي الله عنه -: أنه أعطى أبا رافع حَتِيًّا وَعُكَّةً سَمْنًا، وقال: ادفع إلي أسماء بنت عُمَيْس، وكانت تحت أخيه جعفر، لِتَذْهَنَ به بني أخيه من صَمَر البحر، يعني من نَتَن ريحه.

أقول: وهذا يظهر سعيه وراء «الغريب».

٣٠ - طور:

وجاء في الصفحة (٦٢) قوله:

... إذ كان لا يحلّ النقص بواديه، ولا يطور السهو بناديه ...

أقول: وجاء في حديث عليّ - رضي الله عنه -: والله لا أطور به ما سَمَرَ سمير.

والمعنى: لا أقربُه أبداً.

والفعل «طار، يطور» يومىء بل يقرب من «طار يطير»، ولكنه من

الأفعال المنسية ولم يبق منه إلا المصدر «طور» الذي يستعمل مع «تارة» و «مرة» .

٣١ - عتل :

وجاء في الصفحة (١٨٧) قول المعري :

... وأنا «أعتَل» كي أُلْقَى في الدَّرَك الأسفل من النار...

أقول: والمعنى أجْرُ، و«عَتَلَه» بمعنى جَرَّه جَرًّا عنيفاً، وفي التنزيل العزيز: «خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ» (٤٧، سورة الدخان).

وأضيف أن «العَتَلَة» كلمة مولدة، صيغت لتؤدي أداة خاصة تدخل في الميكانيكا الحديثة قد تؤدي إلى حركة إذا ضُغِطَ عليها، وقد تكون لجَرٍّ غيرها في أي جهاز ميكانيكي.

٣٢ - عفو :

وجاء في الصفحة (١٤٢) قوله :

... ولم يكن «لَعَفُو» مقترياً...

أقول: و«العفو» هو القِرَى والكرم والجود، أي أنه لم يكن طالباً للسماحة والقِرَى... ودلالات العفو كثيرة، ولكنها ذهبت فلم يبق منها إلا «العفو» بمعنى السماح.

٣٣ - علبط :

وجاء في الصفحة (١٤٨) قوله :

... فإنه (والكلام على العجاج الراجز) خَلَطَ في رَجْزِهِ العُلْبَطَ والسَّجَاجَ...

أقول: «والْعُلْبَطُ» بضم العين وفتح اللام وكسر الباء، وهو «فُعْلِلَ» من

الأبنية الغربية في العربية، وقد جاء عليها طائفة من الألفاظ وأكثرها من الأوابد والغرائب، ومثل «فُعَلِّل» هذا «فُعَالِل» بمدّ فتحة العين ومنها «عُلابِط» وهذا أيضاً من «غرائب» الصيغ القديمة وعليه جاء «المُحَلِّحِل» للسيد والجُخَادِب «للمصلب الشديد، وكذلك «الصُّلَادِم» وغير هذا.

و«العُلبِط» هو اللبن الرائب المتكبد الخائر جداً الذي فقد ماءه. وكأنهم ذهبوا إلى أن كل غليظ هو «عُلبِط».

وهذا «العُلبِط» هو ما يُدعى في عصرنا بـ «اللَبَنَة» في عامية بلاد الشام. وقوله: «سَجَاج» بفتح السين، أي اللبن الذي يجعل فيه أرق ما يكون، وقيل: ما كان ثلثه لبن وثلثاه ماء. وانشدوا:

يشربُه محضاً ويسقي عِيَالَه سَجَاجاً كأقرب الثعالب أَوْرَقَا
والواحدة «سَجَاجَة».

وهذا كله من الغريب الذي اجتهد المعري أن يأتي به فيتخذ منه في بعض الأحيان وسيلةً للاعجاز والإعانات.

٣٤ - غفل:

وجاء في الصفحة (٣١) قول المعري:

... وَأَخَذَ «غَفْلَتَه» السِّيفَ ...

أقول: والمعنى معروف أي أن «السيف» وهو حامل السيف الموكّل بالقتل انتهب «غفلة» الرجل المراد قتله، فأهوى عليه بالسيف وقتله.

أقول: وقول المعري: «أَخَذَ غَفْلَتَه» من طرائق التعبير القديمة التي لم يبق شيء منها إلا في العامية الدارجة كالذي نسمع من هذا في لغة العراقيين.

٣٥ - فتق:

وجاء في الصفحة (١٧٧) قوله:

... إنه ... غَبَر في النعيم «المفائق» ...

أقول: وقالوا: عيش «مُفَانِق» أي ناعم. و«الفنيقة» المرأة المُنْعَمَة.
وَتَفَنَّقَ في عيشه بمعنى تأنَّق.

أقول: وهذا من الكلم الغريب الذي سعى إليه المعري، وما أظن أن في عصر المعري أحداً قد صنع هذا الصنيع في جمع هذا الغريب، وذلك بحسب استقراي الوافي، غير أنني لا أجزم أن يكون هذا مما انفرد به أبو العلاء، فقد يكون شيء منه قد جاء في كلام غيره مما لم أدركه أولم يصل إلينا.

٣٦ - فيل:

وجاء في الصفحة (٥٤) قول المعري:

... كان ببغداد رجل كبير الرأس، فيلي الأذنين ...

أقول: وقوله «فيلي الأذنين» على طريقة التشبيه يُظهر مدى اتساع العربية في أنها تولد من الأسماء الجامدة، ومنها أسماء الحيوان، صيغاً تتصل بالكلمة الجامدة، وقوله هذا يعني أن «أذني» الرجل تشبه أذني الفيل في سَعَتِها.

وقد قالوا شيئاً من هذا إفادة من مادة «الفيل» فقد جاء في «كلىة ودمنة» كلمة «الفَيْال» لصاحب الفيل أوراكه كما قالوا من «فرس»، «فارس» وكما يقال في راكب «البغل» و«الحمار» في عصرنا «بغال» و«حمار»، وفي «الحِصان»، «حصان»، وقد تكون هذه الألفاظ لأصحاب هذه الحيوانات لا راكبيها.

وقد يكون مفيداً أن نشير إلى شيء مثل هذا، فقد أخذوا إسم الداء الذي يتأتى من عضّة الكلب فقالوا «الكَلْب» نظير طائفة من أسماء الأعراض والأمراض كالْبَرَص والقَرَع والبَهَق ونحو هذا. وأطلقوا على الكلب الحامل لهذا الداء إسم «المكلوب».

وألطف من هذا قالوا: «الكَلْبِي» للمصابين بداء «الكَلْب» وهو نظير المَرَضِي والجَرَحِي، فكأن المفرد فيه «كليب» أو «كَلْبَان»، وهذا كله يأتي من اتساع العرب في ممارسة لغتهم، وفي قدرتها على هذا النحو من الوفاء بالجديد الطاريء. وكان خليقاً بالمعاصرين المعنيين بشؤون العربية أن يفيدوا درساً من هذا الذي جرى في عصور سابقة. وجاء استعمال «الكَلْبِي» نظير «المرضى» و«الجرحى» في قول الفرزدق يمدح قومه بني دارم:

ولو تشرب «الكَلْبِي» المراض دماءنا شَفَتْها، وذو الخَبَل الذي هو أدْنَفُ

وهذا يعني أن العرب، كما قال الجاحظ^(١)، كانوا يرون أن دماء الملوك والأشراف تشفى من داء الكَلْب وذكر في ذلك قول عوف بن الأحوص الكلابي، وهو جاهلي، في قصيدة أوردها صاحب «المفضليات»:

فهل لك في بني حُجْر بن عمرو فتعلّمه وأجهله ولأء
أو العنقاء ثعلبة بن عمرو دماء القوم للكَلْبِي شفاء

وحُجْر - بضم الحاء وإسكان الميم - هو أبو امرئ القيس الشاعر، وكان ملكاً على بني أسد، فجار عليهم فقتلوه، وثعلبة بن عمرو، أبو ملوك الغساسنة التابعين للروم، في بلاد الشام قبل الإسلام.

(١) الحيوان ٧/٢.

٣٧ - قري:

وجاء في الصفحة (٣١٩) قول المعري:

... وإنه «لَقَرِيٌّ» لم أسلكه...

أقول: و«الْقَرِيٌّ» النهر الذي يذهب في الروض. والمعري يريد به «النهج» على سبيل المجاز.

وهذا يدخل في باب «الغريب» الذي يجتهد في الإتيان به لأنه جعل ذلك شيئاً من منهجه. وانظر عفو.

٣٨ - قشر:

وجاء في الصفحة (١٤٧) قوله:

... فإنه (يريد الأَقِيشِر الأسدي) مُنِيَّ بقاشر...

أقول: و«الْقَشَر» على «فَعَلَ» كغيره من الأدواء التي جاءت على هذا الوزن كالْبَرَص ونحوه، وهو أن يتقَشَّر الأنف، وصاحبه «أَقْشَر».

و«القاشور» هو المشؤوم، وسنة «قاشور» أو «قاشورة» شديدة الجذب.

ولكنني لم أقف على «قاشر»، ويبدو لي أن ما في عبارة المعري يشير إلى أن «الأقيشر» اشتهر بذلك لما «مُنِيَّ» به من داء «الْقَشَر» فهلا كان الأصل «قاشور» وصُحِّفَ إلى «قاشِر»، أو كان الأصل المصدر «قَشَرَ» وهو اسم الداء؟

٣٩ - قصص:

وجاء في الصفحة (٢٢) قوله:

... فإني رأيت نزاعها إليها نزاع «الاستقصات» إلى عناصرها، و«الأركان» إلى جواهرها...

أقول: جاء في «التعريفات»^(١) للجرجاني: «الاستقْصَات» و«الأسْطَقْصَات» هي العناصر أي أصول المركبات، وهي يونانية معربة.

و«الأركان»: هي الأجسام البسيطة التي تتكون منها المواد، وهي عند القدماء: النار، والهواء، والماء، والتراب.

٤٠ - قصد:

وجاء في الصفحة (٢٨) قوله:

... أن الأفلاك تعقل... وتدرى بمواقع أفعالها «بقصود» وإرادات...

أقول: و«القصود» جمع «قصد» أي إرادة وطلب وغاية، وهو مصدر، ولم يُوصَل إلى جمعه إلا بعد أن تحوّل من كونه «حَدَثًا» كالفعل إلى إسمٍ كالأسماء الجامدة، ومثله «إرادات» وهذا يفسر ما شاع في عصرنا من هذه الجموع للمصادر المتحولة إلى أسماء كقولهم «عروض» لما يُعرض في المعارض ودور اللهو والمسرح، و«قتول» جمع قتل في لغة القضاء، و«دفعوع» و«دفعوعات» في لغة أهل المصارف، وغير ذلك كثير.

٤١ - قلل:

وجاء في الصفحة (٢١) قول المعري:

... ويظن أنه قد أسدى جميلًا يشكره صاحبه إن نهَضَ و«استقلَّ»...

أقول: وقوله: «استقلَّ» مما يقال: استقل الطائر إذا ارتفع ونهَضَ.

وهذا مما يدخل في باب «غرائب».

(١) التعريفات، (ط صبيح)، ص ١٥.

٤٢ - قوم:

وجاء في الصفحة (٢٧) قوله:

... وما لقيت في سفري مي «أقيوام» يدعون العلم والأدب...

أقول: وكان يجب أن يكون ادغام في «أقيوام»، وقد جرت العربية في الألفاظ التي يجتمع فيها الياء والواو أن يقلب الواو إلى ياء وتدغم الياء في الياء فأنت إذا جمعت «أخي» مصغر «أخ» باعتبار الواو المحذوفة، قلت: «أخيان»، وهكذا تكون «أقيوام» فهي مصغر للجمع «أقوام» وهو جمع «قوم». ومن يدري، لعل هذا مما أساء به الناسخ، ولم تنتبه المحققة إلى هذه الفذلكة اللغوية، وظنت الكلمة صحيحة!

٤٣ - لوم:

وجاء في الصفحة (٦٤) قوله:

... وأردت بزعمي وخديعة الطبع «المليم»...

أقول: و«المليم» ما أتى ما يستحق عليه اللوم، والفعل «ألام»، وهذا شيء من فوائد الزيادة في الأفعال ولطائفها وأسرارها.

قال تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾^(١).

٤٤ - مرج:

وجاء في الصفحة (٦٣) قوله:

... و«أمرجت» نفسي في الأغراض البهيمية...

أقول: والمعنى في قوله: «وأمرجت» أي أطلقتها ترعى في الشهوات.

وهذا من «الغريب» في استعمال الفعل «أمرج».

(١) سورة الذاريات: الآية ٤٠.

٤٥ - مزر:

وجاء في الصفحة (١٥٢) قول المعري:

... و«المزر» نبذ الشعير...

أقول: وهذا من الغريب، فقد مرّ بنا أن «الجعة» شراب الشعير أيضاً.

٤٦ - ملأ:

وجاء في الصفحة (٢٢) قوله:

... فَإِنْ وَهَبَ اللَّهُ لِي «مَلَأً» مِنْ الْعَمْرِ...

أقول: و«الملاء» السعة والامتداد...

وانظر «ملو» وستأتي.

٤٧ - ملع:

وجاء في الصفحة (١٧٦) قوله:

... وَنَجِيهِ «يَمْلَعُ» بَيْنَ كَثْبَانِ الْعَنْبَرِ...

أقول: وقوله: «يملع» بمعنى «يسير»، والمَلْع ضرب من السَّير دون الخَبَب.

وهذا شيء من «الغريب» الذي جاء وافراً في «الغفران» وغيره من «مصنفاته».

٤٨ = ملو:

وجاء في الصفحة (١٦٧) قوله:

... لَمْ يَرِ مِثْلُهُ فِي «مَلَاوَةِ» الْعَيْشِ...

أقول: وقوله: «مَلَاوَةُ الْعَيْشِ» أي مَدَّة الْعَيْشِ. و«الملاوة» مثلثة الميم، وكذلك المَلَا والمَلَيَّ، كلّه مدة العيش.

وفي الحديث الشريف: «وإنه ليملي للظالم» أي يُمهله .
وقالوا: وقد تَمَلَّى العيش، ومُلِّئَه، وأَمَلَاهُ الله إياه، وكل ذلك من
الإمهال.

٤٩ - موم:

وجاء في الصفحة (١٥٣) قوله:

و«المُوم» بئر أصغر من الجُدري، وهو معرب من الفارسية.
وكذلك «المُوم» الشمع، وكله من الفارسية، وهذا من «نوادِر»
المعربات.

٥٠ - ميع:

وجاء في الصفحة (٤٩) قوله:

ويجعل كلَّ شيءٍ «لا شيء»، يُجَمِّدُ «المائعات»، و«يُمِيع»
الجامدات...

أقول: و«المائعات» من ألفاظ العلوم القديمة وتدخل في العلم الذي
يقابل «الكيمياء» في عصرنا، وهي الآن «السوائل».
واستعماله «لا شيء» يشير إلى أنه جعله مركباً من «لا» و«شيء»، وقد
مرّ ذلك.

٥١ - نكر:

وجاء في الصفحة (٢٥) قول المعري:

... فلما دخلتها وبعُد، لم تستقر بي الدار وقد «نكرتها».

أقول: واستعمال الثلاثي «نكر» كان معروفاً مشهوراً، ولم يبق منه شيء
في العربية المعاصرة. على أن الثلاثي والمزيد قد اجتمعا في قول الأعشي:

وَأُنْكِرْتَنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكِرْتُ مِنْ الْخَوَادِثِ إِلَّا الشَّيْبَ وَالصَّلْعَا
وجاء الثلاثي في لغة التنزيل: «فلما رأى أيديهم لا تصل إليه» نَكِرَهُمْ
وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً^(١) وكان المعري أراد أن ينبّه إلى هذا الاستعمال العزيز
لِلثَلَاثِي التماساً للغريب.

٥٢ - هتر:

وجاء في الصفحة (١٣٩) قوله:

... فَيَتَّبِعُهُ سِتْرٌ، مَا تَزَلُ بِهِ حَادِثٌ «هَتْر»...

أقول: ومعنى «هتر» الداهية والأمر العجب. وهذا أيضاً من «غرائبه».

٥٣ - هدي:

وجاء في الصفحة (٢٥) قوله:

كَانَ أَبُو الْقَطْرَانِ (المرّار بن سعيد الفقعسي) يَهْوَى ابْنَةَ عَمِّهِ بَنَجْدَ،
وَأَسْمُهَا «وَحْشِيَّةٌ» فَاهْتَدَاهَا رَجُلٌ شَامِيٌّ إِلَى بَلَدِهِ فَغَمَّهَ بَعْدُهَا...
أقول: قالوا: هُدَيْتِ العروس إلى زوجها بمعنى «زُفَّت» إليه، والهُدْيُ
والهُدْيَةُ العروس.

وَهَدَى الْعُرُوسَ إِلَى بَعْلِهَا هِدَاءً، وَأَهْدَاهَا، قَالَ أَبُو ذُؤَيْبٍ:

بِرَقْمٍ وَوَشْيٍ كَمَا نَمْنَمْتُ بِمِسِيَّتِهَا الْمَزْدَهَاءَ الْهَدْيَ

وكذلك «اهتدى» العروس عن أبي علي، وأنشد:

«كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ لَا تَهْتَدُونَهَا»

واهتدى الرجل امرأته إِذَا جَمَعَهَا إِلَيْهِ وَضَمَّهَا، فَهِيَ مَهْدِيَّةٌ وَهَدْيٌ.

(١) سورة هود: الآية ٧٠.

□ كلمة أخيرة:

هذه نماذج تقرّيتها من «الغفران» قصدت أن تكون شيئاً دالاً على نهجه في التماس «الغريب» وعلى ما فيها من فوائد أخرى تفتن إليها المعري في هذا الكتاب الذي أراد أن يوعبه الكثير من العلم فصاغه بهذا القلب من الحكايات والأخبار في النعيم والجحيم لا يخلو من لون «مسرّحي» إذا جاز لي أن أستمح أهل العلم عذراً في هذا الاستعمال الحديث.

□ □ □

تأليفه

ملاحظة: وجدت أن من الخير أن أضرم إلى هذا الكتاب العمل الجليل الذي قام به
الأستاذ العلامة عبد العزيز الميمني في ضبط مصنفات المعري وما قيل فيها،
وفوائد أخرى، اقتطعتها من كتابه: «أبو العلاء المعري وما إليه»
فهو صاحبها، وأنا مستفيد.

تأليفه

(١) وما أنا إلا قطرة من سحابة ولو أنني صَنَفْتُ أَلْفَ كِتَابٍ
وجد يا قوت ثَبَّتَ كُتُبَهُ بِخَطِّ أَحَدٍ مُسْتَمْلِيهِ فَسَرَدَهُ وَالذَّهَبِيُّ وَلَكِنَّهُ اخْتَصَرَهُ
اخْتِصَاراً مُجْجِفاً وَلَمْ أَرِ فِي سَرْدِهِ فَائِدَةً فَتَرَكْتُ بَعْضَ أَوْصَافِ الْمَعْدُومَاتِ
وَرَبَّيْتُ الْكُتُبَ عَلَى حُرُوفِ الْمَعْجَمِ وَقَابَلْتُهَا بِمَا عِنْدَ الذَّهَبِيِّ وَعِلَامَتُهُ (هـ)
وَالصَّفْدِيُّ فِي الْوَافِي وَعِلَامَتُهُ (ص) وَالْحَاجُّ خَلِيفَةُ وَعِلَامَتُهُ (ك) وَعِلَامَةُ
الْكِرَاسَةِ (كر). وَزِدْتَ بَعْضَ أَسْمَاءِ عَثَرَتْ عَلَيْهَا فِي مِظَانٍ غَيْرِهَا. وَهَذَا أَوَّلُ
الثَّبَتِ:

«قال الشيخ أبو العلاء، رضي الله عنه: لَزِمْتُ مَسْكَنِي مِنْذُ سَنَةِ أَرْبَعِمِائَةٍ
وَاجْتَهَدْتُ عَلَى أَنْ أَتَوَفَّى عَلَى تَسْبِيحِ اللَّهِ وَتَمْجِيدِهِ إِلَى أَنْ أُضْطَرَّ إِلَى غَيْرِ
ذَلِكَ. فَأَمَلَيْتُ أَشْيَاءَ وَتَوَلَّى نَسَخَهَا الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
أَبِي هَاشِمٍ أَحْسَنَ اللَّهُ مَعُونَتَهُ فَأَلْزَمَنِي بِذَلِكَ حَقِيقاً جَمَّةً وَأَيَادِي يَبِضاً لِأَنَّهُ أَفْنَى
فِي زَمَنِهِ، وَلَمْ يَأْخُذْ عَمَّا صَنَعَ ثَمَنَهُ. وَاللَّهُ يُحَسِّنُ لَهُ الْجَزَاءَ، وَيَكْفِيهِ حَوَادِثَ
الزَّمَنِ وَالْأَرْزَاءِ» أَهـ.

١ - كتاب أدب العصفورين ي دك. كتاب العصفورين هـ - رسالة -.

٢ - كتاب استغفر واستغفرني ي هـ - ١٢٠ كر. نحو: ١٠٠٠٠ بيت. روى عنه الزمخشري في الكشاف^(١) بيتاً وابن أبي أصيبعة^(٢) ثلاثة وسماه كتاب الاستغفار وانظر الفائق (ب ود).

٣ - إسعاف الصديق ٣ أجزاء يتعلّق بالجُمْل ي هـ ك.

٤ - كتاب الأنواء له ذكره البغداديّ في الخزانة^(٣) ورآه.

٥ - كتاب الأيك والغصون وهو كتاب الهمزة والردف وهو أكبر كتبه ي هـ ك بُني على ١١ فصلاً لكل حرف فجملتها ٣٠٨. مثلاً: السماء بالحركات الثلاث. سماء متوناً. سماءه بالثلاث. سماءها بالثلاث. عباءة. وهو في العظات وذم الدنيا في ٩٢ جزءاً وفي ١٢٠٠ كر. قال هـ وقد ذكر بعض الفضلاء أنه وقف على المجلّد الأول منه بعد المائة قال ولا أعلم ما يُعَوِّزُه بعد ذلك^(٤) وقال ابن خلكان حكى لي من وقف، الخ.

٦ - كتاب تفسير الهمزة والردف جزء ي وص.

٧ - كتاب الأمالي نحو: ١٠٠ كر. هـ ك. قال ك ولم يكمله. قلت: وكأنه عناه بقوله في ل:

أماليّ فيما أرى راحة مدى الدهر من هَذَيان الأمالي

(١) تفسير: ﴿ومن يردنكم عن دينه﴾، الآية.

(٢) ٨٨/١.

(٣) ١١/١.

(٤) ترجم هذه الجملة مرجليوث بقوله: أنه غادر غيره من الكتب غير مفيد فيا للعجب.

ويمكن أن يكون أراد بالأُماليّ في البيت جميع ما كان يُملّيه على كُتّابه
كائنًا ما كان .

٨ - تاج الحُرّة في عظات النساء خاصة نحو: ٤٠٠ كر. ي هـ ك.

٩ - تضمين الآي^(١) وهو كتاب مختلف الفصول. ي. مختلف
الفصول هـ. كتاب الفصول ك.

(...) تظلم السور أنظر نظم السُور.

١٠ - تعليق الخُلس هـ ولعله الصواب. تعليق الجليسي ويتصل
بجُمْل الرّجّاجي جزء.

١١ - جامع الأوزان (البحور) الخمسة عشر بجميع ضروبها وقوافيها
من ي ك. جامع الأوزان والقوافي هـ - ٦٠ كر - ٣ أجزاء - ٩٠٠٠ بيت.

١٢ - غريب ما في هذا الكتاب نحو ٢٠ كر. هـ. وقد ذكرنا ما عثرنا
عليه من شعره في الفئات.

١٣ - كتاب الجلي والجلي (?). ي. كتاب الحُلّيّ والحُلّي هـ. سألّه
فيه صديق له من أهل حلب يعرف بابن الحلّي. مجلّد - ٢١ كر - .

١٤ - كتاب الحقيّر النافع ي هـ ك مختصر في النحو ٥ كر.

١٥ - كتاب يتصل به يعرف بالطل (ط بالظل ص) الطاهري أنشئ
لرجل يعرف بأبي طاهر حلبي (?).

(١) وفي خزّانة ليدن مجموعة خطيّة فيها رسائله وفصول له، فهل هي من هذا الكتاب؟
وانظر فهرستها، ص ٢٩٥.

١٦ - خطبة الفصيح ي هـ ك^(١). يتكلم فيه على أبواب الفصيح قال ابن الخير ضَمِنَ جميع ما حواه الفصيحُ. خطبة في تحميد الله سبحانه وما قاربه من العظات رواها ابن الخير عن أبي محمد بن عتاب عن أبي عمرو السفاقسي عنه وعن ابن العربي عن التبريزي عنه أيضاً ١٥ كر.

١٧ - تفسير خطبة الفصيح ي ك. شرح فيه غريبه. وعارضه^(٢) الحافظ أبو الربيع الكلاعي بكتاب سمّاه جهد النصيح في معارضة المعري في خطبة الفصيح كما مرّ.

١٨ - خطب الخيل ي ك. يتكلم على ألسنتها - ١٠ كر.

١٩ - حماسية الراح. ي هـ ك حماسية الراح وهو تصحيف. لكل حرف خمس سجعات مضمومات وخمس الخ ١٠ كر.

٢٠ - دعاء الأيام السبعة ي ص.

٢١ - دعاء وحرز الخيل (؟) ي.

٢٢ - دعاء ساعة ي ص.

٢٣ - ذكرى حبيب ي هـ ك في غريب شعر أبي تمام سأل فيه صديق لأبي العلاء من الكتاب، ٤ أجزاء ٦٠ كر. وهذه الكتب المسؤول في تأليفها إنما تكلفتها مؤلفها من فرط الحياء وهو لتأليفها كاره. قال فيه إنما أغلق شعر الطائي أنه لم يؤثر عنه فتناقله الضعفة من الرواة. وذكر فيه الأبيات المشككة من شعره متفرقة.

(...) كتاب ديوان الرسائل ي هـ ك - وهو ثلاثة أقسام: الأول رسائل

(١) وفهرست ابن الخير، ص ٤١٢ و ٣٤٣.

(٢) النسخ مصر ٥٨٧/٢.

طوال تجري مجرى الكتب المصنفة مثل: (٢٤) كتاب رسالة الملائكة^(١) و(٢٥) كتاب الرسالة السندية^(٢) جزء و(٢٦) كتاب رسالة الغفران^(٣) جزء و(٢٧) كتاب رسالة الفرض (ي. العروض ك) جزء ونحو ذلك - والثاني: رسائل دون هذه في الطول مثل: (٢٨) رسالة المنيع^(٤) و(٢٩) كتاب رسالة الإغريض. والثالث (٣٠) كتاب الرسائل القصار^(٥) كنحو ما يجري به العادة في المكاتبه قيل إنه ٤٠ جزءاً^(٦) وقيل إنه ٨٠٠ كر - ي هـ. (٣١) كتاب خادم^(٧) الرسائل ي هـ ك. في تفسير ما تضمنته هذه الرسائل مما يحتاج إليه المبتدئون في الأدب ٢٠ كر. أقول وذكر ابن الخير^(٨) الإغريضية وشرحها له و(٣٢) الفلاحية وشرحها له. وذكر هـ^(٩) في خارج الثبت (٣٣) رسالة الطير له على نهج الملائكة والغفران. وزد فيها (٣٤) رسالتين له إلى داعي الدعاة و(٣٥) ثبت كتبه أيضاً. ورسالة المنيع ورد اسمها في المطبوعة ربح

-
- (١) التي طبعناها وصححنا.
 - (٢) وعند - ك السندية وهو تصحيف. عملها لسند الدولة، روى مرجليوث ٣١ عن ابن النديم أنه كان نقل من أفامية إلى حلب والياً عليها سنة ٤١٤ هـ.
 - (٣) نقلوا عنه أشياء في شرح الدرة للخفاجي ٦٩؛ وشرح ابن نباتة بهامش الغيث ١٩٠/٢؛ وياقوت ١٩٠/١ و١٣/٣؛ والغيث ١٥/١.
 - (٤) نقل عنها ابن الشيخ ١٢١/١.
 - (٥) نقل عنها الصفدي في الغيث ١١٢/١ و١٠٢/٢.
 - (٦) وجاء في عنوان المطبوعة ولم تكن المراسلة بينه وبين الناس كثيرة، وإنما اتفق ذلك في بعض الأحيان. فكيف تكون إذاً نحو ٨٠٠ كر، فلعل هذا مقدار مجموع رسائله ومنها العلمية وكان ما رويناه عن العنوان يقتصر على رسائل الحاجات.
 - (٧) ك خادمة، وورد في حاشية الصبح شرح رسائل أبي العلاء (١٨٩/١٤) جهل هو هذا؟
 - (٨) فهرست ٤١٢.
 - (٩) ١٢٩.

المنيح . وأما الاعريضية فقد سردها القلقشندي^(١) على طولها وشرحها^(٢) أيضاً فصيح ابن صبغة الله الحيدري من علماء آخر القرن الثالث عشر وقدمه إلى مصطفى فاضل باشا بن إبراهيم باشا بن محمد علي باشا والي مصر .

٣٦ - الرسالة الخطية ص - والحضية ي - والصواب إن شاء الله الحَظِيَّة بالطاء المعجمة .

٣٧ - رسل الراموز - ي - رسيل الراموز هـ . نحو: ٣٠ كر .

(...) رسالة الضبعين يأتي في ذكر اللزوم .

٣٨ - رسائل المعونة ي ك - رسالة المعونة هـ - وهي ما كتبت على ألسن قوم .

٣٩ - الرياش^(٣) المصطنعي ي هـ ك - في شرح مواضع من الحماسة الرياشية (يريد حماسة أبي تمام بشرح أبي رياش) عمل لرجل يلقب بمصطنع الدولة ويخاطب بالإمرة واسمه كليب بن عليّ ويكنى أبا غالب أنفذ نسخة من الحماسة الرياشية وسأل أن يخرج على حواشيها شيئاً فخشي أن يضيق الحواشي عن ذلك فصنع هذا الكتاب وجمع فيه ما سنح مما لم يفسره أبو رياش - ٤٠ كر - روى هذا الشرح عنه التبريزي وأظن أنه أودع في شرحه منه جملة صالحة .

٤٠ - رسالة على لسان ملك الموت . ي ص .

(١) الصبح ١٩٠/١٤ .

(٢) ومنه نسخة بدار الكتب المصرية . أنظر فهرستها ٣٤٢/٤ .

(٣) منه نسخة بالخزانة المصرية في مجلد مكتوبة سنة ٦٥٤ . فهرستها ٢٦٩/٤ ، ونقل ياقوت منه فصلاً في ترجمة أبي رياش ٧٤/١ .

٤١ - سَجْع الحمايم يتكلم فيه على ألسن حمايم أربع ي هـ ك .
وكان بعض الرؤساء سألوه أن يصنّف له تصنيفاً يذكره فيه فأنشأ هذا الكتاب
وجعل ما يقوله على لسان الحمايم في العظة والحثّ على الزهد ٤ أجزاء ٣٠
كر .

٤٢ - كتاب السجعات العشر موضوع على أن لكل حرف من حروف
المعجم عشر سجعات في المواعظ - ي هـ .

٤٣ - السجع السلطاني ي هـ ك - يشتمل على مخاطبات للجنود
والوزراء وغيرهم من الولاة وكان بعض من خدم السلطان وارتفعت طبقته
ولا قدّم له في الكتبة سأل أن يُنشأ له كتاب مسجوع من أوله إلى آخره
وهو لا يشعر بما يريد لقلّة خبرته بالأدب فألف له هذا الكتاب ٤ أجزاء .

٤٤ - سجع الفقيه جزء ٣٠ كر - ي هـ ك .

٤٥ - سجع المضطرين ي هـ ك - عمله لرجل مسافر (تاجر . ك)
يستعين به على أمور دنياه .

٤٦ - سقط الزند - ي هـ ك - كتاب لطيف فيه شعر قليل في الدهر
الأول ٣٠٠٠ بيت .

فيه أشعار قليلة فيما بين ١٥ - ٥٥ أو ٧٣ من عمره^(١) وجلّه من شعر

(١) زعم مرجليوث ومن تبعه أن آخر شعرس ما قيل في القاضي عبد الوهاب سنة
٤٢٠هـ، ولكن صاحب شرح المجاني ١٢٤٩، ذكر أن جعفر بن علي بن المهذب
الفقيه الأديب الذي رثاه أبو العلاء بدالية من س، كان توفي نحو سنة ٤٣٥هـ،
والعهدة عليه فإن صح قوله هذا فإنه يناقض مزعم مرجليوث . والفقيه ليس ابن
المهذب بالدال المهملة كما قد تصحّف على شارح المجاني وصاحبه مراراً ولا هو ابن
جعفر كما قد تصحّف على صاحب ذ ٢٦٠ .

الصبي والشباب والكهولة ببغداد وبالمعرة بُعيد الرجوع. قال ابن الأثير^(١) في ترجمة أبي العباس أحمد الرُعَيْنِي أنه كان يستظهره (٤٧) كتاب ضوء السقط تفسير غريب سقط الزند^(٢) ٢٠ كر. قال التبريزي في شرح^(٣) من «كنت أراه يكره أن يقرأ عليه شعره في صباه أعني س وكان يغير الكلمة بعد الكلمة منه إذا قرئت عليه ويقول معتذراً من تأييه وامتناعه من سماع هذا الديوان: مدحتُ نفسي فيه فلا أشتهي أن أسمعه. وكان يَحْتَنِي على الاشتغال بغيره من كتبه ثم اتفق بعد مفارقتي إياه أن بعض أهل الأدب سأله أن يشرح ما يشكل عليه من س فأملئ عليه إلى الدرعيات غير أنه وقع فيه تقصير من جهة المستملي. وذلك إنما يستملي عن بعض الأبيات منه وأهمل أكثر المشكلات وإذا استملي معنى بيت لم يستقص في البحث عن إيضاحه فجاء التفسير كأنه لَمَعَ من مواضع شتى لم يشف به العليل. وشعره كثير في كل فن ومِثْلُ الناس على طبقات من شاعر مُفْلِق وكاتب بليغ إلى هذا الفن أكثر ورغبتهم فيه أجدر وهو أشبه بشعر أهل زمانه مما سواه لأنه سلك فيه طريقة حبيب بن أوس وأبي الطيّب وهما في جزالة اللفظ وحسن المعنى (كذا). وأظهر المعجز في درعيّاته، إلخ. وذهب على العصريين أن الضوء هو شعره في الدرعيات وهذا وهم منهم.

ومن أقدم شروحه بعد الضوء وشرح التبريزي وبعض شروح أخرى

-
- (١) عدد ٢٥٢ من التكملة، طبع الجزائر.
(٢) منه نسخة بخزانة باريس وأوله قد علم الله جلت كلمته أن أول الخ في ٩٣ ورقة، وعددها ٣١١١.
(٣) ك «سقط الزند»، وشرح التبريزي نسخة خزانة باريس، عدد ٣١١٢، وهو في ٥٥ أوراقاً، وأخرى بكمبردج وعدده في فهرستها ١١٩ واسمه الإيضاح في سقط الزند وضوئه.

التنوير لأبي يعقوب يوسف بن طاهر بن يوسف بن الحسن الخُوَيِّي - وخُوَيِّ بلد بأذربيجان - الأديب الفاضل وكان فقيهاً بارعاً حسن السيرة رقيق الطبع مليح الشعر كتب لأبي سعد السمعاني الإجازة. قال أبوسعده وظني أنه قتل في وقعة العرب بطوس سنة ٥٤٩هـ أو قبلها بيسير وترجم له السمعاني^(١) وإنما ترجمنا له لأن أهل العصر لم يعرفوا صاحب التنوير وأتمه سنة ٥٤١هـ.

وشرح ابن السِّيد البطلوسي المتوفي سنة ٥٢١هـ قال ابن خلكان^(٢) وهو أجود من شرح صاحب الديوان. ولكن ابن السِّيد أورد فيه كثيراً^(٣) من شعر اللزوم وفسره ظاناً أنه من س. فلعله حسب ما أدخله أبو الفضل الدارمي وغيره - إذ ذاك بالأندلس من شعر الرجل وفيه جملة من اللزوم - كله من السقط. وقال ياقوت^(٤) إن للأبيوردِي كتاباً سماه سهلة القارح ردّ فيه على المعري سقطه وقال أيضاً^(٥): إن لأبي القاسم الصيرفي اختياراً لديوان أبي العلاء (ك؟٩١) وقال أيضاً^(٦): إن لذي الفضائل الأخسيكتي (صاحب نقيضة تأتي) كتاباً سماه كتاب زوائد في شرح سقط الزند.

ومن شروحه ضرام السقط لصدر الأفاضل الخوارزمي وهو ممتع مُغنٍ وقد رأيتُه واستفدتُ منه كثيراً. ومنها شرح ابن خطيب الري الإمام فخر الدين الرازي وشرح الشرف البارزي المتوفي سنة ٧٣٨هـ ذكرهما خليفة.

(١) ٢١٢.

(٢) ٢٦٥/١.

(٣) أنظر: شفاء العليل، للخفاجي ١٩١؛ وألف باء ٥٢/٢، ٨٠ (ل ٢٨٠/٢)، ٧٢ -

٣١٦/١.

(٤) أدباً ٣٤٦/٦.

(٥) ٤٢٣/٥.

(٦) ١١١/٢.

وهذا كله دليل على أن الذي استهان به صاحبه من أعماله وقع من الناس موقعاً كريماً وأن الذي آثره عليه من تأليفه في الزهد طارت بها عنقائه مُغرب فلم يوقف لها على عين ولا أثر.

وقد أتيت على أكثر من مما له علاقة في جَمْع تاريخ الرجل في مظانه من كتابي هذا فاستغنيت عن إعادة القيل.

٤٨ - كتاب سيف الخطبة ي. كتاب الخطب هـ. سيف الخطيب ك. جزآن. يشتمل على خطب السنة فيه خطب للجُمع الخ. ومقداره ٤٠ كر. وكان سأل في هذا الكتاب رجل من المتظاهرين بالديانة فصنّف له.

٤٩ - شرف السيف ي هـ. شرف السلف ك. عُمل للرجل الذي كان مقيماً بدمشق وهو المعروف بَنَشْتَكِين الدِزْبِرِّي. وكان السبب في عمله أنه كان يوجّه إلى أبي العلاء بالسلام ويُحْفِي المسألة عنه فأراد جزاءه على ما فعل جزآن، نحو: ٢٠ كر.

٥٠ - شرح سيبويه لم يتم ي هـ ك. مقداره ٥٠ كر. شرح بعض سيبويه هـ.

٥١ - كتاب الصاهل والشاحج ي هـ ك. يتكلم فيه على لسان فرس وبغل. مقداره ٤٠ كر. صنّفه لأبي شجاع فأتك الملقب بعزیز الدولة والي حلب من قبل المصريين وكان رومياً. وعند هـ وك رسالة الصاهل الخ. وصنع^(١) محمد بن عبد الغفور الكلاعي رسالة سماها بالساجعة والغريب هذا بها حذو صاحبنا في الصاهل. وانظر فصل «هووالأندلس». وورد ذكره في ر له^(٢) إلى ابن سعيد وهي الـ ٣٦.

(١) المطمح مصر، ص ٣٣؛ والنفع مصر ٣١٦/٢.

(٢) ص ١٢٠.

٥٢ - لسان الصاهل والشاحج من فهرست ابن الخير^(١).

٥٣ - ظهير العضدي ي. ظهير العضد ص. ظهر العضدي ك. كتاب في النحو يتصل بالكتاب المعروف بالعضدي (لأبي عليّ الفسوي).

٥٤ - عَبَث الوليد فيما يتصل بشعر البحتري وكان سبب إنشائه أن بعض الرؤساء أنفذ نسخة ليقابل له بها. فأثبت ما جرى من الغلط ليعرض ذلك عليه. ي هـ ك. وهو جزء واحد ٢٠ كر. وزعم ابن خلكان^(٢) أنه مختصر ديوانه. والصواب ما هنا ونقل صاحب ك عن بعضهم أنه يتضمن أغاليط البحتري في ديوانه. وهو أيضاً جُزاف من القول^(٣).

٥٥ - كتاب عِظَات السُّور. ي ص.

٥٦ - عون الجمل ي هـ ك عمل لأبي الفتح محمد بن علي بن أبي هاشم وهو آخر شيء أملاه - زادك ولم يتم وهو شرح لشواهد. قوله وهو آخر الخ يريد إذ أُملي هذا الثبت وإلا فقد روى ابن الوردي^(٤) عن دفع المعرة أن ضوء السقط خاتمة كتبه ويشهد لقوله ما ذكره التبريزي في شرح س وترك هـ لذكر الضوء أيضاً دليل على ما ذكرنا. وذكر هذا الكتاب ابنُ العديم أيضاً في العَدْل قال: هو في شرح شيء من الجمل.

(١) ٤١٢.

(٢) ٣٤/١.

(٣) منه نسخة بالخزانة المصرية. أنظر الفهرست ٢٨١/٤، وفيها ذكر في هذا الكتاب ما في ديوان البحتري مما أصلح من الغلط الذي وجد في النسخة المكتوب في آخرها أنها بخط ظفر بن عبد الله العجلي، وهي في جزء كتبت سنة ١٢٩٧ هـ بالمدينة المنورة. ونقل عنه في مقدمة رسائل البلغاء أن المتقدمين كانوا ينكرون إدخال آل على كل وبعض. أنظر ١٤ أقول ومثله في الغفران ١٥١؛ وفي تصحيح اللسان، ق ٢ ص ٤١ في منع المنصرف؛ وفي شفاء العليل ١٣١ في طوى مضافاً.

(٤) تاريخه ٣٦/١.

٥٧ - الفصول والغايات زاد ابن الجوزي (كما عندك) وغيره^(١) في محاذاة السور والآيات وقال الذهبي^(٢) وكأنه معارضة منه للسور والآيات فقليل له أين هذا من القرآن فقال لم تصقله المحاريب أربعمائة سنة ١هـ وليست هذه الزيادة في الإسم في الثبوت عندي وهـ. فالظاهر أنها من أعدائه الذين رموه بكل ما شاؤوا. وإن صحت فليس معناها المعارضة بل المحاذاة عمل شيء على حذاء شيء كما عمل تضمين الآي وللشريف الرضي^(٣) كتاب في محاذاة الآثار النبوية فهل يقال أنه عارض الحديث كما يقال إن أبا العلاء عارض القرآن هب أنه عارض فكيف شنع على ابن الراوندي بعد ذلك بدهر طعنه على القرآن في الدماغ وهذا لفظه في الغفران^(٤) «... وأجمع ملحد ومهتد، وناكب عن المحجة ومقتد. أن هذا الكتاب الذي جاء به بهر بالاعجاز ولقي عدوه بالإرجاز ما حُذِي على مثال ولا أشبه غريب الأمثال. ما هو من القصيد الموزون ولا الرجز من سهل وحزون. ولا شاكل خطابة العرب ولا سجع الكهنة ذوي الأرب. وجاء كالشمس اللاتحة... وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون. وأن الآية منه أو بعض الآية لتعترض في أفصح كلم يقدر عليه المخلوقون فيكون فيه كالشهاب المتألي، في جنح غسق» الخ قال البخارزي وإنما تحدثت الألسن بإساءته لكتابه الذي زعموا أنه

(١) كالبخارزي في الدمية.

(٢) ١٣٢.

(٣) أنظره في نهج البلاغة المطبوع بشرح ابن أبي الحديد ٥٠٧/٤ ولو قال بنفسه فيه أنه معجز لكان له منقصى بأن الزمخشري قال في مقامات الحريري:

معجزة تعجز كل الورى ولو سروا في ضوء مشكاته
وقال ياقوت (١٧٠/٦) بعد إطرائها حتى لو ادعى بها الاعجاز لما وجد من يدفع في صدره ولا يرد قوله ولا يأتي بما يقاربها فضلاً عن أن يأتي بمثلها أهـ.

(٤) ١٥٨.

عارض به القرآن وَعَنُونَهُ بالفصول والغايات في محاذاة السور والآيات أهـ قلت وقد قال الأول «زعموا»^(١) مطية الكذب وأعراض المسلمين حفرة فليتنكب عنها من يضمن دينه. وكيف نزع بمشايخ الإسلام كالصابوني والقاضي عبد الوهاب والهركري أن ينزلوا على هذا الدهري البرهمي الزنديق.

قليل إنه بدأ بهذا الكتاب قبل رحلته إلى بغداد وأتمه بعد عوده إلى معرة النعمان وهو ٧ أجزاء ومقداره ١٠٠ كر. ولا جرم أن الناس ذموا الكتاب في كل زمان. ونقل ياقوت^(٢) في ترجمة شيخه الوجيه ابن الدهان أن خازن دار الكتب برباط المأمونية غسله وتبجج بصنيعه هذا بحضرته فخطأه الوجيه محتجاً بأنه إن كان خيراً من القرآن – وحاش لله أن يكون – فلا يجب أن يفرط في مثله وإن كان دونه فتركه معجزة للقرآن فاستحسن الناس قوله ووافقه الخازن على ذلك وكنت رأيت في مظنة فاتني تقييدها أن بعض الناس ارتأب في أن يكون المعري صنع كتاباً هكذا. إلا أنه وجد في عصرنا جزء منه^(٣)

(١) هذا المثل أغفل عنه أصحاب كتب الأمثال كما قال ابن الدماميني في المنهل الصافي (مخطوط عندنا) قال وذكر بعضهم أنه روى مظنة الكذب. وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن صفوان بن عمر الكلاعي قال: بش مظنة المسلم زعموا إنما زعموا مظنة الشيطان. وأخرج ابن سعد في الطبقات عن شريح القاضي قال: زعموا كنية الكذب أهـ وكنت قرأت هذا المثل في الدهر الأول في لب الألباب وهو متن في النحو مخطوط عندي. فإن أجاب بعض المستعربة أن اعترافه بإعجاز القرآن كان فراراً بنفسه عن بطش أهل الصلابة في الدين قلنا إن هجا صاحبنا من حيث أراد مدحه كما قال هو في النصاري. ل:

وقد شهد النصارى أن عيسى توخته اليهود ليصلبوه
وما أبهوا وقد جعلوه ربا لئلا ينقصوه ويجذبوه

(٢) ٢٣٥/٦.

(٣) وجده صديقنا الفاضل الجليل محب الدين الخطيب حرسه الله بالحجاز ونقل منه فصولاً في الزهراء سنة ١٣٤٣هـ فله بذلك صنعة لا تنكر وفضل لا يغمط.

لم نر فيه شيئاً مما يصقّ قارئه وإنما هو كتاب في العظات والزهد كمُلّقَى السبيل ليس إلّا^(١) وكُنّا أَطْلَعْنَا مِنْ قَبْلِ عَلَى فَصْلِ عِنْدَ الْبُديعي^(٢) وَياقوت^(٣).

٥٨ - إقليد الغايات مقصور على تفسير اللّغزى (ك هـ اللغة) مقداره ١٠ كر.

٥٩ - كتاب السادن هـ ك. الشادن ي. أنشأه في ذكر غريب هذا الكتاب وما فيه من اللّغز ٢٠ كر.

١٠٠ - الفصول هو تضمين الآي.

٦٠ - فقه الواعظ هـ. وقال ياقوت وكتاب آخر يعرف بوقعة الواعظ فهل صوابه برقعة؟

٦١ - كتاب بعض فضائل أمير المؤمنين عليّ ي. كتاب مناقب علي هـ.

٦٢ - قاضي الحق يتصل بالكتاب المعروف بالكافي الذي ألفه أبو جعفر النحاس. ي هـ.

٦٣ - كتاب القائف (سقط من نسخة ي) هـ ك على معنى كليلة ودمنة نحو ٦٠ كر. ك لم يتم (وأنا أرتأب بحكمه هذا) عمله لعزير الدولة المارّ كما ورد في ر الـ ٣٦.

(١) عند البديعي ٣٣/١ قال ابن سنان [عبد الله بن محمد بن سعيد الشاعر ابن صاحب أبي العلاء] وهذا الكتاب إذا تأمله العاقل علم أنه بعيد عن المعارضة وهو بمعزل عن التشبيه بنظم القرآن العزيز والمناقضة.

(٢) ٣٣/١.

(٣) ١٧٧/١.

٦٣ - منار القائف في تفسير ما جاء فيه من اللغز (ى - اللغة هـ) والغريب ١٠ كر. ى هـ ك.

٦٤ - اللامع العزيزي^(١) ى هـ ك وهو معجز أحمد أيضاً. في تفسير شعر المتنبي عمل للأمير عزيز الدولة وغرسها ابن تاج الأمراء أبي الدوام ثابت ابن ثمال بن صالح بن مرداس ١٢٠ كر.

٦٥ - لزوم ما لا يلزم ى هـ ك. ومعناه أن القافية يردّد فيها حرف لو غير لم يكن مُخِلّاً بالنظم كما قال كُثَيِّر:

خليليّ هذا ربع عَزّة فاعقلا فلوصيكما ثم أنزلا حيث حلّت
فلزم اللام قبل التاء وذلك لا يلزمه في ٣ أجزاء نحو ٤٢٠ كر^(٢) يحتوي على ١١٠٠٠ بيت من الشعر.

٦٦ - زجر النابح ى هـ ك. يتعلق باللزوم وذلك أن بعض الجُهّال تكلم على أبيات منه يريد بها التشرر والأذية فالزَمَ أبا العلاء أصدقاؤه أن ينشئ هذا الكتاب فأنشأه وهو كاره. جزء في ٤٠ كر. ولا أدري هل هو رسالة الضُّبُعَيْن بعينها التي كتبها أبو العلاء إلى معز الدولة^(٣) علي^(٤) ابن صالح يشكو إليه رجلين كانا يؤلّبان عليه وينسبانه إلى الكفر والالحاد أم هو غيرها وكان هذان قد حرّفا بيتاً من لزوم ما لا يلزم عن موضعه ليُثبتا عليه الكفر بذلك. أحدهما الشريف ابن المحبّرة الحلبيّ قال ابن العديم في العدل قال

(١) منه نسخة في منشئ وأخرى في دار التحف البريطانية وأخرى في بطرسبورغ. آداب العربية لزيدان ٢٤٨/٢ ونقل عنه واستنبط نوعاً من الديع ابن حجة في الخزائن ٤١٨.

(٢) كذا عندي، وعند هـ وك ١٢٠ كر وهو الصواب إن شاء الله

(٣) كذا ومر في فصل الملوك أن معز الدولة هو ثمال بن صالح.

أبو العلاء في هذه الرسالة «وفي حلب حماها الله نُسخ من هذا الكتاب
بخطوط قوم ثقات يُعرفون ببني أبي هاشم... جرت عادتهم أن ينسخوا
ما أمليه أهد.

٦٧ - بحر الزجرى هـ. كتاب يتعلّق بزجر النابح مقداره عشر كر.

٦٨ - راحة اللزوم يشرح فيه ما في اللزوم من الغريب نحو مائة كر.

٦٩ - كتاب الراحلة (ى فقط وقد ذكر راحة اللزوم أيضاً) ٣ أجزاء في
تفسير كتاب لزوم ما لا يلزم. ولعل التفسيرين شيء ولكن تعدّد على ياقوت
فذكرهما.

والنسخة المطبوعة منه لعلها فقدت بعض أبيات كما قد دللنا عليه في
نحو ستّة مواضع من الفائت فأنظره. ويوجد منه كثير من النسخ الخطيّة^(١).
وله المقدّمة فيما يلزم الشاعر وما لا يلزمه في قرص الشعر ولكن جاء في
بعض النسخ^(٢) مقدمة بسط الشاعر فيها تبرّؤه من قصد الإلحاد بأوضح بيان
وقال إن غرضه التفنن بالشعر. فهذا دليل على انتشار الكتاب في حياته
واستجلابه به السُّمعة بالإلحاد وأن النسخ منه لا تتفق وأن الباعث على تأليف
زجر النابح ما مرّ.

وإن صحّ ما مرّ عن ابن كثير في البيتين يد الخ فهو دليل على أنه نظم
بعضه ببغداد. ويظهر من بيته فيه:

رويدك إن ثلاثون استقلّت ولم يُنِبِ فمتى يُنِيب

(١) بالخزانة المصرية أحداها حديثة أنظر فهرستها ٢٩٨/٤ راسخة بباياصوفيا عددها في
دفتره ٤٠٣٦ وحسبها مؤلفها نسخة من س.

(٢) هو عند سليم مدور أفندي وهو قديم - المشرق ٤٧/٥.

أنه أخذ فيه وعمره ٣٠ سنة أي نحو سنة ٣٩٣هـ وقد أكثر فيه من ذكر الأربعين والخمسين وهذا يدل على أنه نظم جله ما بين ٤٠٠ - ٤١٠ وتوالى ذلك إلى سنتي ٤١٧هـ و ٤١٨هـ عامي شفاعته إلى صالح ورثائه لأبي القاسم المغربي الوزير - فلعلنا لا نخطأ إن قلنا أن شعره لا يتجاوز سنة ٤٢٥هـ كائناً ما كان. وقد اشتهر أكثره في حياته فبلغ بيته (غدوت... الصائح) الداعي بحلب وبيته (أرى ولد... عقيماً... يتيماً) التنوخي الصغير ببغداد قبل سنة ٤٤٠هـ. وعمل في أثناء هذه المدة عدة من كتب أخرى كالفصول والكتابين اللذين رسمهما بإسم عزيز الدولة وغيرهما.

وأقدم نسخة الموجودة نسخة ابن الخشاب^(١) قارئه علي ابن الجواليقي وثبت عليه صورة قراءة ابن الخشاب على ابن الجواليقي سنة ٥١٧هـ وصورة سماع ابن الجواليقي على التبريزي وهي: «قرأ عليّ الشيخ الأديب أبو منصور موهوب بن أحمد نفعه الله بالعلم هذا الكتاب من أوله إلى آخره قراءة ضبط وتصحيح وسمعتة بقراءة العلاني كاتبه عليه من أوله آخره وبقراءة غيره وقرأت منه شيئاً على أبي العلاء وكتب يحيى بن عليّ الخطيب التبريزي سنة ٤٩٦هـ بمدينة السلام» أه قال الجواليقي أنشدنا الشيخ الإمام أبو زكريا لنفسه في هذا الكتاب:

تمتّع به علّقاً نفيساً فإنه مقال بصير بالأمر حكيم
أراك من الدنيا حقيقة حالها وسكانها من جاهل وعليم

(١) بخزانة ليدن أنظر: ص ٤٠٠ من فهرستها. ثم رأيت نسخة أخرى تضاهيها في القدم أو تفضل عليها بيومباي وثبت عليه من الاجازات وبيتي التبريزي وغيرهما مما هو مثبت على نسخة ابن الخشاب كله وهي أيضاً منقولة من نسخة الجواليقي وثبت عليها بيتان آخران من غير عزو إلى أحد وهما:

إن كنت متخذاً لجرحك مرهماً فكتاب رب العالمين...
أو كنت مصطحباً حكيمًا سالكاً سبل الهدى فلزوم ما لا يلزم

وأما صنعة اللزوم فإنه تتبع فيها كثير عزة في لاميته الشهيرة وهي بتمامها في الأمالي^(١) للقالبي وإنما خصه لأن له قصيدة طويلة وقال. ل:

كثير أنا في حرفي أهبت له في التاء يلزم حرفا ليس يلتزم
ولأ فإن كثيرين التزموا أشياء وذكرهم في مقدمة^(٢) ل. وممن
لم يذكرهم عمرو بن معد يكرب^(٣) وأبو أذينة^(٤) وعبد الله بن الزبير الأسدي
وحجر ابن حبة الحماسي وطرفة والفرزدق وأبو تمام وغيرهم^(٥) إلا أن الذي
يكاد يُرى على جميعهم أبيات ذكرها الجاحظ في كتاب العصا له^(٦) عن
الأصمعي وهي:

أعددت للضيفان كلبا ضاريا	وهراوة مجلوزة من أرزن
ومعاذرا كذبا ووجها باسرا	وتشكيا عض الزمان الألزن
وشداة مرهوب الأذى قاذورة	خشن جوانبه دلوظ ضبزن
وبكفت محبوبك الديدن عن العلى	والباع مسود الذراع مقحزن
وتجنيا لهم الذنوب وألتقى	بغليظ جلد الوجنتين عشوزن

ولكن اللزوم صار بالتزامه له كأنه إحدى مخترعاته فتبعه كثير من الناس
ومر معظمهم في باب الأندلس وولع الناس بشعره ومن غيرهم شميم الحلي
له رسائل^(٧) فيه في كراستين وكتاب اللزوم في مجلدين.

(١) ١٠٩/٢ وفيه أبيات من اللزوم كأبيات كثير ٦٩/٣.

(٢) ١٧ - ٢٠.

(٣) التبريزي على الحماسة ٨٢/١.

(٤) التبريزي ١٢٠/٣ ولاشعار ابن الزبير المعاهد ١٠٥/٢.

(٥) أنظر المثل السائر ١٠٧.

(٦) الطبعة الثانية ٤١ وبعض هذه الأبيات يوجد في حماسة البحري أيضاً بفك اللزوم،
ص ٣٧٦ من الخطية.

(٧) أدباء ١٣٩/٥. وللقاضي عبد الوهاب شعر فيه أورده ابن الشيخ ٢٧٤/١.

هذا ووجدت في ل قطعة أغفل فيها عن التزام حرف وقوافيها القديماء.
مقيماً عقيماً، مستقيماً. ثم:

فإما أن يربيه عدواً وإما أن يخلفه يتيماً
وفي العنوان «وقال في الميم المفتوحة مع الياء» فكأنه اقتنع على هذا
الالتزام وهو حين ليس من التعنت في شيء. لا يقال بالتصحيح أو التغيير فإن
القوافي وردت هكذا في الغيث^(١) والأدباء^(٢).

وذكر بعض العصريين^(٣) أن الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي كان
يستظهر ل.

٧٠ - مبهج الأسرار لأبي العلاء كذا هو عندك فقط وأنظر.

٧١ - مثقال النظم في العروض جزء ي ص.

٧٢ - مجد الأنصار في القوافي. ي ص.

٧٣ - المختصر الفتحي يتصل بكتاب محمد بن سعدان صنعه لرجل
يكنى أبا الفتح محمد بن علي بن أبي هاشم وكان أبو هذا الرجل تولى إثبات
ما ألفه أبو العلاء من جميه هذه الكتب فالزمه بذلك حقوقاً جمّة وأيادي كثيرة.
ي هـ والعَدْل.

٧٤ - مُلْقَى السبيل صغير فيه نظم ونثر. ٤ كر. ي هـ. ولرجلين من
أهل المغرب معارضتان لهذا الكتاب مرتا في باب «هو والأندلس».

(١) ١٩٨/٢ مع زيادة بيت ليس في ل وهو:

وأما أن يصادفه حمام فيبقى حزنه أبداً مقيماً
ومرت قافية مقيماً فيلزم الإيطاء.

(٢) ٣٠٢/٥.

(٣) الأستاذ الفاضل صديقنا محب الدين الخطيب في بعض أجزاء الزهراء سنة ١٣٤٣هـ.

٧٥ - المواعظ الست ى. المواعظ هـ. المواعظ السنية ك وهو
تصنيف. يعني ستة فصول في خطاب الواحد والاثنين والرجال والواحدة
والاثنتين والنساء ١٥ كر. أوله كما في ك الحمد لله الذي عرف وفهم الخ.

٧٦ - نشر شواهد الجمهرة ولم يتم - ٣ أجزاء ى. تفسير شواهد الخ
ص. ورأيت على طرر نسخة من الجمهرة^(١) خطية عدة فوائد لغوية في غير
الشواهد يرويها القاضي أبوسعده عنه.

٧٧ - نظم السور - ك. ظلم السور - ص. تظلم السور - ى.

وهذه الكراسة ليست بمعنى ١٠ أوراق. قال هـ وذكر أن ملقى السبيل
في ٤ كراريس قلت إنما مقداره ثمان ورقات فكأنه يعني بالكراسة زوجين من
الورق. أقول وهذا القول مقارب وأنظم حجم ل.

قال ى هذا ما وجدناه وأثبتناه عن جماعة من أصحاب أبي العلاء. قالوا
وله بعض كتب في العروض والشعر بدأ بها ولم تتم وتمت وشذ عنا أسماؤها.
وفي اللسان أن تصانيفه نحو ٢٠٠ مجلد. وقال الرحالة ناصر خسرو سمعت
أن له من الشعر ما يزيد على مائة ألف بيت. قال القفطي^(٢) وأكثر كتب
أبي العلاء عُدتم وإنما وجد منها ما خرج عن المعرفة قبل هجم الكفار عليها
وقتل أهلها أه أقول وكان ذلك سنة ٤٩٢ هـ ثم أخذها المسلمون من الكفار
سنة ٥٢٩ هـ.

(١) بحيدر آباد ورق ٢٥، ١٠، ٢٣، ٢٤ وغيرها.

(٢) ١٣٦ هـ. ونقل مرجليوث عن ناسخ نسخة تاريخ الإسلام بدار التحف البريطانية
وكان كما رجح من أبناء المئة التاسعة أنه رأى جل كتبه في مصر بعينيه أه وهذا
جزاف من القول بل لو قال هذا في نحو الثلث من كتبه لكان له وجه.

ما كتب فيه

١ - جزء في أخباره لأبي طاهر السلفي تلميذ التبريزي . وهو أقدم كتاب صُنّف في أخباره . ولا نعرف عنه غير أن ابن خلكان^(١) والأزدي صاحب بدائع البدائنة رويَا عنه لَغَز الطبري وجواب أبي العلاء لما ورد بغداد على ما مرّ . وغير أن الذهبي قد أكثر عنه من نقل أخباره في تاريخ الإسلام له . قال السلفي^(٢) وقد أورد قدراً كافياً من مناقبه ومثالبه «وفي الجملة فكان من أهل الفضل الوافر والأدب الباهر والمعرفة بالنسب وأيام العرب قرأ القرآن بروايات وسمع الحديث بالشام على ثقات . وله في التوحيد وإثبات النبوة وما يحض على الزهد وإحياء طرق الفتوة والمروّة شعر كثير والمشكل منه فله على زعمه تفسير» وقال أيضاً^(٣) «أنه تاب وأناب» .

٢ - العَدْل والتحري في دفع الظلم والتجري على أبي العلاء المعري للكمال ابن العديم الحلبي يروي فيه عما وجده بخط أبي اليسر شاعر وهو حفيدُ حفيد أبي المجد أخي أبي العلاء الأكبر وكأنَّ جُلَّ ما أورده ياقوت من أخبار أسرته من الباب الثاني منه ويروي عنه الصَّفْدي في النُّكت . والعجب من ياقوت وهو صاحبه أنه لم يذكر هذا الكتاب في ترجمته وذكره الكتبي^(٤) والصفدي^(٥) وخليفة وابن الورد في تاريخه . وقد وُجد أكثره .

(١) ٢٣٣/١ - ١١٤/٢ ، ولاء .

(٢) ذ ١٣٥ .

(٣) نكت ١٠٤ ولفظه وأظن الحافظ السلفي قال أنه الخ .

(٤) ١٠١/٢ وسماء دفع الظلم والتجري عن الخ كما في الكشف .

(٥) نكت ١٠٥ وسماء التحري في دفع التجري على الخ و ١٠٩ وسماء دفع النجري وعلى

نسخته المخرومة الآخر بدمشق الأنصاف والتحري ومثله في نسخة مصر .

٣ - دفع المعرة عن شيخ المعرة لمؤلف من الأعيان مجهول وهو أقدم من ابن العديم عسراً نقل عنه ابن الوردي في تاريخه^(١) أن أبا العلاء وُجد في اللزوم متذبذباً حائراً في الدين لكن الكتب التي ألفتها بعد ذلك خصوصاً ضوء السقط تُصليح هذا الفساد وتوضح رجوعه إلى الحق وصحة اعتقاده. والضوء خاتمة كتبه والأعمال بخواتمها أهـ.

٤ - نصر الأعيان^(٢) على شعر العميان لابن الوزير اليماني صاحب إثثار الحق على الخلق في التنفير من شعر أبي العلاء.

٥ - رجمة العفريت^(٣) ردّ فيه عبد الله بن سعيد أبو منصور الكاتب المتوفى سنة ٤٨٠هـ على المعري. فأنت ترى أن الذين قاربوا عهده. لم يؤثروا إلا مدحه وحمده. وأما الذين جانبوه دياراً أو باعدوه أعصاراً فقد هرفوا وما عرفوا ونبذوا الرجل بما بدا لهم وقرفوا. فظهر مصداق قول صاحب ابن العديم^(٤) إن الذين لقوه وعرفوه وصفوه بكل جميل والذين هتَكُوا عرضه لم يلقوه ولا عرفوه.

٦ - وذكر ياقوت^(٥) لشميم الحلبي كتاباً إسمه الإشارات المعريّة ولم يزد عليه شيئاً.



(١) ٣٦٠/١.

(٢) مجلة الزهراء سنة ١٣٤٣، ص ٢٨٨.

(٣) البغية ٣٨٢.

(٤) قال ابن الوردي قال ابن العديم في العدل أنه اعتبر من ذم أبا العلاء ومن مدحه فوجد كل من ذمه لم يره ولا صحبه ووجد كل من لقيه هو المادح له.

(٥) أدبا ١٣٨/٥.

خلاصۃ وفاتہ

خلاصة وخاتمة

قلت: اشتهر المعري شاعراً مفلحاً تسمعه فتطرب لعبارته وذلك في شعره في «السقط»، وهو وإن كان يجري على ما جرى عليه المتقدمون في بناء القصيدة، وفي معانيه فإنه ليوحي إليك أنه شاعر اكتملت فيه صفة الشاعر في العاطفة تقرر حرارة الشباب فتمنحه الأصالة. ثم يأتيك المعري حكيماً في شعره بما كان له من نظر في الناس وما كان يراه في الوجود وما توحى إليه نظراته إلى الدنيا والآخرة فتجد فيه الفكر المتفلسف الحكيم وهو ذاك في «اللزوميات».

وننتهي من كل هذا فنجد المعري في ما كان له من المعارف الواسعة «العميقة» الأصول عالماً متبحراً فذاً لغوياً أمسك من اللغة بنواصيها وضرب فيها بالسهم الفائز فكان نحوياً ذا رأي، وليس كالنحاة، وعروضياً صاحب فن يحس من هذا العلم بما لا يحس به جمهرة المعنيين بهذا الفن من السماع والموسيقى، وصاحب صرف ولغة تنسى معه فذلكات ابن جني وغيرها من الفطاحل المجتهدين، وهو بعد هذا قد جلس إلى أهل الحديث والفقه والزهد والكلام فكان البارع المتوقد الذكاء فهماً وتعليلاً. وأنت واجد فيه أحد أهل العلوم الدنيوية في الفلك وغيره.

وإذا كان هذا فأقل شهرة ينبغي أن يعرف بها هي الشعر. وإنك لا تجد

أحداً من الشعراء قد جلس مجلس المتعلم من شيوخ كثيرين فآتم اللغة والنحو والفقه وسائر المعارف على العلماء الأفاضل في عصره، على نحو ما عرفنا من سيرة المعري المتعلم طالب العلم، وأين تجد مثل المعري شاعراً من شعراء العربية قد تصدر للتدريس فقصده طلبة العلم يقرأون عليه كتبه وكتب غيره، وآية ذلك أنك تجد في تصانيفه شروحاً لكتاب سيبويه قراها عليه طلاب كثر وغير ذلك من التصانيف. وهل عرفت شاعراً غير المعري يقصده المنقطعون إلى درس العربية؟ لقد قصده أبوزكريا التبريزي فقرأ عليه جملة كتب كان من بينها «حماسة أبي تمام» فكان له من ذلك «شرحه» المعروف بهذا الكتاب.

لقد أخذ المعري النحو واللغة على أبيه بادية ذي بدء بالمعرة، وعلى محمد بن عبد الله بن سعد النحوي بحلب وغيرهما من بني كوثر وأصحاب ابن خالويه، ومنهم أبو القاسم المبارك بن عبد العزيز الذي بعث إليه أبو العلاء الرسالة السابعة والعشرين (من رسائله). وقد سَرَد ابن العديم في الباب الرابع من «العدل» أسماء شيوخه بالمعرة وحلب وبغداد، ولعل هذا وهم منه فإنه لم يتلمذ ببغداد لأحد^(١).

وأما علمه بالحديث فإنه حَدَّث عن أبيه وجدّه^(٢). وسمع بالمعرة عالياً من يحيى ابن مسعر التنوخي صاحب أبي عروبة الحراني، وجزءاً من أبي الفتح محمد بن الحسين صاحب خيشمة في صباه^(٣).

قال السِّلَفِي: حدثنا الخليل بن عبد الجبار بقزوين، وكان ثقةً، حدثنا

(١) أنظر «أبو العلاء وما إليه»، للميمني ص ٥١.

(٢) بغية الوعاة، ص ١٣٦.

(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام. ص ١٣٠ (المطبوع)؛ ولسان الميزان، لابن حجر ٢٠٤/١.

أبو العلاء التنوخي بالمعرة: حدثنا أبو الفتح محمد بن الحسين حدثنا خيثمة فذكر حديثاً^(١).

وقال السلفي: قرأ القراءات بروايات وسمع الحديث بالشام على ثقات.

وقال ابن السمعاني: سمع الحديث اليسير وحدث به^(٢). وقد عقد صاحب ابن العديم باباً، وهو السادس من العدل في ما وقع إليه من حديث أبي العلاء مسنداً وروى منه شيئاً غير يسير^(٣).

وأما علمه باللغة والنحو والأدب فهو الغاية القصوى. قال الصفدي وعُدَّ من رزقوا السعادة في أشياء لم يأت بعدهم من نالها «وأبو العلاء المعري في الاطلاع على اللغة». ولا يكاد يُقضى العجب من تبخره من طالع «الغفران» لا سيما تفننه في قوافي بيتين للنمر بن تولب العكلي حتى أتى على جلّ حروف المعجم^(٤).

ونقل المجد الفيروز آبادي في «البلغة»^(٥) عن محمد بن رادة اللغوي قال: كان بالمشرق لغوي، وبالمغرب لغوي في عصر واحد لم يكن لهما ثالث وهما: أبو العلاء المعري وابن سيده.

وروى ابن العديم عن تلميذه التبريزي أنه قال: «ما أعرف أن العرب نطقت بكلمة ولم يعرفها المعري»^(٦).

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام، ص ١٣٢.

(٢) المصدر السابق، ص ١٣٥.

(٣) الصفدي: الغيث المسجم ١/١١٨.

(٤) كنا أشرنا إلى هذا في الكلام على «الغفران».

(٥)

(٦) الإنصاف والتحري، لابن العديم، ص ٥٦٩.

وأما علمه بالعروض والقوافي فبحسبك فيه مقدمة «اللزوم»^(١) ورسالته إلى النكتي التي تكلمنا عليها في الكلام على «رسائله»، وله مصنفات مفيدة في العروض والقوافي.

وللمعري مشاركة في الفقه والفروع والمذاهب، قال صدر الأفاضل في شرح قوله:

في معشر كجمار الرمي أجمعها ليلاً وفي الصبح ألقها إلى القاع
«في هذا البيت ما ينبهك على أن أبا العلاء كان قد ضرب في الفقه بنصيب، وذلك أن كثيراً من الفقهاء يتوهمون أن الإفاضة من المزدلفة إلى منى ورمي جمرة العقبة بعد طلوع الشمس من يوم النحر، والصواب: أنهما بعد إسفار الفجر من ذلك اليوم — فلذلك جعل أبو العلاء رمي الجمار في الصبح فلله درّه من تحرير لا يغيض بحره»^(٢).

وفي شعره إشارات كثيرة تتصل بالمذاهب وتدل على إحاطته بهذا الضرب من المعرفة، ومن ذلك قوله في «اللزوم»:

زكوا على مذهب الكوفي^(٣) أرضكم وجانبوا رأيه في مُسكرٍ طنجبا

وأما علمه بالأديان والفرق الإسلامية والأخبار والتاريخ والنجوم فشيء نلمسه واضحاً في آثاره التي وصلت إلينا، فقد جاء في «الغفران» مادة نافعة تتصل بالأديان والفرق الإسلامية.

ولنخلص من هذا العرض إلى العودة إلى «المعري اللغوي» فنقول:

(١) أنظر مقدمة اللزوميات.

(٢) عن «أبي العلاء وما إليه»، ص ٥٣.

(٣) الكوفي: هو أبو حنيفة، ورأيه في حقيقة المسكر معروف.

على حين وقف المعري من «القياس» في اللغة موقف المفكر الذي يضيق بأقيسة النحويين واللغويين، وما أتبعوه من أساليب التأويل والتقدير، كالذي نجده من موافقه يرد على المتقدمين من النحاة في «الغفران» إذا هو يتسع في كتبه الأخرى في القياس ويحمل شيئاً على آخر نظيره، وهذا يعني أنه كان نحويّاً غير مقلد، فهو يقبل القياس حين يجد له أساساً من قبول لغوي، وهو يرفضه إذا وجد أن طبيعة العربية تأبى بعض وجوهه التي ذهب إليها النحاة.

عرض المعري لكلمة «اسم» وأصل بنائه وجمعه وزيد فيه حتى وصل إلى «أسماء» وهو اسم المرأة فقال: ... فأما قولهم أسماء في اسم المرأة فالنحويون المتقدمون يجعلونه جمع «اسم»، وإذا سمّوا به الرجل لم يصرفوه لأنه اسم غلب عليه كونه للمؤنث، كما أن «زينب» غلب عليه أن يكون اسم امرأة، وليس فيه علم للتأنيث، وليس أسماء عندهم بمنزلة «حمراء» فيلزم أصحاب هذا القول أن يقولوا: مررت بأسماء وأسماءٍ أخرى، فيصرفوها في النكرة لأنها ليست كحمراء عندهم، وإنما هي «أفعال» مثل أبناء وأحناء، ولو كانت مثل حمراء لم تنصرف في النكرة ولا يمتنع في القياس أن تكون «أسماء» من الوسامة، إلا أن الواو قُلبت إلى الهمزة، وقلب الواو المفتوحة إلى الهمزة قليل. إنما جاء في أحرف معدودة كقولهم أحد، وأصله وحد، وكقولهم للمرأة: «أناة» وأصله «وناة»^(١).

وفي «رسالة الملائكة» مسائل أخرى عرض لها المعري فحمل مسألة على أخرى جرياً على توسعه في القياس^(٢).

(١) رسالة الملائكة، ص ١٣١.

(٢) أنظر الصفحات ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠... وص ١٥٠ وما بعدها، وانظر ص ٢٥٧.

وقد وقف من شعر أبي تمام مواقف يستدل منها على ذهابه في القياس إلى حد بعيد توسعاً في حمل النظر على نظيره.

قال أبو تمام:

لم تطلع الشمس فيه يوم ذاك على بانٍ بأهل ولم تغرب على عَزَبٍ
فقال المعري: أهل اللغة يختارون «بَنَى فلان على أهله» ويكرهون:
«بَنَى بها» ولا يمنع القياس دخول الباء في هذا الموضع، ويكون المعنى:
بَنَى بأهله، أي من أجلهم، كما يقال للرجل: خذ هذا بما فَعَلْتَ في الدهر
الأول، أي من أجله^(١).

ولنقف على قول أبي تمام الذي عرض له المعري معلقاً:

أحمد بن سعيد أدخر الأسى فيها رواء منه يوم ظمائه
قال المعري: ... مدَّ «الظماء» وهو مهموز مقصور، يقال: ظمأً مثل
خَطأً، وقد فعل ذلك في غير هذا الموضع، والقياس يطلق ذلك وما هو أشدَّ
منه^(٢).

وعلى أن المعري قد أخذ على البحري أشياء كثيرة ووسم شعره
بـ«عبث الوليد» فإنه يجد له فسحة في «القياس» فيجري بعض استعمالاته
على الصواب، ومن ذلك قول البحري:

لم تنم عن دعائهم حين نادوا والقنا قد أسالَ فيهم قناءً

قال المعري: ... مدَّ «القنا» في آخر البيت وهو من القناة

(١) ديوان أبي تمام، (شرح التبريزي) ٥٥/١.

(٢) شرح ديوان أبي تمام، (التبريزي) ٣٧/٤.

الجارية... ومد المقصور سائغ عند كثير من أهل العلم... والقياس يشهد بأن مَدَّ المقصور جائز إذا كانوا قد زادوا حروف المَدَّ واللين في مواضع كثيرة^(١).

ومن ذلك مخالفته للنحويين في مسألة جواب القسم المصدر بـ «لن» في قول البحري:

لن ينال المشيب حظوة وِدِّ حيث يشجو طرف ويحورُ طرف
قال المعري: استقبل القسم بـ «لن» لأنه قال:

إي وسعي الحجيج حين سعوا شعناً وصفَّ الحجيج ساعة صفّوا

وهذا لا يجوز عند النحويين لأن «لن» لا يستقبل بها القسم، ويجوز أن يكون قائل البيت قاله كما في النسخة (أي عبث الوليد)، ولو قال: «لا ينال» لاحتمل، ولن يبعد في القياس أن يوضع «لن» موضع «لا» في هذا الموضع لأنهما في النفي متشاركتان، ولعل أبا عباد لم يقل إلا «لا»^(٢).

وكما كان له في «القياس» نهج اختلف بين الضيق والاتساع كان له رأي في السماع والمسموع والمسموع منه كغيره من «النحاة».

لقد تبينا أن المعري أنه لم يأخذ عن شيوخ كثيرين كغيره من طلاب العلم، بل اقتصر أخذه عن أبيه في المعرفة ومحمد بن عبد الله بن سعد وآخرين من بني كثر وأصحاب ابن خالويه في حلب. وانصرف بعد هذا إلى الكتب يدرسها ويستوعبها، فقد ذكر أنه أملئ «المحكم» و«المختص» من

(١) عبث الوليد، ص ٢٠ - ٢٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٢٥.

صدره^(١). كما أثر أنه حفظ «ديوان الأدب» للفارابي، وقد أملى شيئاً منه من حفظه^(٢).

وعلى هذا لم يتبع طريقة من سبقه من أهل العلم في الأخذ عن الأعراب في بواديهم أو في الحواضر. والكلام في حفظه كثير عجيب وكله مدوّن في الكتب التي ترجمت له.

ولنأت إلى شيء يتصل برأيه في «السماع» مما وقفنا عليه في «رسالة الملائكة».

قال المعري وهويحاور «ملكين» يسألهما مسألة لغوية ويكون هو المجيب عنها فيقول لهما: كيف تصغران «الأرزبة» وتجمعانها جمع التكسير، فإن قالوا: «أُرِزْبَةٌ» بالتشديد، قلت: هذا وهم: إنما ينبغي أن «أُرِزْبَةٌ» بالتخفيف وكذلك في جمع التكسير «أرازب» بالتخفيف، فإن قالوا: كيف قالوا: «عَلَابِيّ» فشددوا كما قال القريري:

وذي نَخَوَاتٍ طامحٍ الطرفِ جاذبَتُ حِبَالِي فَلَوَّى مِنْ عَلَابِيَّهِ مَدْي

قلت: ليس الياء كغيرها من الحروف لأنها وإن لحقها التشديد ففيها عنصر من اللين، فإن قالوا: أليس زَعَمَ صاحبكم عمرو بن عثمان المعروف بسبويه: أن الياء إذا شُدِّدَتْ ذهب منها اللين، وأجاز في القوافي «حيّاً» مع «ظَّبِي»، قلت: قد زَعَمَ ذلك إلا أن «السماع» من العرب لم يأت فيه نحو ما قال إلا أن يكون شاذّاً قليلاً...»^(٣).

(١) تاريخ النور السافر في أخبار القرن العاشر، للعيدوسي، ص ٤١١.

(٢) إنباه الرواة ٥٢/١.

(٣) رسالة الملائكة، ص ١٥ - ١٦.

هذا رأي في مسألة وردت لجأ فيها المعري إلى أنها غير «مسموعة» من العرب، وأنه خالف في ذلك سيبويه، وحمل رأيه على الشذوذ.

وقال في الحروف الأصلية والمنقلبة: . . . والراء اسم شجر يجري في التصغير مجرى غيره فيحكم على ألفه بأنها واو في الأصل حيث يثبت «السماع» بغير ذلك، ويحكم على همزته بأنها أصلية ليست بالمنقلبة^(١).

وهذا يعني أن للسماع مكاناً في آرائه وأحكامه اللغوية حيث يفرض السماع كما يبدو له صحة، كما كان للقياس مكان في آرائه وأحكامه حيث يكون للقياس فسحة وقبول.

ويؤلف «العروض» مادة كبيرة في العلم اللغوي الذي تركه لنا أبو العلاء.

لقد كتب المعري كتباً حبسها على العروض ومشكلاته ومنها «جامع الأوزان الخمسة التي ذكرها الخليل بجميع ضروبها مثال ذلك أن يقال: للضرب الأول من الطويل أربع قواف: المطلقة المجردة مثل قول القائل: ألا يا أسلمي يا هند هند بني بذر وإن كان حيّانا عدّى آخر الدهر

والقافية المردفة مثل قول امرئ القيس:

ألا أنعم صباحاً أيها الطلل البالي (٢)

(١) المصدر السابق، ص ١٢٢. ونستطيع أن نلحق بهذين النموذجين من تمسك المعري بـ «السماع» قوله: إن هذا ليس من كلام العرب، وقد ترددت هذه العبارة في الصفحات ٩٨، ١٥٠، ١٦٥ من رسالة الملائكة.

(٢) إنباه الرواة ٦١/١.

وذكر ياقوت هذا الكتاب وسمّاه «جامع الأوزان» وأضاف أن فيه «شعراً منظوماً على معنى اللغز يعمّ به الأوزان الخمسة عشر التي ذكرها الخليل بجميع ضروبها، ويذكر قوافي كل ضرب من ذلك»^(١).

وذكر الصفدي هذا الكتاب أيضاً وسمّاه «جامع الأوزان والقوافي»^(٢)، وقد أشار التبريزي إلى هذا الكتاب باسمه الذي أشرنا إليه أول مرة، وأفاد أن المعري كان يحثه على القراءة فيه^(٣). وذكره الكلاعي في كتابه «إحكام صنعة الكلام» وسمّاه «جامع الأوزان»^(٤).

أقول: وجملة هذا تثبيت عنايته واهتمامه بهذا العلم اللغوي الخاص، وخصوصيته تتأتى من مصطلحه أولاً، ثم من أجزائه في بنية الكلمة، وذلك أن أجزاء التفعيلة تؤلف شيئاً مما ندعوه في علم اللغة الحديث بالمقطع، وفيه المغلق والمفتوح، وليس «السبب» من مصطلح العروض إلا شيئاً من «المقطع».

لقد فقدت كتب المعري التي خلصت إلى العروض وإلى القافية، ولكننا نجد شيئاً من موادها في كتبه إما أن يأتي بها عرضاً، أو أن يدخل مصطلحاتها في سياق آخر كما فعل في «الرسالة»، وإما أن تكون مقصودة لذاتها كما ورد شيء من ذلك في «الغفران»، وأكثر منه في مقدمة «اللزوميات».

وحسبك أن تقرأ شيئاً من كلامه في «الدوائر العروضية» في «الصاهل

(١) معجم الأدباء ٨٤١/١.

(٢) الوافي بالوفيات ١٠٣/٧.

(٣) شروح سقط الزند ٣/١.

(٤) إحكام صنعة الكلام، ص ٢٣١.

والشاحج»^(١) لتدرك أنه ألمّ بهذا العلم على نحو ما كتب فيه غيره، ولكنه بسط القول في البحور التي ترجع إلى دائرة واحدة، وهي متفاوتة في القوة، وأشار إلى ورودها في شعر المتقدمين وما هو كثير التردد، وما هو نادر يتجافاه أهل النظم^(٢).

وهو في «الصاهل والشاحج» يشير إلى الدوائر العروضية الخمس متوجهاً إلى عزيز الدولة أبي شجاع... فيقول:

فالأولى: حلب، حرسها الله وهي دار المملكة.

والثانية: معرة النعمان النعمان وما كان مثلها.

.....

.....

وللمعري رأي في كل «بحر» وما فيه من خصائص حسنة أو غيرها.

ولم يقتصر المعري على البحور وما يستحسنه منها مشيراً إلى خصائصها، بل تجاوز ذلك إلى الكلام على الزخافات والعلل، وهوباب طويل فيه من التعقيد ما لا يدركه إلا صفوة من أهل العلم من العروضيين الذين يدركون أسرارهم، وليس كل من كتب في العروض عروضياً.

وهو حين يعرض لمشكلات العروض يجعل من شعر المتقدمين

(١) الصاهل والشاحج، ص ٦٤١.

(٢) قال المعري في الفصول والغايات، ص ٢٦٦: إذا اعترضت الديوان من دواوين الفحول كان أكثر ما فيها طويلاً وبسيطاً. وقال في «الصاهل والشاحج»، ص ٥٧٨: والضروب الثلاثة الأخيرة فيهن ضعف وانكسار. وهويكره «المديد» فيقول في «الفصول والغايات»، ص ٢٦٦: ليس في ديوان أحد من «الطبقة الأولى» مديد.

الجاهليين والإسلاميين والعباسيين ممن سبقوه ميداناً لمقابلة هذه القواعد الفنية على شعر هذه الجماهرة الكبيرة.

ولا يغفل «علم القوافي» فهو ميدان فسيح أتى فيه بالعلم الجيد الدقيق يدلك على ذلك ما جاء في مقدمة «اللزوميات»^(١) الحافلة بالمصطلح الفني الذي يبسطه بسطاً وافياً ندرك منه أنه ألم بدقائق هذا الفن فترشح أن يكون المرجع فيه.

ومن أجل ذلك تصدر لتدريس هذه الأشتات المتفرقة من علوم العربية التي يجمعها الإطار العام وهو علم اللغة.

ولا ننسى أن اهتمامه بالعروض والقوافي جعله يأتي على «الضرائر» الشعرية الذي تحدث عنها في كثير من آثاره. فذكر الضرورة وأنواعها والمقيس والمسموع وغير ذلك^(٢).

وفي «الصاهل والشاحج» ما يشعر بأنه يبيح قدرًا من الضرورات^(٣).

أقول: وجملة هذه المواد تثبت أن المعري لغوي من الطبقة الرفيعة، وهو بحق يوصف بهذه الصفة لأنه حامل لأشتات هذه العلوم اللغوية ملمًا بأصولها، عارفًا بأسرارها، ثم فوق هذا وذاك مدرك لأشياء انفرد بها.



(١) تحدث أبو العلاء في المقدمة عن لوازم القافية خمسة أحرف وست حركات، فالأحرف: الروي والردف والتأسيس والوصل والخروج، ثم استوفاهما واحداً بعد الآخر. ثم عاد إلى الحركات فذكر والإشباع والمجرى وغير ذلك واستوفاهما جميعها.

(٢) رسائل أبي العلاء، ص ٦٥.

(٣) أنظر الصاهل والشاحج، ص ٢٠٤.

الفهارس

- ١ - فهرس الآيات الكريمة.
- ٢ - فهرس الأعلام.
- ٣ - فهرس القوافي والشعراء.
- ٤ - فهرس الأشرطة.
- ٥ - فهرس المصادر والمراجع.
- ٦ - فهرس محتويات الكتاب.

فهرس الآيات الكريمة

رقم الآية	السورة	رقم الصفحة
	﴿ ٤ - سورة النساء ﴾	
١٢	وإن كان رجل يورث عن كلاله	٩٥
	﴿ ١١ - سورة هود ﴾	
٧٠	فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة	١٧٤
	﴿ ١٢ - سورة يوسف ﴾	
٢١	وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله	
١١٣	غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون	
	﴿ ١٣ - سورة الرعد ﴾	
٧	والله يعلم ما تحمل كل أنثى	١٢٦
	﴿ ١٤ - سورة إبراهيم ﴾	
٢٥، ٢٤	ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها	
٢٠	في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها	
	﴿ ١٥ - سورة الحجر ﴾	
٤٨، ٤٧	ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على متقابلين	٤٧
	﴿ ١٦ - سورة النحل ﴾	
٨	والخيل والبغال والحمير لتركبوها	١١٦

رقم الآية	السورة	رقم الصفحة
-----------	--------	------------

﴿ ١٧ - سورة الاسراء ﴾		
٣١	إن قتلهم كان خطأ كبيراً	٦٠
﴿ ٢٠ - سورة طه ﴾		
٩٧	لنحرقنه ثم لننصفنه في اليم نسفا	١٥٦
﴿ ٢٦ - سورة الشعراء ﴾		
١٧٦، ١٧٧	وكذلك أصحاب الأيكة المرسلين، إذ قال لهم شعيب ألا تتقون	٩٧
٨٩	فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلمة، إنه كان عذاب يوم عظيم	٩٧
﴿ ٢٧ - سورة النمل ﴾		
١٨	لا يحطمنكم سليمان وجنوده	١٠٤
٢٢	فقال أحطت بما لم تحط به وجئتكم من سبأ نبأ يقين	١٠٤
٦٥	قل لا يعلم من في السموات والأرض	١٢٦
﴿ ٢٨ - سورة القصص ﴾		
١٤	ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين	١١٣
﴿ ٣٥ - سورة فاطر ﴾		
٢٤	إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه	١٢٩
﴿ ٣٨ - سورة ص ﴾		
١٠	وإن كثيراً من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض	٢٠
﴿ ٤٣ - سورة الزخرف ﴾		
٥١	أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون؟	١١٢
﴿ ٤٤ - سورة الدخان ﴾		
٤٧	خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم	١٦٥
﴿ ٤٧ - سورة محمد ﴾		
١٥	مثل الجنة التي وعد بها المتقون، فيها أنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمرٍ لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها كل الثمرات	٢٤

رقم الآية	السورة	رقم الصفحة
	﴿ ٥١ - سورة الذاريات ﴾	
٥٥	فإن الذكرى تنفع المؤمنين	١١٤
٤٠	فأخذناهم وكنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم	١٧١
	﴿ ٦٢ - سورة الجمعة ﴾	
١١	كل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين	١٣٠
	﴿ ١٠٧ - سورة الماعون ﴾	
٤	فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون	١٢٩

فهرس الأعلام

حرف الهمزة	
أبو العلاء (المعري): ٥، ٦، ٧، ٨، ٩،	٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣،
١٣، ١٦، ١٧، ١٩، ٢٠، ٢٤،	٢١٤
٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠،	ابن القارح: ٧، ١٤، ١٩، ٢٠،
٣١، ٣٢، ٣٤، ٣٥، ٣٩، ٤٠،	الأنباري: ٧
٤٢، ٤٣، ٤٥، ٤٧، ٥١، ٥٢،	أحمد بن محمد النحاس (أبو جعفر): ٧
٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩،	الأسود بن المنذر: ١٩
٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥،	أبو الأسود الدؤلي: ١٩
٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٣، ٧٤،	الأقشير الأسدي: ٢٤، ١٦٩
٧٦، ٧٧، ٧٨، ٨٠، ٨١، ٨٢،	أحمد بن الحسين = المتنبي
٨٣، ٨٤، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠،	الأعشى: ٢٨، ١٧٣
٩١، ٩٢، ٩٤، ٩٥، ١٠١، ١٠٢،	أبو عبيدة: ٢٨، ٥٨
١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧،	الأصمعي: ٢٨، ١٩٦
١٠٩، ١١١، ١١٥، ١٢١، ١٢٢،	امرؤ القيس: ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥،
١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧،	١٦٨، ٩٤
١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٤، ١٣٥،	ابن المقفع: ٤٢
١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠،	أبوسفيان: ٥٣، ٥٤
١٤١، ١٤٢، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧،	ابن الأثير: ٥٤، ١٣٤
١٤٨، ١٥١، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥،	ابن بري: ٥٤، ١٦١
١٥٧، ١٥٨، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢،	أبو عبيد: ٥٤
١٦٦، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٢،	ابن السكيت: ٥٩، ٩٤
١٧٣، ١٧٥، ١٧٧، ١٧٩، ١٨٣،	ابن العميد: ٦٣
١٨٥، ١٨٨، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣،	ابن عباس: ٦٩، ٩٥
١٩٥، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠،	إسرافيل: ٧٩
٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨،	إبراهيم: ٨١، ٩٧

ابن العدليم: ١٩٣، ١٩٩، ٢٠٠،
٢٠٥، ٢٠٤

ابن كثير: ١٩٤

ابن الخشاب: ١٩٥

أبو أذينة: ١٩٦

محمد بن الأمين = الشنقيطي

ابن خلكان: ١٩٩

ابن الوردي: ١٩٩، ٢٠٠

ابن الوزير اليماني: ٢٠٠

ابن جني: ٢٠٣

ابن خالويه: ٢٠٤

أبو عروبة الحراني: ٢٠٤

ابن حجر: ٢٠٤

أبو حنيفة (النعمان): ٢٠٦

حرف الباء

البحري: ٣١، ٥١، ٥٢، ٥٥، ٥٦

٥٧، ٥٨، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣

٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩

١٢٢، ١٨٩، ١٩٦، ٢٠٨، ٢٠٩

بلقيس: ٩٨

بيدبا: ١٠٥

البارزي: ١٨٧

بنشتكين الدزيري: ١٨٨

الباخرزي: ١٩٠

البديعي: ١٩٢

حرف التاء

التبريزي (أبو زكريا): ١٣٣، ١٨٤

١٨٦، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٩، ٢٠٤

٢٠٥

أبو محجن: ٨١

آدم: ٨٢، ٩٧

أحمد بن عثمان (النكتي): ٩٥، ١٢٤

أبو القاسم بن سبيكة: ٩٦

أبو خراش: ٩٦

أمية بن أبي الصلت: ١٠٣

الأسعفر الجعفي: ١١٢

أحمد الطرابلسي: ١٢١، ١٢٢

أبو نواس (الحسن بن هاني): ١٢٧

أبو تمام: ١٣٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٩٦

٢٠٤، ٢٠٨

أبو حنيفة (الدينوري): ١٥٨

أوس بن حجر: ١٦٠

أبو السمح: ١٦١

أبو الحسن الخياط: ١٦١

ابن الراوندي: ١٦١، ١٩٠

أبو ذؤيب: ١٧٤

ابن أبي أصيبعة: ١٨٠

ابن نباتة: ١٨٣

ابن خير: ١٨٢

ابن العربي: ١٨٢

أبو محمد بن عتاب: ١٨٢

ابن الأبار: ١٨٦

ابن السيد البطليوسي: ١٨٧

الأبيوردي: ١٨٧

الأخسيكي: ١٨٧

ابن الوردي: ١٨٩

ابن سعيد: ١٨٨

ابن الجوزي: ١٩٠

ابن أبي الحديد: ١٩٠

ابن الدماميني: ١٩١

ابن أبي حاتم: ١٩١

حرف الثاء

ثعلب (أبو العباس): ٢٧

حرف الجيم

جذيمة (الأبرش): ٢٧، ١١٢

الجاحظ: ٤٢، ١٤٥، ١٦٨، ١٩٦

جبريل (جبرائيل): ٧٩، ١٥٣

الجوهري: ١٠٨، ١١١، ١٥٥

جعفر بن عتبة الحارثي: ١٣٤

الجرجاني (الشريف): ١٧٠

الجواليقي: ١٩٥

حرف الحاء

أبو حمزة التنوخي: ٥

إبراهيم مصطفى: ٦

حطائط بن يعفر: ٥٥

حاتم الطائي: ٥٥

حماد عجرد: ١٢٧

الحماسي: ١٣٥

الحاج خليفة: ١٧٩

حجر بن حية الحماسي: ١٩٦

حرف الخاء

الخليل بن أحمد: ٧، ٨٢، ٢١١

الخطيب البغدادي: ٧، ١٨٠

خلف الأحمر: ٢٥

الخفاجي: ١٨٣

الخليل بن عبد الجبار: ٢٠٤

حرف الدال

داود (النبی): ٩٧

دحية الكلبي: ١٣٠

حرف الذال

الذهبي: ١٧٩، ١٩٩، ٢٠٥

حرف الراء

ربيعة بن مقروم الضبي: ٤٥

رضوان: ٨٣، ٨٤

رقيم المحاربي: ١١٢

حرف الزاي

الزجاجي (أبو القاسم): ٧

زهير بن أبي سلمى: ٢٨

زياد بن عبد الله: ١٢٧

الزغشري: ١٩٠

حرف السين

سليم الجندي: ٦، ٧٣

ابن السمعي (أبو سعد): ٧، ١٨٧

سيبويه (عمرو بن عثمان): ٧، ١٣

٢٨، ٣٠، ٦٢، ٧٤، ٧٥، ٨٠

٨٢، ١٢٣، ٢١٠

السليك بن السليكة: ١٩

ابن السراج: ٦٠

سعيد بن مسعدة: ٨٢

سحيم بن وثيل: ٨٢

سعد بن معاذ: ١١٢

سنان بن الفحل الحارثي: ١٣٦

سليم مدور: ١٩٤

السلفي (أبو طاهر): ١٩٩

حرف الشين

الشماخ: ٤٥، ٤٦

شعيب (النبی): ٩٧

الشریف المرتضى: ١٢٣، ١٢٤

الشریف الرضى: ١٢٤، ١٩٠

شريح (القاضي): ١٩١

الشریف (ابن المحبرة): ١٩٣

الشنقيطي (أحمد بن الأمين): ١٩٧

شميم الحلي: ٢٠٠

حرف الصاد

صخر: ٧٥

صالح (النبي): ٩٧

الصفدي: ١٧٩، ١٨٣، ١٩٩، ٢٠٥

٢١٢

صدر الأفاضل الخوارزمي: ١٨٧

الصيرفي (أبو القاسم): ١٨٧

صفوان بن عمر (الكلاعي): ١٩١

الصابوني: ١٩١

حرف الطاء

طه حسين: ٦

طرفة: ١٩٦

الطبري: ١٩٩

حرف الظاء

ظفر بن عبد الله العجلي: ٥١، ١٨٩

حرف العين

عائشة عبد الرحمن: ٦، ١٠١، ١٥٤

العزمي (أبو بكر): ١٤

عنترة: ١٩

علقمة بن عبدة: ٢٣

عدي بن زيد (العبادي): ٢٤، ٢٨

٤٤، ٤٥

عقيل: ٢٧

عبيد بن الأبرص: ٢٨، ٢٩

عمر بن أبي ربيعة: ٦٨، ٧٨

علي بن محمد بن همام (أبو القاسم): ٧٦

عزرائيل: ٧٩

عبد الله بن مسعود: ٨١

عبد الكريم خليفة: ٨٧، ١٢٣

عزيز الدولة ثابت بن معز الدولة: ١٠١،

١٠٢، ١٠٣، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨،

١٠٩، ١١٠، ١١٨، ١٨٨، ٢١٣

عمرو بن عدي ... اللخمي: ١١٢

عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي: ١٢٧

عبد شمس: ١٥٠

عمر (بن الخطاب): ١٥٢

علي (بن أبي طالب): ١٦٥

العجاج: ١٦٥

عوف بن الأحوص: ١٦٨

علي بن عبد الله ... (أبو الحسن): ١٧٩

عبد الوهاب (القاضي): ١٩١، ١٩٦

عز الدولة: ١٩٣

عمرو بن معد يكرب: ١٩٦

عبد الله بن الزبير الأسدي: ١٩٦

عبد الله بن سعيد: ٢٠٠

العيدروسي: ٢١٠

حرف الفاء

الفراء: ١٣، ١٢٣

الفرزدق: ٨١، ١٦٨، ١٩٦

فاتك (أبو شجاع): ١٠١

فخر الدين الرازي: ١٨٧

الفسوي (أبو علي): ١٨٩

الفيروز آبادي (المجد): ٢٠٤

الفارابي (صاحب ديوان الأدب): ٢١٠

حرف القاف

القفطي: ٧، ١٩٨

القالبي (أبو علي): ١٩٧

القريعي: ٢١٠

حرف الكاف

الكسائي: ٢٨

الكميت: ٥٩، ١٦١

كعب بن مامة: ٩٤

الكلاعي (أبو الربيع): ١٨٢

الكلاعي (محمد بن عبد الغفور): ١٨٨

الكتبي: (ابن شاكن): ١٩٩

حرف اللام

ليد: ١١٢

حرف الميم

منصور عبد الرحمن: ٦

المغربي (أبو القاسم): ٧، ٩٠، ٩٤

المرار بن سعيد الفقعسي (أبو القطران):

١٥، ١٧٤

المتنبي (أحمد بن الحسين): ٢٧، ١٢٣،

١٤٥، ١٨٦، ١٩٣

المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد): ٢٧

مالك: ٢٧

محمد (النبي صلى الله عليه وسلم): ٥٣،

٩٥، ٩٨، ١٣٠

محمد بن الفضل: ٦٥

الميمني (عبد العزيز الراجكوتي): ٧٣،

١٤٧، ١٧٧، ٢٠٤

ميكايل: ٧٩، ١٥٣

مالك: ٨٢

محمد بن سعيد: ٨٩

المحاريبي: ٩٦

موسى (النبي): ٩٧

معدان بن حواس الكندي: ١٣٤

مرجليوث: ١٨٣، ١٨٥، ١٩٨

محمد بن علي (أبو الفتح): ١٨٩

محب الدين الخطيب: ١٩١، ١٩٧

معز الدولة (ثمال بن صالح): ١٩٣

محمد بن سعدان: ١٩٧

محمد بن علي أبو الفتح: ١٩٧

محمد بن عبد الله بن سعد: ٢٠٤، ٢٠٩

المبارك بن عبد العزيز: ٢٠٤

محمد بن الحسين: ٢٠٤

محمد بن راده: ٢٠٤

حرف النون

نعمة رحيم العزاوي: ٦

النمر بن تولب: ٢٤، ٢٥، ٢٠٤

نزار: ٤٢

ناديا علي: ٥٤

الناطقة: ١٠٣

ناصر خسرو: ١٩٨

حرف الهاء

أبو الهادي: ٢٢

الهذلي: ٤١

هوبر الحارثي: ٤٨

الهركاري: ١٩١

ياقوت: ٦٩، ١٢٤، ١٧٩، ١٨٧،

١٩٠، ١٩٢، ١٩٩، ٢٠٠

يحيى بن زياد: ١٢٧

يوسف بن طاهر: ١٨٧

يحيى بن مسعر: ٢٠٤

حرف الواو

وليد محمود خالص: ٦، ١٣٣

والبة بن الحباب: ١٢٧

حرف الياء

يعرب: ٤٢

فهرس القوافي والشعراء

القافية	الشاعر	الصفحة
البُرحاء	البحثري	٥٥
جرداء	البحثري	٥٨
بيضاء	البحثري	٥٩
خطاء	البحثري	٦٠
جرأء	البحثري	٦١
قناء	البحثري	٦٢
غناء	—	٦٢
بواء	البحثري	٦٣
شاؤك	البحثري	٦٤
سناؤك	البحثري	٦٤
دعائه	البحثري	٦٤
سوائي	البحثري	٦٥
حشائي	البحثري	٦٥
صَمَاء (مصراعان من الرجز)	—	١١١
إباء	المعري	١٢٦
أدباء	المعري	١٢٧
يسبأ (بيتان)	المعري	١٢٨
أتقياء (بيتان)	المعري	١٢٩
أمرأوها (بيتان)	المعري	١٤٦
ولاء (بيتان)	عوف بن الأحوص	١٦٨

الصفحة	الشاعر	القفية
٢٠٨	أبو تمام	ظمائه
٢٠٨	البحري	فناء
قافية الباء		
١٤	أبو بكر العرزمي	يناسبة
١٥	المرار الفقعي	طبيب (ثلاثة أبيات)
١٨	—	عربا
٢٩	—	رَقوبُ
٣٦	امرؤ القيس	المعذب
٦٧	البحري	العرب
٦٧	البحري	إعجابه
٦٧	البحري	رطب
٦٨	البحري	نهاب
٦٩	—	العرب
٧٦	—	يصوب
١٣٥	—	تذهب
١٣٥	—	راسب
١٣٧	—	واشربا
١٤١	—	راكبة
١٧٩	المعري	كتاب
قافية التاء		
٩٥	المعري	ليت
١٣٦	—	طويت
١٩٣	كثير	حلت

الصفحة	الشاعر	القافية
	قافية الثاء	
٣٥	امرؤ القيس	أُسُجُ (خمسة مصاريع من الرجز)
٢٠٦	المعري	طنجا
	قافية الحاء	
١١٥	—	رماحُ
	قافية الدال	
٥	المعري	شادي
٢٢	أبو الهندي	الزُّيد (بيتان)
٥٥	حاتم الطائي	مخلداً
٩٣	—	السعودُ
١٣٧	—	صَلْدِ
١٣٨	—	هُمَّدا
١٤١	—	وحيذها
١٤١	—	موعدا
١٤٢	—	تسودها
٢١٠	القريعي	مدني
	قافية الراء	
٣٠	عدي بن زيد	تصيرُ
٣٤	الشَّمَاخ	ثبيرُ (بيتان)
٣٤	عدي بن زيد	حارا (بيتان)
٥٨	—	الأسارا
٩٤	امرؤ القيس	عَجِرُ
١٢٥	المعري	صُخِرُ

الصفحة	الشاعر	القافية
١٣٤	تأبط شراً	تصْفُرُ
١٣٥	—	وَتِرْ
١٤٠	—	المحاضِرُ
١٦١	الكميت	الستائرُ
٢١١	—	الدهرِ
	قافية السين	
١٣٦	—	يُمَارِسا
١٣٦	—	فيجلسوا
١٣٧	—	يابسُ
	قافية الصاد	
٣٣	امرؤ القيس	رصيصُ
	قافية الضاد	
٣٣	امرؤ القيس	القريضِ
٤١	الهدلي	المخوَصِ
	قافية الطاء	
١٨ — ١٧	—	حَمَاطِ (بيتان)
٢٠	—	أنواطِ
	قافية العين	
٢٩	—	أرْبَعَا
١٧٤	الأعشى	الصِّلَعَا
٢٠٦	—	القاعِ
	قافية الفاء	
٦٦	البحثري	جَفَا
	٢٣٠	

القافية	الشاعر	الصفحة
تَنَصَّفُ	—	١٤٠
إِلَافُ	—	١٤٢
طَرَفُ	البحثري	٢٠٩
صَفَا	البحثري	٢٠٩
قافية القاف		
السُّوقَا	زهير	٣٣
الأباريق	الأقيشر الأسدي	٢٤
مَطْلَقُ	جعفر بن عُلبة الحارثي	١٣٤
أورَقَا	—	١٦٦
قافية الكاف		
التالك (أربعة مصاريع)	—	٥٦
قافية اللام		
نائِلِ	المعري	٥
العَسَلِ	المتنبي	٢٧
مَغْزَلِ	امرؤ القيس	٣٠
مُغْلَقِلِ	امرؤ القيس	٣١
عنْصَلِ	امرؤ القيس	٣١
جُلْجُلِ	امرؤ القيس	٣٤
الخالِي	امرؤ القيس	٣٦
الأَظْلَلِ	ربيعة بن مقروم	٤٥
المشلي	الكميت	٥٩
يعَجَلِ	—	٦٠
عُزْلَا	—	٧٨
الأَوَّلَا	—	٩٢

الصفحة	الشاعر	القافية
٩٦	أبو خراش	عَقِيلُ
١١٢	ليبد	صَهْلُ
١٢٤	المعري	كاملُ
١٣٤	مَعْدَانُ بْنُ حَوَّاسِ الكندي	الأناملُ
١٣٦	—	أوصالي
١٣٨	—	ونالها
١٣٩	—	أَوَّلُ
١٤٠	—	أَقُولُ
١٦١	الكميت	الأزولُ
قافية الميم		
٢٢	علقمة بن عبدة	تدويمُ
٤٨	هوبر الحارثي	عقيم
١٣٥	—	مسووما
١٣٧	—	للُبْهِمِ
١٣٩	—	ذميمُ
١٣٩	—	الأثيمُ
١٤١	—	مُتَقَدِّمُ
١٦٠	أوس بن حجر	واذأم
١٦٠	عوف القوافي	ذامها
١٩٥	التبريزي	حكيمُ (بيتان)
١٩٥	—	يلزُمُ
١٩٦	المعري	يُلْتَزَمُ
١٩٧	—	يتيما
١٩٧	—	مقيما

الصفحة	الشاعر	القافية
--------	--------	---------

قافية النون

١٨	—	مستكنٌ
٢٥	النمر بن قولب	حصنٍ (بيتان)
٣٢	امرؤ القيس	يماني
٣٣	امرؤ القيس	اللباني
٦٨	عمر بن أبي ربيعة	بشمان
٧٥	صخر	أذنان
٧٨	عمر بن أبي ربيعة	بالأطعان
٨٢	سحيم بن وثيل	الأربعين
١٥٤	المتنبي	المنن
١٩٦	—	أرزَن (خمسة أبيات)

قافية الواو

٦٣	البحري	يَغْوَى
٦٣	البحري	تُغْوَى

قافية الياء

٦٥	البحري	العُليا
٨١	—	الغواديا
١٣٩	—	عَلانِيا
١٧٤	أبو ذؤيب	الهدْي

قافية الألف المقصورة

١١٢	الأسعر الجعفي	النَّسا
-----	---------------	---------

فهرس الأنطار

الصفحة	الشاعر	القفافة
١٨	—	وهم تملأ الأحشاء منه
٢٩	—	يا ليت شعري وأن ذو عجة
٣٠	امرؤ القيس	وكان ذرى المجير غدوة
٣١	أبو تمام	هن عوادي يوسف وصواجه
٣١	امرؤ القيس	كبكر المقناة البياض بصفرة
٣٥ ، ٣٢	امرؤ القيس	من السيل والغناء فلكة مغزل
٣٢	امرؤ القيس	فجئت وقد نضت لنوم ثيابها
٥٧	البحتري	بصواعق الغرما والاراء
٥٩	الضبي	حلت تماضر غربة فاحتلت
٥٩	العبي	فيا ليت أني لم تلدني تماضر
٨٣	أبو زيد	يا عثم أدركني فإن ركيتي
١٢٤	المعري	لك يا منازل في القلوب منازل
٢١١	امرؤ القيس	ألا أنعم صباحاً أيها الطلل البالي

فهرس المصادر والمراجع

- (١) الانصاف والتحرّي في دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري، لابن العديم. منشورات في كتاب «تعريف القدماء بأبي العلاء»، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة سنة ١٩٦٥.
- (٢) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي. تحقيق أبي الفضل ابراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة سنة ١٩٦٤.
- (٣) تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي. دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ.
- (٤) ديوان أبي الأسود الدؤلي، تحقيق الشيخ محمد حسن آل يس. مكتبة النهضة، بغداد، سنة ١٩٦٤.
- (٥) ديوان الأعشى الكبير، تحقيق محمد محمد حسين، القاهرة، سنة ١٩٥٠.
- (٦) ديوان أوس بن حجر، جمع الدكتور محمد يوسف نجم. دار صادر، بيروت سنة ١٩٦٨.
- (٧) ديوان عدي بن زيد، تحقيق محمد جبار المعيد، بغداد سنة ١٩٦٥.
- (٨) رسالة ابن القارح (مع رسالة الغفران) تحقيق الدكتورة عائشة عبد الرحمن، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧٣.
- (٩) رسالة الغفران، تحقيق الدكتورة عائشة عبد الرحمن، دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٣.
- (١٠) رسالة الملائكة، للمعري. تحقيق محمد سليم الجندي، المكتب التجاري ببيروت، بدون تاريخ.
- (١١) رسائل أبي العلاء، تحقيق الدكتور عبد الكريم خليفة، عمان، سنة ١٩٧٦.
- (١٢) شرح ديوان حماسة أبي تمام، للمعري. مخطوط بدار الكتب المصرية برقم (٣٠٨) أدب.
- (١٣) عبث الوليد، للمعري. تحقيق ناديا علي الدولة، الشركة المتحدة للتوزيع، دمشق سنة ١٩٧٨.
- (١٤) الفصول والغايات، للمعري. تحقيق محمد حسن زنائي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٧.

- (١٥) لزوم ما لا يلزم، للمعري. دار صادر ودار بيروت، بدون تاريخ.
- (١٦) معجم الأدباء لياقوت، دار المأمون، القاهرة، سنة ١٩٣٦.
- (١٧) المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري. مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، مطبعة الترقى، سنة ١٩٤٥.
- (١٨) وفيات الأعيان، لابن خلكان. تحقيق الدكتور إحسان عباس، بيروت ١٩٦٨.

=٦=

فهرس محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
١ - المقدمة	٩ - ٥
٢ - رسالة الغفران	٣٦ - ١٣
٣ - الفصول والغايات	٤٨ - ٣٩
٤ - عبث الوليد	٦٩ - ٥١
٥ - رسالة الملائكة	٨٤ - ٧٣
٦ - رسائل أبي العلاء	٩٨ - ٨٧
٧ - رسالة الصاهل والشاحج	١١٨ - ١٠١
٨ - زجر النابج	١٣٠ - ١٢١
٩ - شرح ديوان الحماسة	١٤٢ - ١٣٣
١٠ - كلمات من «رسالة الغفران»	١٧٥ - ١٤٥
١١ - ما كتب فيه	٢٠٠ - ١٩٩
١٢ - تأليفه	٢٠٠ - ١٧٩
١٣ - خلاصة وخاتمة	٢١٤ - ٢٠٣